مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الثالثة والثلاثون: العدد مائة وثمانية وعشرون - جمادى الآخرة ١٤٤٦هـ/ ديسمبر ٢٠٢٤م

ما يحتاج إليه الصانع من أعمال الهندسة

أبو الوفاء البوزجاني: محمد بن محمد بن يحيى الفلكي الرياضي ٣٨٨هـ

نسخة مكتبة آيا صوفيا ٢٧٥٣

Ma yahtaj 'iilayh alsaanie min 'aemal alhandasa '
Author: abu alwafa' albuzjaniu : muhamad bin muhamad bin yahyaa alfalakii alriyadii 388 AH
Library copy: aya sufya 2753

شروط النشر في المجلة

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ – ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ – لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ – تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ – يعطى الباحث نسختين من المجلة.

مركـــز جمعـة المـاجـد للثقـــــافة والتـــــراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،
فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١٢٨) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.
راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.
مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا
و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;
Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (128). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.
Thank you for your kind cooperation
We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيمة اشتراك
Subscription Order Form

سنة ☐ One Year
أكثر من سنة ☐ More Than One Year
عدد السنوات ☐ of Years

للأعداد : ..... Issues
عدد النسخ : ..... of Copies:

ابتداء من تاريخ : ..... Subscription Date :

شيك ☐ Check
حوالة مصرفية ☐ Bank Draft
حوالة بريدية ☐ Postal Draft

التاريخ : ..... Date :
التوقيع : ..... Signature :

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع : Date : ..... التاريخ :

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصـــدر عن قسم الدراســـــات والنشر والشؤون الخارجية
بمركـــز جمعـــة الماجـــد للثقـــافة والتـــراث
دبـــي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتـــف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكـــس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولـــة الإمـــارات العربيـــة المتحـــدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة الثلاثة والثلاثون : العدد مائة وثمانية وعشرون ـ جمادى الآخرة ١٤٤٦هـ/ ديسمبر ٢٠٢٤ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليـــل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيـــئة التحـــرير

مديـر التحرير
د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير
د. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير
د. أبوبـــكـــر الصديـــق
د. محمد أحمد القرشي
د. فكري عبد المنعم النجار
د. محمد فاضل الحطاب

الاشتراك السنوي	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها
ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الافتتاحية

مـن المخطوط إلى العالم الرقمـي: رحلة التراث عبر الزمن. ٤

سكرتير التحرير

المقـالات

السجن في شعر صعاليك العصر الأموي دراسة موضوعية فنية. ٦

أ. منال محمد المهري

تأثيـر حسـاب المثلثـات فـي الحضـارة العربية الإسلامية على الغرب اللاتيني. ٤١

أحمد محمد جواد الحكيم

التطـورات السياسـية والإدارية والعسـكرية في تلسمان إباد العهد العثماني.

د. محمد بومدين ٧١

الغذاء الصحي عند أطباء المسلمين في الحضارة الإسلامية. ٩٥

د. شريف قوعش

تحقيق المخطوطات

مسائل من كتاب الإجماع. ١١٥

د. حسن حدوشان

حكاية حمامة الذهب مع بنت الملك. ١٤٩

د. محمود محمد مكي

الملخصات ١٩٢

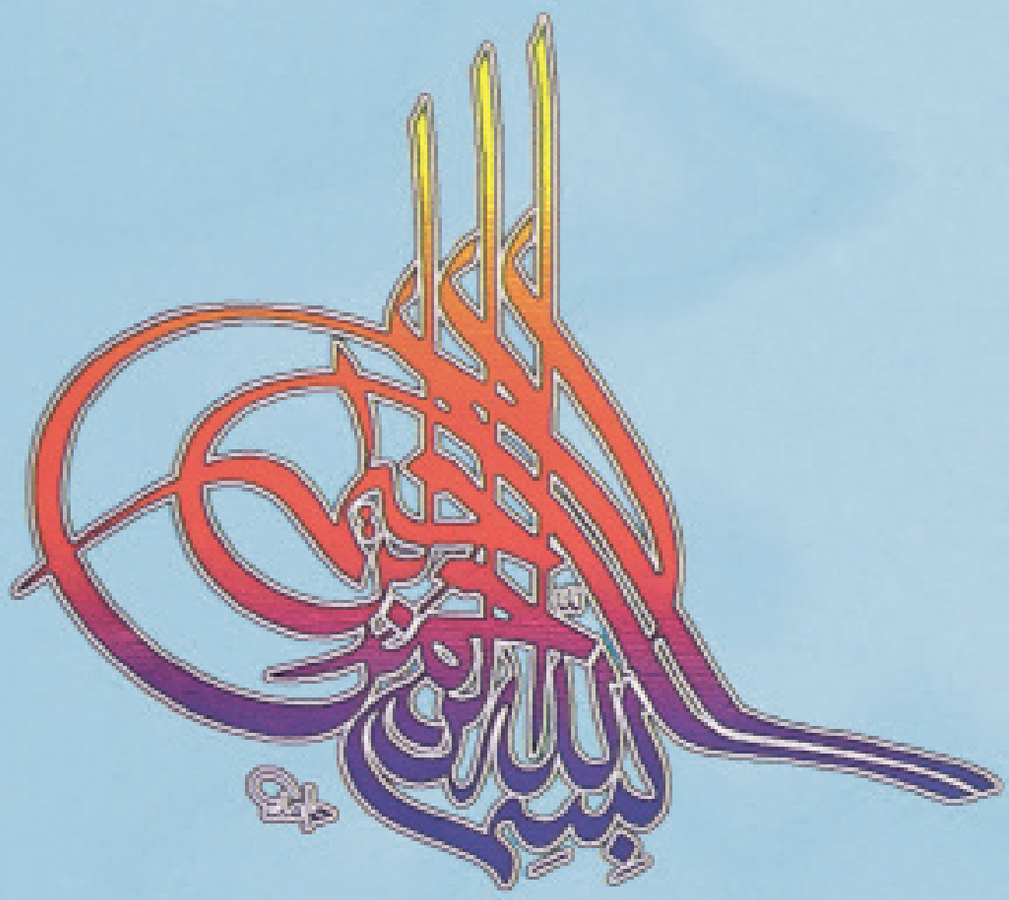

من المخطوط إلى العالم الرقمي: رحلة التراث عبر الزمن

على رفوف المكتبات العتيقة، وفي أدراج المتاحف المغلقة، ترقد المخطوطات كأنها قطع من الزمن حُبست بين صفحات. هي ذاكرة الحضارة وشاهد على مسيرة الإنسانية، تحمل في طياتها معارف الأقدمين، وحكايات الشعوب، وكنوزًا من الحكمة التي صاغتها العقول عبر قرون خلت. لكنها بقيت لفترة طويلة حبيسة الغبار، ورهينة المكان، بعيدة عن أعين المتعطشين للعلم والمعرفة.

ومع تقدم الزمن، جاءت الثورة الرقمية كنافذة أمل لهذا الإرث الثمين. ما بين حبر الورق وضوء الشاشة، بدأت رحلة غير مسبوقة: رحلة المخطوطات إلى العالم الرقمي. هذه الرحلة لم تكن مجرد نقلة تقنية، بل أشبه بمغامرة ثقافية تستعيد من خلالها البشرية ذكرياتها المطمورة وتُعيد وصل الحاضر بجذوره العميقة.

عندما كُتبت أولى المخطوطات، لم يكن هدفها سوى توثيق المعرفة وحفظها من النسيان. على أوراق البردي، وجلود الحيوانات، وحتى على القماش، نقش الإنسان أفكاره بلغة زمنه وأدواته المتاحة. مرّت هذه المخطوطات برحلة طويلة، من المراكز العلمية في دمشق وبغداد وقرطبة وسمرقند، إلى مكتبات أوروبا، حتى استقرت في خزائن التاريخ، تعاني من عوامل التآكل والنسيان

لكن مع دخول التكنولوجيا، تغيرت القواعد. فرقمنة المخطوطات ليست مجرد عملية تصوير أو نسخ إلكتروني، بل هي عملية تحوّل تمزج بين الحفاظ على الأصل وإتاحته للعالم أجمع. الكاميرات عالية الدقة تُعيد تصوير النصوص بأدق تفاصيلها، بينما الخوارزميات الذكية تسهم في استعادة الكلمات التي شوهها الزمن.

اليوم، يمكن لأي شخص، في أي ركن من أركان العالم، أن يطالع مخطوطة نادرة بلمسة زر. ما كان حكرًا على نخبة الباحثين بات ملكًا مشاعًا، يُضيء طريق الباحثين والهواة على حد سواء.

فرقمنة المخطوطات ليست فقط وسيلة للحفظ، بل هي بوابة إلى إمكانيات جديدة، منها:

١ـ **إتاحة الوصول العالمي:** بفضل المنصات الرقمية، بات بالإمكان تصفح المخطوطات القديمة من أي مكان في العالم، دون الحاجة إلى السفر إلى المكتبات أو المتاحف.

٢ـ **الحفاظ على النصوص من التلف:** تتعرض المخطوطات الأصلية لعوامل الزمن مثل الرطوبة والتآكل، بينما النسخ الرقمية تضمن بقاء المحتوى للأجيال القادمة.

٣- إعادة التحليل والبحث: باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، يمكن للباحثين تحليل النصوص، واكتشاف الروابط بين النصوص القديمة، وحتى فك رموز الكتابات المعقدة.

لكن رحلة المخطوطات إلى العالم الرقمي لم تكن خالية من التحديات. كيف يمكن نقل روح المخطوطات من الورق إلى الشاشة دون فقدان أصالتها؟ كيف نضمن أن تكون هذه النسخ الرقمية متاحة ومفهومة للأجيال القادمة؟

وهناك قلق مشروع من أن فقدان الاتصال المادي مع المخطوطات قد يؤدي إلى تراجع تقديرنا لقيمتها التاريخية. ومع ذلك، فإن الرقمنة ليست بديلاً عن الأصل، بل هي وسيلة لحمايته وإبراز قيمته.

إن رقمنة المخطوطات ليست النهاية، بل هي بداية لمرحلة جديدة في علاقة الإنسان مع تراثه. من خلال هذه العملية، يعيد التراث التليد تعريف دوره في الحاضر. لم تعد المخطوطات مجرد آثار جامدة، بل أصبحت مصدرًا للإلهام والإبداع، وأداة لتعزيز الحوار بين الثقافات.

يمكن أن تصبح هذه النصو ص القديمة، بفضل الرقمنة، نقطة انطلاق لاكتشافات جديدة، سواء في الأدب، أو الفلسفة، أو حتى العلوم. إنها ليست مجرد صفحات من الماضي، بل نوافذ تطل على أفق بلا حدود.

فمن الحبر الذي سكبه الأجداد على الورق إلى البِتّات التي تحفظه اليوم في الفضاء الرقمي، تعيش المخطوطات رحلة خالدة. إنها رمز لاستمرار المعرفة، وتجسيد لإرث الإنسان الذي يسعى دومًا لحفظ حكمته ومشاركته مع الأجيال.

إذًا رحلة المخطوطات إلى العالم الرقمي ليست فقط شهادة على عبقرية التقنية، بل هي أيضًا دليل على احترامنا للماضي وإيماننا بقدرته على إثراء الحاضر والمستقبل. إنها دعوة لنا جميعًا لأن نكون أوصياء على هذا التراث، وأن نحمله معنا في رحلتنا نحو المستقبل.

سكرتير التحرير

د. منى مجاهد المطري

السجن في شعر صعاليك العصر الأموي
دراسة موضوعية فنية

أ. منال محمد المهري
الإمارات العربية المتحدة - دبي

الحمدلله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين، أما بعد:

منذ أن عرفت الحياة العربية فن صناعة الكلمة، وما يحيل إلى قوتها الكامنة الموظفة في الشعر والنثر، تعددت الاتجاهات والقضايا التي رسمت بها خلال العصور، وتطورت وفق سياقات الأحداث التي مرت بها البشرية، لاسيما الكلمة الشاعرة ومدى تأثيرها في النفوس.

لذلك كان لي شرف الوقوف أمام الشعراء الصعاليك وكلمتهم الشاعرة المؤثرة، فاخترتُ شعر السجن عندهم لكونه الأكثر تأثيرًا فجعلت بحثي بعنوان (شعر السجن عند الشعراء الصعاليك في العصر الأموي - دراسة موضوعية فنية) الذي ينطوي تحت مظلة أدب السجون، الذي يعمد إلى ارتباط الإبداع الأدبي بتجارب السجن والاعتقال. وقد حصرته على فئة الصعاليك في العصر الأموي، إذ أن هذا اللون يعد من المستجدات التي ظهرت في شعر صعاليك تلك الفترة، نتيجة تمايز حياتهم التي خضعت فيها للسلطة وحكومة دولة، مقابل حياة الصعاليك في الجاهلية الذين تمتعوا بمجتمعات قبلية لا حكومة لها، ولا سلطان لأحد على أحد.

ومن الدوافع والأسباب التي قادتني إلى دراسة هذا البحث، أُرصدها في جانبين؛ الذاتي والموضوعي. فاختياري الذاتي؛ تمثل في قناعتي الشخصية، واستهوائي للموضوعات التي تدور حول حياة الصعاليك وقصصهم الحافلة بالأحداث. أما رؤيتي الموضوعية فتكمن في دراسة الفن الذي تمخض من رحم المعاناة وثورة التحرر من قيود السجن، وذلك بناءً على قلّة البحوث التي أوْلت عنايتها لهذا الغرض - شعر السجون- مقابل الأغراض الشعرية الأخرى، وبالإضافة إلى دراسة بعض شخصيات الصعاليك التي غمرتها الدراسات الأدبية .

وعلى ضوء هذا الطرح وتأسيسًا لما تقدم، تتضح وتتبلور معالم إشكالية البحث: فيما يتجلى

الخطاب الشعري لدى الصعاليك في السجون؟ لذا كان لابدَّ من الوقوف على عدّة تساؤلات قبل الخوض في البحث علّها بذلك تفتح آفاقًا معرفية حول هذا الجانب.

ومما أطرح من تساؤلات حول الموضوع يكمُن في: كيف كان حضور السجن في الشعر العربي؟ وما مفهوم شعر السجون؟ وما العوامل التي مهدت لبروز هذا اللون في العصر الأموي دون ما الجاهلي وصدر الإسلام؟ وكيف عالج السجين اغترابه النفسي بين جدران السجون؟ وما الخصائص الموضوعية والفنية التي نسج منها هذا النوع من الشعر؟.

وبعد اطلاعي على بعض المصادر، تجلت أمامي عدد من الدراسات التي تمظهرت لدى الباحثين، لذلك قمت بإحصاء بعض هذه الدراسات التي دُونت في شعر السجن عند الصعاليك، من الأمثلة على ذلك: كتاب " الشعراء الصعاليك في صدر الإسلام والعصر الأموي" حسين عطوان[١]، وكتاب" الصعاليك في العصر الأموي – أخبارهم وأشعارهم" لمحمد رضا مروَّة[٢]، "موسوعة الشعراء الصعاليك" للدكتور حسن جعفر نور الدين[٣]، و"أشعار اللصوص وأخبارهم" للكاتب عبد المعين الملوحي[٤]، ومقالة عبد الرحيم حاج يحيى المعنونة "السجون في مرآة الشعر"[٥]. بالإضافة إلى "أناشيد الصعاليك - مختارات من أشعار المخلوعين والمسجونين والبائسين" لمحمد مظلوم[٦]، وشعر الشكوى من السجن "في العصر الأموي" للدكتور عبدالكريم يعقوب وعلي عبدالله[٧] وغيرها مما تم اعتماده بين صفحات البحث.

وقد تمت دراسة هذا البحث وتقسيمه إلى تمهيد وثلاثة فصول، يتجلى في كل منهما ما يأتي:

تمهيد [في مفهوم السجن وحضوره في الشعر العربي]: فقد حمل بين طياته مفهوم السجن لغة واصطلاحًا، مرورًا بالمراحل التي تطور فيها السجن مع ظروف البيئة وآلياتها، ثم بعض النماذج الشعرية التي كانت شاهدة على الوجه الخفي لسطلة بعض الخلفاء في مراحل مختلف من تاريخ الأدب العربي.

الفصل الأول [شعراء سجن الصعاليك في العصر الأموي]: والذي أدرجت فيه فئات الصعاليك ومسمياتها في العصر الأموي، وأسماء بعض الشخصيات التي مثلت تلك الفئات. بالإضافة إلى لمحةٍ سريعةٍ حول ثمان شخصيات مغمورة، في محاولة للتعريف بحياتهم وقصص سجنهم، وبيان خطوط سير حياة الصعاليك الداخلية المختلفة، وأن تشابهت في ظروفها الخارجية.

الفصل الثاني [موضوعات شعر السجن عند الشعراء الصعاليك في العصر الأموي]: والذي تطرقت فيه للموضوعات الشعرية التي حذقها الصعاليك السجناء، فتميزت أشعارهم بالتعبير الصادق عن ذاتيتهم المتأسية، فكانت لثروتهم الشعرية إسهامات في تطور حركة الصعاليك وثورتها في سبيل الحرية.

الفصل الثالث [السجن في شعر صعاليك العصر الأموي دراسة فنية]: والذي ذهبت فيه إلى تحليل مقطوعة لـ السمهري، كنموذج لشعر صعاليك العصر الأموي عن السجن، وما يُميزه

من سمات وخصائص فنَّية.

أما المنهج المتبع في البحث فهو التحليلي الوصفي، إذ حاولت جمع الشعر عن السجن لدى الصعاليك، وعملت على استقرائه وتحليله ووصفه، حتى خرجت إلى أهم النتائج التي دونتها في نهاية البحث -الخاتمة- والتي تمثلت في: غزارة نتاجهم النابع من ذاتيتهم المتأسية، والقدرة على تشكيل الإبداع الشعري وتجويده والجرأة فيه.

وعلى الرغم من الدراسات حول الموضوع، إلا أنها تظل شيئًا يسيرًا لاسيما في ما يتعلق بشعر السجن عند الصعاليك، مقارنة بالقضايا الأدبية الأخرى عندهم. ولربما كان ضياع الكثير من النصوص الشعرية الأدبية، نتيجة الظروف والتحولات التي مرت بها الدولة الإسلامية، فلم يصل إلينا إلا القليل منه إحدى الصعوبات التي واجهتني. وكذلك قلَّة الدراسات حول شعر السجون، ثم قلّة التراجم عن الشعراء الصعاليك، لاسيما أن معظمهم مغمورون. إلا أن ذلك لم يخذلني عن إتمام هذا البحث، فقد كانت النصوص التي وقفت عليها وقفةً كافية لإعطاء صورة عن هذا الجانب (السجن) في حياة الصعاليك في العصر الأموي.

التمهيد: في مفهوم السـجن وحضوره في الشعر العربي

حفل الأدب العربي ببروز حركة شعرية فعّالة، تمخضت نصوصه من رحم المعاناة بين جـدران السجون وسياج الطغيان. فكان فيض أشعاره ترويه أحرفٌ من صمود، وثورة حبر ترفض الجحود، وقرطاس مجنح من أمل مشهود، يجسده السجين بين أيدي ذوات سُلطة، فترغم الألم وتخلق الأمل.

والسجون مفروضة بالتزامن مع الإنسانية، فمنذ أن كانت الخليقة على وجه الأرض، فإنها مارست السجن أو الأسر بطريقة أو بأخرى. وقد أشار المعوش إلى البيئة العربية وسجونها في قوله: "كان وجود السجون في الحياة العربية عمومًا بالمفهوم نفسه الذي عرفته الأمم الأخـرى"(٨)، إلا أنه لم يعرف عن العرب الجاهليين أماكن مخصوصه لهذا الغرض، فالمعاقب أو السجين كان يُحتجز حسب ما توفره الظروف البيئية، أما في خيمة أو دار أو بئر.

وما إن ظهر الإسلام وقامت الدولة الإسلامية، لم يكن هناك حاجة ماسة للسجون، فقد برزت المدونة العقابية المستندة على القرآن الكريم والسنة النبوية واجتهاد الفقهاء في القصاص بعد إثبات الإدانـة، فيلجؤون إلى السجن في حال المخالفات التي لم تحكم بها الشريعة الإسلامية كالخمر وغيره. ورغم هذا لازال السجن لم يأخذ طابعة الخاص في المبنى، إلى أن جاء زمن الفتن والحاجة الملحة لمعاقبة الخارجين على الدولة، فكان أول من بنى السجن الخليفة علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) في انطلاقةٍ لكثرة السجون في العهود اللاحقة، بسبب تزايد الخصومات السياسية والقبلية والمذهبية.

السجن في اللغة: ورد ذكر كلمة السجن في لسان العرب لابن منظور بمعنى الحبس، والسجن بالفتح: المصدر، سَجَنَه، يسجنه سجنًا أي حبسه. والسجِّن: المحبس، فمن كسر السّين فهو مصدر سجنه سجنًا، والسّجان: صاحب السجن، ورجل

سجينٌ: مسجون، وكذلك الأنثى بغير هاء والجمع سجناء وسجنى فعيل من السجن.[٩]

كما وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم، في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، حينما هدده وتوعده بالسجن إذا كفر بألوهيته وآمن بالله ربًا، قال تعالى:﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (سورة يوسف - آية ٢٥). وفي قصّة يوسف عليه السّلام، عندما راودته زوجة العزيز عن نفسه ثم اتهمته بالخيانة، فقال الله تعالى: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة الشعراء - آية ٢٩)، وفي قوله تعالى على لسان يوسف عليه السّلام في تفضيل السجن: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (سورة يوسف - آية ٣٣). وهذا يؤكد أيضًا ما ذكرته من أن السجن متأصل في حياة الإنسان منذ أمدٍ بعيد.

أما في الاصطلاح فقد تعددت طرق التعبير عنه إلا أن مفادها واحد، فالسجن هو العزلة والعيش بالانفراد عن الناس، خلف أسوار تدعي التأديب، فتُقيد فيه الحرية وتسلب فيه الحقوق. قد ينصبها الفرد على نفسه بمحض إدارته، فيغترب بنفسه ومخيلته عمن حوله، أو بشكل تُفرض عليه، فتشكلها جدرانًا باردةً، باهتة اللونِ موحشة العيش.

وهذا ما ذهب إليه محمود الكدواني في قوله:"الحبس تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه أو الخروج إلى أشغاله ومهماته الدينية والاجتماعية، وليس من لوازمه الجعل في بنيان خاص معد لذلك، بل الربط بالشجرة حبس، والجعل في البيت أو المسجد حبس..."[١٠].

أما العقاد فقد عرَّف السجن على أنه "مكان لاعتقال الأسرى أو المحكوم عليهم بالموت، ثم أصبح مكانًا للتخلص من بعض المغضوب عليهم، أو الواقفين في طريق ذوي السلطان"[١١]. ويوافقه سالم المعوش في أن السجن "مؤسسة عقابية تهدف إلى ردع المذنب عن عمله وإنزال العقوبة به وحجزه بغية تأديبه"[١٢].

إذًا فالسجن هو ذاك المكان الذي ينحشر فيه الشخص، ويجبر على الانعزال تحت مسمى مؤسسة عقابية تأديبية، تشكلها سُلطة ما، تفرض قوانينها على من يخالف هواها أو نُظمها، وتُبدد طغيان سُلطتها على معتقلها، فتقمع فيه حريته وتُخعله رداء الإدارة والإرادة.

وقد سلطت صفحات الأدب العربي بضوئها على أدباء كان من نصيب أقدارهم أن تهفوا بهم في ظلال السجن، فعايشوا واقعهم وعكسوا تفاصيله في مؤلفات فاضت بها المكتبة العربية. فعبروا بالزخم الإنساني عن شكل من أشكال التعبير، ووسيلة من وسائل النضال والكفاح والمقاومة ضد الاضطهاد تحت سقف أدب السجون.

وقد حفظت لنا كتب التاريخ والأدب نماذج شعرية لأدباء ذاقوا مرارة السجن، وأباحوا لأنفسهم كشف الوجه القاتم لسلطة الخلفاء والأمراء في مراحل مختلف من تاريخ الأدب العربي. ولعل أولى النصوص الشعرية التي وصلت إلينا من هذا اللون، قصيدة عدي بن زيد العبادي التي طبع فيها الشكوى، ورفعها للنعمان ابن المنذر مبرئًا نفسه من تهم الوشاة ومؤكدًا إخلاصه للملك:

أَلا مـــن مُبـــلغُ النُّـــعمانَ عَنِّـــي
وقـــد تُـــهدَى النَّـــصيحَةُ بالَمـــغيبِ
أَحـــظِّي كـــانَ سِلـسِلَـةً وقَـــيدا
وغُـــلا والبَـــيانُ لَـــدَى الطَّـــبيبِ
وهُـــم أَضـــحَوا لَديكَ كما أرادوا
وقـــد تُـــرجَى الـــرَّغائبُ مِن مُثِـــيبِ
أتـــاكَ بـــأَنـــنَّي قَـد طـــالَ حَـبسي
فـــلَم تَـــسأَل بمَـــسجُونٍ حَـــرِيـــبِ[١٣]

وبين نفحة متأسية تجسدها مرارة الوحدة والغربة، في شعر ضابئ بن الحارث البرجمي حينما سجنه عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وبقي فيه حتى الممات:

مَـــن يَـــكُ أَمـسى بِالـمَدينَةِ رَحـــلُهُ
فَـــإِنّـــي وَقَـــيّارٌ بِـــها لَـــغَريـــبُ
فَلا تَـجزَعَن قَيّارُ مِن حَبسِ لَـيلَةٍ
قَـضِيَّةَ ما يُـقضي لَـنا فَنـــؤوبُ[١٤]

وفي وصف عبدالله بن معاوية لحياة السجين، والنفي من وسع الدنيا وطيبها إلى ضيق السجن، فكأن المسجون منفي من الأرض إلا من موضع استقراره :

خَرَجنا مِنَ الدُنيا وَنَحنُ مِـنَ اَهلِها
فَلَسنا مِنَ الأَمواتِ فيـها وَلا الأَحـيا
إِذا دَخَـلَ السَـجّانُ يَـوماً لِحـاجَـةٍ
عَـجِبنا وَقُلنا جـاءَ هَـذا مِنَ الـدُنيا
وَنَـفرَحُ بِالـرُؤيا فَجُـلُّ حَديثِنا
إِذا نَحنُ أَصبَحنا الحَديثُ عَنِ الرُؤيا
فَـإِن حَسُنَـت كانَت بَطيئاً مَجيئُـها
وَإِن قَبُحَت لَم تَنتَظِر وَأَتَت سَعيا[١٥]

ولم يشتهر شاعر عربي كشهرة أبي فراس الحمداني في مجال السجن والنفي، فقد زخر ديوانه برومياته التي بث فيها معاناة الأسر والسجن، وشعوره الحاد بالغربة والوحدة. ففي إحدى قصائده الشهيرة التي بعث بها إلى والدته يعزيها وقد ثقلت جراحه:

مُصـــابي جَليلٌ وَالـــعَزاءُ جَمـــيلُ
وَظَـــنّي بِـــأَنَّ اللَهَ سَـــوفَ يُـــديلُ
جراحٌ وأسـرٌ، واشتياقٌ، وغربةٌ
أُحَمَّـــلُ! إنّـي، بـــعدها، لَـــحَمولُ![١٦]

ومع هذه الأمثلة كلها، فقد عاش الصعلوك[١٧] الأموي تجربة المطاردة من قِبل رجال الدولة، لتكون نهايته حبيس جدرانها، فكان شعره مرآة عكست حالته الشعورية، التي طغى عليها الحزن والألم من جور الحياة وقساوتها، وهذا ما دفع به إلى إنتقاء ألفاظه الموغلة في الوعورة والخشونة، لتبين شدة غلظة نفسه التي أجبرت على الحياة، وهو ما سأفصل القول فيه في الصفحات القادمة

الفصل الأول: شعراء سجن الصعاليك في العصر الأموي

(التعريف بحياتهم وقصص سجنهم)

عرفت العصور الأدبية حركة الصعلكة واللصوصية، كظاهرة اجتماعية إنسانية، ونشاط نشأ وسط ظروفٍ حفَّ بها الفقر والضعف. ولعل سُلطة الدولة الأموية التي جاءت رادعة لذاك التمرد، في فكرة حماية الضعفاء وتأمين الحياة العامة، وفق ما يتطابق مع وظيفة السُلطة وهي "الوظيفة التي تقوم على سن القوانين، وحفظها وتطبيقها ومعاقبة من يخالفها، وهي تعمل على تغييرها وتطويرها كلما دعت الحاجة"[١٨]، فهي

وظيفة لا غنى عنها لوجود الجماعة واستمرارها، ومتابعة نشاطاتها ضد صروف الدهر.

إلا أن هذه الوظيفة انحرفت عن مسارها نتيجة الجو السياسي الذي ساد الدولة، إذ كان حافلاً بالتوتر والاضطرابات التي بلغت ذروتها في الصراعات التي تنفجر بين الحين والآخر. فكانت هذه الوظيفة تخدم فئة قليلة من فئات المجتمع الأموي، والتي كان بدورها تدعم ظهور سلطة جديدة تحت مسمى الدولة الأموية، في حين أنها ضيقت بسياستها على بقية الفئات السائدة، مما أفسح المجال لظهور أحـزاب وحركات معارضة خرجت على سُلطتها.

فشكلت حركة الصعاليك ثورة قوية قامت على غزو القبائل، بمشروعية استرجاع حقوقهم المسلوبة، لتبرز أربعة فئات، نشأت وفق ظروف مختلفة، كما يذكرها محمد رضـا مـروَّة في كتابة[١٩]:

فئة الصعاليك الفقراء: وهي التي نشأت في ظل السياسة الاقتصادية الظالمة، إذ اتصلت نشأتها بالأيام التي عم فيها العسف والجور في الدولة الأموية، فكانت تمدُّ يد المساعدة والعون للقبائل التي تقف معها وتساعدها، وتُقلل من تلك المساعدات للقبائل التي كانت تُناهضها، أو تقاطعها في كثير من الأحيان. فتلقفت تلك القبائل المناهضة شتى ألوان العذاب والشدَّة، إذ كانت تجورعليها في فرض الصدقات، وتتجبر في أخذها منها. ومن مثل هذه الفئة من الصعاليك: مالك بن الريب التميمي، وأبو النشناش التميمي، وطهمان بن عمر الكلابي، وجحدر بن مالك الحنفي، والسمهري بن بشر العكلي .

فئة الخلعاء والشذاذ: وهم من تخلت القبائل عنهم نظرًا لانحراف سلوكهم في قبائلهم أو في غيرها فخلعتهم وتنصلت منهم ، وتوقفت عن المطالبة بحقوقهم والنهوض بجرائرهم ابتغاء المحافظة على مركزها ووحدتها أمام القبائل الأخرى. من أمثال: الخَطِيم العُكليَّ، ومسعود بن خرشة التميميَّ، وعبيد بن أيوب العنبري، ويعلى الأحول اليشكري.

فئة الفارين من العدالة: وهؤلاء من ارتكبوا جنايات واعتدوا على غيرهم، إما بالقتل أو بالسرقة، فوصلت أعمالهم الشاذة إلى الولاة والخليفة، فطُلبت قبائلهم بهم وفروا من الطلب والعقاب. ومنهم : القَّتال الكلابي، والقَّتال الباهلي، والهيزدان بن خطار، وعبد الله بن الأحدب السّعدي التميمي، والأحيمر السعدي التميمي، ومسعود بن خرشة التميمي.

فئة الصعاليك السياسيين: وهم الذين يئسوا من تصارع الأحزاب وتطاحنها على الخلافة، ويئسوا من عدل الدولة الأموية. فناصبوها العداء، وخرجوا منذرين متوعدين وثائرين عليها ومنهم: أبو حَردبة المازني التميميّ، وعبد الله بن الحجاج الثعلبي، وعبد الله بن الحر الجعفي.

رغم تعدد أسباب نشأة هذه الفئات، إلا أن الفقر يبقى هو العامل المشترك بينها، مما أباحوا لأنفسهم قطع الطرق والإغارة بالسلب والنهب، وفق فلسفة إيجابية قصدوا منها إطعام الفقراء من أموال الأغنياء، وكأنهم يؤكدون أن للفقير حقٌ في مال الغني، وذلك ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف في أن الصعلكة تحولت "في أواخر العصر الجاهلي إلى نظام يشبه نظام الفروسية،

وهي حقًا تقوم على السلب والنهب، ولكنهم كانوا لا يسلبون ولا ينهبون سيدًا كريمًا"[٢٠].

واللافت في الموضوع أن هذه الجماعة عاشت حياة ثورية تحارب الفقر والاضطهاد، ساعية للتحرر في شكلها المتمرد، أن تجمع بين السيف والقلم. فجاءت معظم قصائدهم تردد صيحات الفقر والجوع، وتبين شجاعتهم ومقدرتهم في تحديهم لمجتمعهم. فعبروا عن ذاك التشرد الذي سكن أرواحهم، ونمَّا في عقولهم أفكارٍ كان نتاجُها تلك الثورة الأدبية التي أثبتوا من خلالها وجودهم.

وإن لم يكن عدد الشعراء الصعاليك الذين دونت أشعارهم بتلك الكثرة، إلا أنهم شكّلوا ملحمًا بارزًا من ملامح الشعر العربي. وأنوه هنا إلى أن ما تم ذكره عن الصعاليك الشعراء في العصر المذكور، ما هو إلا على سبيل التّمثيل لا الحصر، وعلّني اتعرضُ لبعض هذه الشخصيات وشيءٍ من مختلف أشعارهم المدونة بين جدران السجن في بحثي هذا، ومن أهمهم:

■ جُحدر الحنفي:

فهو جحدر بن مالك بن الحنفي، الملقب بـ (جحدر اللص)[٢١]، شاعرٌ لَسِن فاتك من بني حنيفة ساكني اليمامة، وصعلوك يقطع الطريق وينهب الأموال حتى أثار الرعب في أهل اليمامة وعُمان. لم يثبت له تاريخ ولادة أو وفاة، إلا أنه اشتهر بإغارة على "الأسواق وينهب ما بها من الإبل وروائع التحف الجلدية"[٢٢] في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي، زاعمًا أنه لم يكن يسرق إلا ليشتري لنفسه ثوب بعد أن تُبلى ثيابه، فجاء واصفًا إحدى غاراته:

وإنّ امـرءًا يعـدو وحَجـرٌ وراءه
وجـــوٌّ ولا يغـــزوهما لَضعـــيفُ
إذا خُلَّـــةٌ أبلـــيتُهَا ابتـــعتُ حُـــلَّةً
بســـانية طـــوعُ القـــياد عـــليفُ
سعـــى العـــبدُ إثـــري ســـاعةً
ثـم ردَّه تَـــذَكَّرُ تَنُّورٍ له ورغيف[٢٣]

لم تتناول المصادر الأدبية الكثير عن حياته، إلا أنها تناقلت قصة كانت له مع الحجاج والأسد الذي تواجه معه، وسأورد هنا ما أتى به الجاحظ في أخباره لمحاسن الشجاعة[٢٤]، إذ يقول "فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب إلى عامل اليمامة، يوَّبخه بتلاعب جحدر به، وأمره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به. فبعث العامل إلى فتية من بني يربوع بن حظلة فجعل لهم جعلاً عظيمًا إن هم قتلوا جحدرًا أو أتوه به أسيرًا ووعدهم أن يوفدهم إلى الحجاج ويسني فرائضهم. فخرج الفتية في طلبه حتى إذا كانوا قريبًا منه بعثوا إليه رجلاً منهم يريه أنهم يريدون الانقطاع إليه والتحرم به، فوثق بهم واطمأن إليهم، فبينما هم على ذلك إذ شدوه وثاقًا وقدموا به إلى العامل فبعث به معهم إلى الحجاج وكتب يثني على الفتية. فلما قدموا على الحجاج قال له: أنت جحدر؟ قال: نعم. قال: ما حملك على ما كان منك؟ قال: جرأة الجنان، وجفاء السلطان، وكلب الزمان، فقال له الحجاج: وما الذي بلغ من أمرك فيجترئ جنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك؟

قال: لو بلاني الأمير لوجدني من صالحي الأعوان وبُهْمِ الفرسان، وممن أوفى على أهل الزمان. قال له الحجاج: إنا قاذفوك في قبة فيها أسد، فإن قتلك كفانا مؤونتك، وإن أنت قتلته خليناك ووصلناك، قال: قد أعطيت أصلحك

الله الأمنية، وأعظمت المِنّة، وقربت المحنة. فأمر به فاستوثق منه بالحديد وألقي في السجن، وكتب إلى عامله بكسكر يأمره أن يصيد له أسدًا ضاريًا، فلم يلبث العامل أن بعث إليه بأسود ضاريات قد أبرت على أهل تلك الناحية ومنعت عامة مراعيتهم ومسارح دوابهم، فجعل منها واحدًا في تابوت يجر على عجلة، فلما قدموا به على الحجاج أمر فأُلقي في حيز وأجيع ثلاثًا.

ثم بعث إلى جحدر فأخرجهُ وأعطي سيفًا ودلي عليه فمشى إلى الأسد وأنشأ يقول:

لَيــــثٌ وَلَيــــثٌ فـي مَـجـالٍ ضَنـكِ
كِـــــلاهُمـــا ذو حَـــنَقٍ وَمَـــحكِ
وَشِـــــدَّةٍ فـــي نَفـــسِـــهِ وَفَـــتكِ
إِن يَكشـفِ اللَهُ قِـــــناعَ الشَـــكِّ
بـِضَـــفرٍ مِـــن حـــاجَتـي وَدَركِ
فَـــهـوَ أَحَـــقُّ مـــــنزِلٍ بِتَـــركِ
الـــذِئـبِ يَعـــوي وَالغـُرابُ يَـبكي

حتى إذا كان منه على قدر رمح تمطَّى الأسد وزأر وحمل عليه فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الأسد كأنه خيمة قوضتها الريح فانثنى جحدر وقد تلطخ بدمه لشدة حملة الأسد عليه فكبر الناس، فقال الحجاج: يا جحدر إن أحببت أن ألحق بـبلادك وأحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك، وإن أحببت أن تقيم عندنا أقمت فأسنينا فريضتك. قال اختار صحبة الأمير ففرض له ولجماعة أهل بيته، وأنشأ جحدر يقول:

يـــا جُمـلُ إنكِ لَو شَـهِدتِ بَسالَتي
فـي يَـومِ هَـــولٍ مُسـدِفٍ وَعَـجاجِ
وَتَـقَـدُّمـي لِلـيثِ أَرسَـفُ مـوثَقاً
حَتّـى أَكـــابِـــرَهُ عَـــلى الأَحـــراجِ
لَعَـــلِمتِ إِنّـــي ذو حِفـــاظٍ مـاجِدٌ
مِـن نَســـلِ أَقـوامٍ ذَوي أَبـــراجِ"

وهذه القصة تداولتها أكثر الكتب الأدبية، وله قصائد أخرى سأتطرق إليها في صفحات البحث القادمة.

■ جُحدر العُلكي:

وهو جحدر بن لكيمعاوية العلكي، لم يذكر له تاريخ ولادة في حين أنه أشير إلى وفاته في ١٠٠هـ/٧١٨م[٢٥]. ولم تحظ شخصيته بدراسة تفاصيل حياته، فكلما عُرف عنه احترافيته في قطع الطرق والإغارة، التي أودعت به إلى سجنٍ في الكوفة على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي بث منه بأشعاره.

فأبان كرهه للسجن واكتظاظ جماعة المحبوسين فيه، وما يتلقوه من أقسى ألوان العذاب والعقاب، وكأن السجن النار التي توعد الله بها المشركين، فوصفه بأنه أبغض بيت عند الله:

يـا رَبُّ أَبغَضُ بَيتٍ أَنـتَ خـــالِقُهُ
بَيـتٌ بِكَوفـانَ مِنهُ أُشعِلَت سَقَرُ[٢٦]

ويبدو أن تجربة السجن نقلت حالة العلكي من التلصص والنهب إلى الدعوة للتسليم بالقضاء والقدر، والوعظ في التوبة والنهي عن التسرع. فأنشد فيما يشبه الحكيم الواعظ الـذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، حيث يقول:

إِذا انقَطَـعَت نَفسُ الفَتى وَأَجَنَّهُ
مِنَ الأَرضِ رَمسٌ ذو تُرابٍ وَجَندَلِ
رَأى أَنَّـــما الـدُنيا غرورٌ وَأَنَّما
ثَوابُ الفَتى في صَبرِهِ وَالتَوَكُّلِ[٢٧]

السجن في شعر صعاليك العصر الأموي دراسة موضوعية فنية

وفي موضع منها صور فيها حياته وتقلبه بين حياتيِّ النعيم والشقاء، والعسر واليسر، ودعا إلى التأني وإتباع الحق، والنفور من الحمق والطيش والهوى. كما أنه شجع على التآخي في التماسك والتراحم والتآلف، والكف عن التناحر والتخاصم، وعدم الإساءة إلى المساكين والمعوزين والضعفاء. ولعل هذه القصيدة كانت ردة فعل على حياة الصعلكة، وما اكتنفها من تشتت ووحدَّه.

■ القتّال الكِلاَّبي:

اختلف المؤرخون في اسمه، إلا أن الاختلاف يكمن واضحًا في مادة (ع ب د)، فقد ورد باسم عبد الله وقيل عبيد الله وقيل عبيد بن محبّب بن المضرحي بن عامر بن الهصّان بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب[٢٨]، من بطون نجد. يُكنيَّ بأبي المسيَّب أو أبي سليل[٢٩]، فارسًا شجاعًا وبدويًا قحّا يألف القفر.

لم تذكر المصادر له أي تاريخ لمولد أو وفاة، وهذا ما أتاح لبعضهم أن يجعله مخضرمًا أدرك أواخر الجاهلية وعاش في الإسلام إلى أيام خلافة مروان بن الحكم. وقد أشار صاحب الخزانة إلى أنه أدرك جريرًا والراعي والفرزدق، ولعلّه توفّي سنة ٧٠هـ (٦٩٠ م)[٣٠].

والقتال لقب غُلب عليه لتمرّده على السّلطان (الدولة) وفتكه بالناس[٣١]، إذ كان كثير الجنايات سريعًا إلى السيف، يقتل دفاعًا عن النفس، ويقتل مبتدئًا متعمدًا ابتغاء الكسب، ويقتل محترفًا إذا وجد من يحرضه على القتل، فقد كان يقول: "والله ما أقتل أحدًا ظلمًا إنما يجيئني الرجل فيقول: إن فلانًا ظلمني وقد جعلت لك على قتله كذا وكذا فأقتله[٣٢]". وقد ذكر الآمدي ثلاثة آخرين وسموا باللقب ذاته، وهم القتال الباهلي والقتال البجلي والقتال السكوني[٣٣].

ولعل نقطة التحول في حياة القتال التي قادت به إلى سلسلة لا تنتهي من الفتك والتمرد والتشرد، قتله لابن عمه زياد بن عبيد الله المضرحي دفاعًا عن نفسه لا شهوة في القتل، بعد أن حاول هذا قتله لعلاقته بشقيقته العالية[٣٤]، وهذا ما جعل من قبيلته تتخلى عن حمايته. فكان طريدًا لأهل القتيل أولاً، ثم طريدًا للسلطان والقانون، بعد أن هانت عليه الجريمة، وأصبح قتالُ متشردًا مكروهًا.

إلا أن شعاع الفطرة الإنسانية التي جُبِلَ عليها، ألقت بسهم الندم الذي تسرب إلى نفسه، وما لبث إلا أن كان عابرًا يزول أمام أي تصميم جديد. فأنشد في حادثة ابن عمه قائلاً:

نَهَيْتُ زياداً والمهامِـــهُ بَينَنا
وذكّـــرْتُهُ باللّـه حَـوْلاً مُجَرَّمَا
فلما رأيتُ أنَّـهُ غيـــــرُ مُنْتَـهٍ
ومـولايَ لا يـزدادُ إلّا تَقَدُّمَـا[٣٥]

ولما اشتد الطلب عليه بعد مقتل زياد، كان مروان بن الحكم يومئذ واليًا على المدينة فحفز الولاة القائمين على شؤون نجد بالبحث عنه، وأجزل الجائزة لمن يدل عليه "من يدلني على القتال من مملوك فهو حر ومن كان حرًا فله كذا وكذا[٣٦]". وكان مختبئًا عند حبيب بن جبار بن سلمى العكلي، فأغرت الجائزة رجلاً من بني العجلان فدل عليه، فلما أحس حبيب برجال الدولة أدخله في حجلة ابنته زينب، فلبس ثيابها وبرقعها ولطخ يديه بالحناء متنكرًا، وقد أشار إلى هذا في قوله:

فمـنْ مُبْـلِغٌ فِتـيانَ قومـــيَ أنَّني
تسمَّـيْتُ لمَّـــا شبَّت الحَرْبُ زَيْنبا
وأرخيتُ جِلْبابي على نبْـت لِحْيتي
وأبديتُ للنَّاسِ البَنانَ المخضَّبا(٣٧)

ويلجأ القتال إلى البرية هاجرًا حيَّهُ، فدخل شعاب عماية حماية لنفسه، فقضى فيها وقتًا مختفيًا عن أنظار الناس، وتذكر الروايات أنه ألف نمرًا كان يأوي إلى ذاك المكان(٣٨)، وذلك ما أشار إليه في أبيات:

جَـزى اللَّهُ عَنَّا والجـــزاءُ بكـفِّهِ
عَـمايةَ خـــيراً أُمَّ كـلِّ طريـــدِ
فـما يزدهِيها القـومُ إنْ نزلُوا بها
وإن أرسـل السُّلطـــانُ كلَّ بَريدِ
حَـمَـتْنِيَ منـــها كلُّ عَنقـــاءَ عَيْطَلٍ
وكـلُّ صفا جَمّ القِلاتِ كؤودِ(٣٩)

وسمع القتال بأن الخليفة مروان بن الحكم يرسل في طلبه فأدركه الحذر ورغم أنه غير ممعن في العصيان ولكن خوفه من مروان هو الذي منعه من القدوم عليه:

أَيُـرْسِلُ مـروانُ الأميرُ رسالـــةً
لآتِيَـــهُ، إنـــي إذنْ لَمُضَـــلَّلُ
ومـا بيَ عصْيانٌ ولا بُعْـدُ منـزلٍ
ولكنَّني من خَوفِ مروانَ أوْجَلُ(٤٠)

لم تذكر المصادر كيف اهتدى رجال الدولة إليه وقَبض عليه، إلا أنها أدلت بقصة هروبه التي نتج عنها قتل اسماعيل بن هبار بن الاسود ابن المطلب، وكان من فتيان أهل المدينة. ومما ورد في قصة قتله روايات اختلف فيها، فمنهم من أورد في أن أحدًا قد استأجر القَتال لقتله، وفيها :"أرأيت إن أنا أخرجتك أتقتل ابن عمي المعروف بابن هبار؟ قال: نعم، قال: فإني سأرسل إليك بحديدة في طعامك فعالج بها قيده حتى تفكه ثم البسه حتى لا تنكر فإذا خرجت إلى الضوء فاهرب من الحرس فإني جالس لك ومخلصك ومعطيك فرسا تنجو عليه وسيفا تمتنع به.."(٤١) ومن ذكر أن ابن هبار هو اسم السجَّان الذي اغتاله الكلَّابي وهرب وفي كلا الروايتين يوثق لها بأبياته التي قال فيها:

تـركتُ ابنَ هَبَّارٍ لـدَى الباب مُسْنداً
وأصـــبحَ دُوني شـابَةٌ وأُرومُـــها
بسيـف امـرئ ما إن أُخَبِّرُ بـــاسمهِ
وإن حَقَرتْ نفسي إليَّ هُمومُها(٤٢)

ولعل الكَّلابي بقي طريد رجال الدولة، يجوب الفيافي ويستجير بشعابها مرة أُخرى حفاظًا على نفسه، فلم يذكر أنه قّبض عليه أو قُتل، وبذلك يكون قد فارق الحياة بصورة طبيعية، بعد أن قضى جُل حياته ينفذ من حد السيف.

■ السمهري العُكلي:

وهو السَمهَري بن بشر بن أويس بن مالك ابن الحارث بن أمين العُكلي، يُكنى بأبي الديلم. كان كثيرًا ما يغير على القوافل المارة بطريق الكوفة بمكة أو بطريق نخل والمدينة. عاصر أيام عبدالملك بن مروان، الحقبة التي اشتد فيها الظلم والبغي، وكان هذا الظلم سببًا من أسباب تصعلك بعض الشعراء الأموي(٤٣).

والذي حمل السمهري إلى السجن، اندفاعه وتأبده في قلب الصحراء مع رفاق له سعيًا وراء توفير العيش، بعد أن أكله الفقر. ولحادثة قتل

عون بن هبيرة المخزومي، صلة في جعل عسكر الخليفة المرواني عبد الملك يطلبونه ويلحون على الإمساك به، ومما يروى عنه أنه لقي وبعض صحبته، مجموعة تقصد الكوفة - منهم من قال المدينة - ومن بينهم عون بن هبيرة المخزومي، فقالوا له العراضة؛ أي أن يأمر لهم بشيء مما عنده، فقال لغلامه: جفن لهم، فقالوا: لا والله ما الطعام نريد، فقال: عرضهم، فقالوا: ولا ذلك نريد. فإرتاب بهم فشد سيفه وأخذ عليهم وهو صائم، فكان من بين صحبة السمهري صعلوكًا يدعى هبدل بن قرفة الطائي، والذي عُرف عنه أنه لا يسقط له سهمًا، فرمى عونًا فأقصده، وشاع خبر موته.

وما أن بلغ الخليفة عبدالملك بن مروان الخبر، حتى كتب إلى الحجاج بن يوسف وهو عامله على العراق، وإلى هشام بن إسماعيل وهو عامله على المدينة، وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عون، ويبالغوا في ذلك وأن يأخذوا السعاة به أشد أخذ، ويجعلوا لمن دل عليهم جعلة. حتى أنه في أحد الأيام مر بطريق نخل فقالت عجوز من بني فزارة: أظن والله هذا العكلي الذي قتل عونا، فوثبوا عليه فأخذوه ومر أيوب بن سلمة المخزومي، فقالت له بنو فزارة هذا العكلي قاتل عون ابن عمك فأخذه منهم، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عامل المدينة فجحد وأبى أن يقر فرفعه إلى السجن فحبسه.[٤٤]

مكث السمهري زمنًا طويلاً في السجن، فلما أيقن أن نفسه غير ناج، جعل يلتمس الخروج من السجن والناس مشغولة بصلاة الجمعة، إذ استطاع فك إحدى حلفتي قيده ورمى بنفسه من فوق السجن، وفر هاربًا حتى ولج في غار. وعم خبر فراره بين أهل المدينة، إلا أن الهرب لم يكن حليفه للخلاص مما كان في السجن من قهر وذل، إذ لقي السمهري ابن أخ عون بن هبيرة فاندفع إليه، فقال له السمهري: أتقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمك أنا أم لا؟ فدنى منه وقتله[٤٥].

وقد أورد الصفدي، في كتابه أنه لما أخذ السمهري وحبس وقتل، قصيدة لابن مسافع، يهجو بني أسد ويحرض عكلا وقد كان نديمًا له منها:

أَيا راكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ
على نَأْيِهِمْ مِنِّي القَبائِلَ مِن عُكْلِ
وَكيفَ تَنامُ اللَّيلَ عُكلَ ولَم تَنل
رَضا قُود بالسَّمهري وَلا عَقلِ
فلا صُلْحَ حتى تَنحِطَ الخَيْلُ بالقَنَا
وتُوقَدَ نار الحَرْب بالحَطَب الجَزْلِ[٤٦]

فما عاناه السمهري من غربة المكان والزمان حينما أمسى سجينًا ذليلاً، أقفرَّت أرضه من ملامح الحرية، وحينما بان وحيدًا وقد تخلت قبيلته عن نصره، فاصطرخ بأبيات عيَّب عليهم فعلتهم، لتتلقف روحه اقتصاص ثأر لم يكن قد خلفه.

■ عُطارد بن قُرّان:

وهو عُطارد بن قُرّان من بني صديّ بن مالك، لم يقف المؤرخون على تاريخ ولادته، إلا أن الزركلي أشار إلى تاريخ وفاته في عام ١٠٠هـ\ ٧١٨م[٤٧]. وهو من الصعاليك اللصوص الذين تشردوا وتاهوا في الصحاري والفيافي، المتكلين على الإغارة والغزو والسلب، في أيام تولي الحجاج بن يوسف الثقفي.

ومما ذُكر عنه أنه عاصر جريرًا وهجاه، بعد أن هجا جرير مرَّار البرجمي، فطلبت بنو صدي بن مالك إلى جرير أن يهبه لهم، فقال جرير:

وَهَبتُ عُطارِداً لِبَني صُدَيٍّ
وَلَولا غَيرُهُ عَلَكَ اللِجاما
وَكُنتُ إِذا الشَقيُّ أَبى شَقاهُ
بِهِ أَو حَينُهُ إِلّا عُراما
أُحِلَّ بِهِ وَلَو أَمسى شَطيراً
وَراءَ الرَدمِ داهِيَةً عَقاما[٤٨]

ولم ترصد لنا صفحات الكتب الأدبية قصة سجنه، ولكن يمكن أن أشير إلى أن الدولة الأموية كانت تسعى جاهدة إلى قمع كل من يخرج عن سلطتها وما تدين به، حتى تؤمن الحماية والطمأنينة في أرجاء ممالكها. ولما كان للصعلوك من غارات وغزوات، وبث الرعب في نفوس كل من يلاقيه، كانوا الفئة المستهدفة بذلك القمع، وهذا ما يبدو لي أنه سبب ملاحقة رجال الدولة عطارد. ومما وجدته في أشعار عطارد التي نظمها فترة مكوثه في السجن، أنه زُج خلف قطبان السجن مرتين، مرة يشير في أبياته إلى سجن نجران، وأخرى إلى سجن حجر

■ طهمان بن عمرو الكلابي:

وهو طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن ابن قُريط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب[٤٩]، من سكان المدينة. لم تتضح تفاصيل حياته لذلك لم يعرف له عام ولادة، إنما شاع عنه أنه كان فاتكًا تطول أيام تشرده، يضارب في أعماق الفيافي النائية ساعيًا خلف لقمة العيش بين الإغارة والسلب في خلافة عبدالملك بن مروان.

ومع أن أخبار هذا الشاعر قليلة، تذكر المصادر[٥٠] أن نجدة بن عامر الخارجي قطع يده، بعد أن سرق له بعير. وما كان أن يأخذ العبرة من هذه الحادثة، فقد قدم على أحد الخمَّارين يشرب عنده، وانتهز فرصة السكر وسرق منه أمواله، فاستغاث الخمَّار وشكاه لعبد الملك بن مروان الذي قرر أن يقطع يده الأخرى. فأنشأ قصيدة طالبًا منه أن يعفو عنه، ورجاه إلا تقطع يده:

يَدِي، يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أُعِيذُهَا
بِحِقْوَيْكَ أَنْ تُلْقَى بِمُلْقًى يُهِينُهَا
فَقَدْ كَانَتِ الحَسْنَاءَ لَوْ تَمَّ شَبْرُهَا
وَلَا تَعْدِمُ الحَسْنَاءُ عَابًا يَشِينُهَا[٥١]

ويبدو أنه عانى كثيرًا عندما قطعت يده الأولى، فكيف إن فقد الأخرى؟، وله في يده المبتورة قصة مع هانئ بن يزيد أحد بني ربيعه الذي استهزا به أمام جمع من الناس، مستغلاً ضعفه، إذ رفع الثوب الذي يغطي به يده، فظل حاقدًا إلى أن أخذ بثأره في قطع يد هانئ[٥٢].

والظاهر أن الخليفة عفى عنه ورجع يجوب في الأرض، حتى دفعته صعلكته وسعيه خلف الغارات والنهب إلى ظلمات السجن، ولم تفصل المصادر أحداث الواقعة التي قادت به إلى سجن نجران الذي بث منه قصائده.

أما وفاته فقد كانت في سنة ٨٠هـ/ ٧٠٠م[٥٣]، ولم أجد تفصيلاً حولها، أعمر طويلاً حتى انتهى به المطاف للموت؟ أم أنه رجع إلى طبيعة حياة وقُتل في غارة من غاراته التي يشنُّها في السرقة والنهب؟.

■ يعلّى الأحول الأزدي:

هو يعلى الأحول بن مسلم بن أبي قيس، أحد بني يشكر بن عمرو بن رالان[٥٤]. لم يرد الكثير في أخباره، غير تاريخ وفاته في سنه ٩٠هـ/٧١٠م[٥٥]، وأنه كان لصًا خليعًا يجمع صعاليك الأزد وخلعائها، حتى شكل جماعة يقودها في الإغارة على أحياء العرب، ويقطعوا الطريق على السابلة.

ولِما كان يثير به وأصحابه من فزع بين الناس، شكى به إلى نافع بن الحارث بن محرث الكنائي والي مكة، فشد على عشيرته أن يأتوا به، فقُيد على حين غفلة منه وأتوا به نافع، فأودع به في السجن. ولم تذكر له المصادر إلا قصيدة واحدة تناقلتها، قالها في السجن نتيجة شوقه للبيت العتيق، والتي يأتي في مطلعها:

أَرِقــــتُ لِبَـرقٍ دونَـــهُ شَـــدَوانِ
يَمـانٍ وَأَهــوى البَـرقَ كُـلَّ يَمـانِ
فَبِـــتُّ لَـــدى البَيتِ الحَرامِ أَشيمُهُ
وَمَطوايَ مـن شَـوقٍ لَـهُ أَرِقانِ[٥٦]

وبما أن المصادر لم تثبت من شعره إلا هذه القصيدة، فهل يعني هذا أن طبيعته الشعرية لم تُحفز إلا مرة واحدة؟ أم أن هناك قصائد قالها وضاعت كما ضاع الكثير من أدبنا العربي؟ وإن لم يكن لأول مرة نرى شعراء استمدوا شهرتهم بقصيدة واحدة.

■ أبو النشناش النهشلي:

وهو أبو النشناش التميمي النهشلي، غاب اسمه وطغى لقبه. أثبتت له المصادر أنه ينتمي لفئة الصعاليك الفقراء، الذين نشطت حركتهم أيام التعسف والجو الذي لحق بينهم نتيجة سياسة الدولة الأموية، فضجر من حياة الفقر الشاقة، فامتهن الصعلكة بعد أن قتر عليه أهله وخلعته قبيلته.[٥٧]

غار مع من كان يغير على قوافل العرب بين الشام والحجاز، وارتاد المهالك والمخاطر بغية توفير المغانم والأسلاب، وفي إحدى غاراته قبض عليه أعوان السلطة الأموية وعيونها، فأودعوا به في السجن مدة، إلا أنه تمكن من الهرب.

وفي سبيله نحو طبيعة حياته، مر بغراب ينتف ريشه على بانة، فجزع من أمره، ثم مر برجل كان على معرفه بتأويل الأحداث، فأخبره بخبره على لسان شخص آخر، فقال: "رجل كان في بلاء وشر وحبس وضيق فنجا من ذلك[٥٨]"، فقال له: "إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه وقيده، ويقتل ويصلب[٥٩]"، ومن ثم انقطعت أخباره فالعلم بما حل به غير معلوم.

وحتى لا أطيل، أكتفي في هذا الفصل بما تم تقديمه من لمحاتٍ سريعةٍ حول حياة بعض صعاليك السجن في العهد الأموي، ومن كان لهم دورٌ بارزٌ في الحركة الأدبية في مراحل مختلفة من الخلافة الأموية. أما الفصل القادم؛ فسأتطرق إلى ذاتية الشاعر السجينة المتأسية والمقتصرة على الأغراض الشعرية والتجربة الشعورية في مواضيع فرضتها قيود السجن.

الفصل الثاني: موضوعات شعر السجن عند شعراء الصعاليك في العصر الأموي.

عاش الشاعر الصعلوك السجين حياةً فقد فيها إنسانيته في زخم المعاناة المتجددة بالحسرة والألم، والخوف من احتمالية نزول السخط

عليه، والتأسي بالأمل والنجاة والضفر بعفو الحاكم عنه. فأحرق شاعريته بين زوايا جدرانه في محاولة اختراق حدوده، ليُفجِّرعواطفهُ بين الخيال والحلم الياقظ، ويخلقُ عالمًا يضج بالحياة من حوله، حتى استطاع الانعتاق منه، فتنوعت موضوعاته الشعرية التي طرقها.

فبين الشكوى والخضوع لله بانت أبياته، ووصف السجَّان والسجن وقيوده، والحنين للوطن والشوق للمحبوبة باح بأشواقه، بالإضافة إلى التوسل والاستعطاف والهجاء، اقتصرت تجربته الشعورية.

المبحث الأول: الشكوى والخضوع إلى الله

من الفنون التي تتجلى فيها المشاعر الوجدانية العميقة، وتعكس لغته أوجاع النفس ومدى آلامها وقنوطها. فالشكوى "اظهار ما بك من مكروه أو مرض أو نحوه"[٤٢]، فهو "الوتر الحزين الشجي في قيثارة الفنان الشاعر، يمنح فيها الكلمات ما تحشر في فؤاده من غمة وحسرة، وما تفتن في لعابه من مرارة ولوعة أوجدتها الغربة وقسوتها، أو الدهر ونوائبه، أو الحرب وويلاته، أو الفقر وعورته، أو غدر الناس وحسدهم، أو قد يصادف المرء من متاعب الحياة الكثيرة، ثم يضفي عليها لونًا كئيبًا وظلاً حزينًا، يوحشه التشاؤم والألم، ويمسحه الأسى والشجن"[٦١].

وعليه فقد نظم الشاعر الصعلوك بلغةٍ تعبيريةٍ صادقةٍ، ضرب بها أوتار الزمن والوحدة وغدر الناس، حتى حاز على استعطاف من يسمعه، لتكون لغة الشكوى متنفسًا للصعلوك الشاعر، وتمثيلاً للمتلقي السامع. فكلما شعر بالحيرة والضياع، واجتماع الهموم على قلبه، رحل بها إلى الله تعالى، فهو الأنيس في الوحشة، والنصير في القلّة.

وهذا ما ذهب إليه جحدر الحنفي في بثِّ أبيات الوحدة والاغتراب، والخوف من مصير عالق بين المعلوم به والمجهول عنه، حينما حبسهُ إبراهيم بن عربي في سجن دوَّرا[٦٢]، فاستغفر ودعا الله فلا نصير له سواه:

إِنّــي دَعَــوتُكَ يا إِلَــهَ مُحَمَّدٍ
دَعــوى فَـأَوَّلُها لِـيَ اِستِـغفارُ
لِتُـجيرَني مِن شَــرِّ ما أَنا خائِفٌ
رَبَّ الـبَرِيَّةِ لَـيسَ مِثلَكَ جــارُ
تَقضي وَلا يُقضــى عَلَيكَ وَإِنَّما
رَبّــي بِـعِلمِكَ تَـنزِلُ الأَقــدارُ
سجنٌ يُلاقي أَهــلُهُ مِن خَوفِهِ
أَزلاً وَيُمــنَعُ مِــنهُمُ الــزُوّارُ
يَغشَونَ مِقطَرَةً[٦٣] كَأَنَّ عَمودَها
عُنُقٌ يُعَـرِّقُ لَحمَها الـجَزّارُ[٦٤]

لجأ جحدر إلى الله بكامل ضعفه الإنساني يدعوه ويذكره، فما لاقاه ونزلاء سجن دوَّرا من أبشع أنواع الاستغلال، وتجاوز الحد في السُلطة حتى الطغيان، جعلته ينقل صورة من صور سلب الإنسانية خلف جدران السجون. فالمعاملة القهرية التعسفية، في أن يعلقَ الرجل في الفلقِ كما تعلق الجزور للتعريق، تقلب صورة السجين من موضع المذنب إلى موضع الضحية المتلقفة لشتى أنواع العذاب.

ولعل شعوره بالانتماء لتلك الفئة التي وحدت الأقدار بينهم، وتشاطروا الألم والمعاناة، انصياعًا لأوامر السُلطة، أن يشفق عليهم فيدعو لهم كما

يدعو لنفسه:

يـا رَبَّ دَوارَ أَنـقِذ أَهـلَـهُ عَـجَلاً
وَاِنقُـــض مَـرائِرَهُ مِن بَعدِ إِبـرامِ
رَبِّ أَرمِـهِ بِخَـــرابٍ وَارِمٍ بـانِيَهُ
بِصَولَةٍ مِن أَبي شِبلَينِ ضِرغامِ[٦٥]

وفي موضع آخر اشتكى جحدر العلكي سجن المخيس[٦٦] في الكوفة في قوله:

يـا رَبُّ أَبغَضُ بَيـتٍ أَنـتَ خـالِقُهُ
بَيـتٌ بِكَـــوفـانَ مِنـهُ أُشعِلَت سَقَرُ
مَثـوى تَجَـمَّعَ فيـهِ الناسُ كُلُّهُم
شَتّى الأُمـــورِ فَلا وَردٌ وَلا صَدَرُ
دارٌ عَلَيها عَفـاءُ الـدَهرِ موحِشَةٌ
مِن كُلِّ إِنسٍ وَفيها البُدوُ وَالحَضَرُ[٦٧]

فما عانوه من غربة المكان والنفس دفعت بألآمهم إلى أقصاها، فيدعو عليها بالخراب، حتى لا يلاقي أحد ما لاقوه. فقد ضمت تلك السجون شتى أنـواع الناس، من حضر وبـدو، أبيض وأسود، مذنب ومجرم، وممن ليس له ذنب، وكأن هذه السجون نارٌ ووقودها حشو الناس.

وما أدلَ به السجين الشاعر من عمق إيمانه بقضاء الله في قدره، وأثر التحولات في نفسه، جعلته يتأمل شؤون الحياة وصيرورتها، وما ألت إليه أيامه، فالموت أضحى رهنًا بإشارة ذوي السلطة والجاه، وفترات يائسة تتنازع بينها نفسه، وحالات مميتة هي أشد من الموت، نطق بها جُحدر في سجنه:

يـا نَفسُ لا تَجـزَعي إِنّي إِلى أَمَدٍ
وَكُـلُّ نَفـسٍ إِلـى يَـومٍ وَمِقـدارِ
وَما يُقَرِّبُ يَومي مِن مَـدى أَمَـلي
فاقَني حَياءَكِ تَرحالي وَتِسياري[٦٨]

وبث يعلى الأحول معاناته وشدَّة العقاب الذي يسومونه إياه في سجن مخيس، وعن ضيق أحس به وهو محكور لا يستطيع فعل شيء. فحياته تغيرت ملامحها، فبدت له شاحبة كئيبة، بعد أن كان حرًا في قمة سعادته يجول في الصحراء غير عابئ بأهوالها ومتاعبها، خبيرًا بطُرقاتها:

إلى الله أشكو محبَسي في مُخَيَّس
وقـربَ سَـجَا يـاربَّ حيـن أقِـيلُ
وإنـي إذا ما اللَّيلُ أرخـــى ستورَه
بمنعَرج الخَـلِّ الخفـيّ دَليـلُ[٦٩]

ويبقى السجن الإطار المحدود الذي لا يمكن الإفلات منه، في ظل امتداد غير محدود تتمثلها السلطة، فتبقى نفسية السجين تتقلب بين الحيرة القاتلة وقلَّة الحيرة.

المبحث الثاني: وصف السـجن السّـجان والسجناء

وهو فن الرسم بالكلمة، إذ يفسح المجال أمام الشاعر أن يغوص في قرارة ذاته، مناجيًا وشاكيًا حينًا، ضاحكًا وباكيًا حينًا آخر. فيُعبَّر من خلاله عن معنى أو فكرة ذهنية، أو حالة نفسية يمر بها، أو عاطفةً جائحة، بأسلوبٍ يسمح له بنقل المراد من صورته المعنوية إلى المادية المحسوسة.

ويعد الوصف من الأسلحة التي يقتنيها الشاعر حين يخوض معركة المشاعر، ففيه فضاء واسع للتعبير الدقيق، وقد أشار العسكري في قوله إلى أنه "يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نُصب عينيك"[٧٠]، فكان التحام صورة السجَّن وقيوده، ونفسية السّجناء، وحارسهم السَّجان في كلمات الشاعر.

وهذا ما بُنيت عليه أبيات عُطارد بن قُرّان حينما صور اختيال السجّان وهو يقودهُ بين ممرات السجن، فكأنما ضفر بشيء ثمين:

يَقـودُني الأَخشَنُ الحَدّادُ مُـؤتَزِراً
يَمشي العِرضَنَةَ[٧١] مُختالاً بِتَقييدي
إنّـي وأَخـشَنَ فـي حِجرٍ لَمُختَلِفا
حـالٍ وَما نـاعِم حـالاً كَمَـجهودِ[٧٢]

فيقابل عُطارد بين صورتين؛ صورة كانت توثق حالته وهو الأسير الخائف مما ينتظره، والمقيد بـالأغلال الثقيلة التي تسببت في بطء حركته، وصورة توثق حالة الأخشن السّجان وهو ناعم البال، قرير العين، فشتان ما بين الحالتين. كما صوَّر بعدسته الشاعرية منظر السجناء وهم مكبلين بالقيود التي غلَّت فيها أيديهم وأرجلهم، قاسوا آلام ثقلها وشدَّتها ، ففيهم من يئنُّ من جور أوجاعه، وفيهم من ضاقت به سلاسل قيده، فكلما تحرك أصدرت أصواتًا، فطال بهم الليل بين تعالي صرخاتهم، وتوالي آهاتهم فلا يهنأ لهم نومٌ ولا لهم فيها سكينة:

يَطـولُ عَلَـيَّ اللَـيلُ حَـتّى أَمَلَّهُ
فَـأَجلِسُ وَالنَـهدِيُّ عِندِيَ جـالِسُ
كِـلانا بِـهِ كَبـلانِ يَرسِفُ فـيهِما
وَمُـستَحكِمُ الأَقـفالِ أَسـمَرُ يـابِسُ
لَـهُ حَلَـقاتٌ فيـهِ سَمرٌ يُحِبُّها الـ
عُـناةُ كَما حَبَّ الظِماءُ الخَـوامِسُ
إِذا مـا ابْنُ صَـبّاحٍ أَرَنَّـت كُـبولُهُ
لَطُنَّ عَلى ساقَيَّ وَهناً وَسـاوِسُ[٧٣]

وفي موضع آخر قدَّم عُطارد صورة السجين المكبل بسلاسل الحديد المحكومة الإغلاق، فكلما تقدم السجين بالعمر ضاقت عليه قيوده، وبدأت تضيق به وتنخر عظامه:

وَنَحنُ في عُصْبَةٍ عَضَّ الحَديدُ بِهِم
مِـن مُشـتَكٍ كَـبِلَهُ مِنهُم وَمَصفودِ
كَـأَنَّما أَهَـلُ حِجرٍ يَنظُرونَ مَـتى
يَـرونَني خـارِجاً طَـيرُ اليَـناديدِ
طَـيرٌ رَأَت بازِياً نَضحُ الدِماءِ بِهِ
أَو أُمَّةٌ خَرَجَت رَهـواً إِلى عيدِ[٧٤]

أما جحدر الحنفي فقد خاض تجربة جديدة في غياهب سجن ديمـاس[٧٥]، الذي رسم فيه شكلاً آخر لسلسلة عذاب السجون، فلغته التي تخللتها ألفاظ اليأس والقنوط، وكأن الموت تمثل له تمثيلا. فامتداد الليل في السجن، غيَّب السجين عن إدراك الوقت في المحيط الخارجي، أليلاً هو أم نهار؟، والأصفاد المثقلة العائقة للحركة، وجدرانه الباهتة، عكست شحوبها على لون السجين فبدأ وكأنه جثة هامدة:

إِنَّ اللَيالي نَجَت بي فَهـيَ مُحسِنَةٌ
لا شَـكَّ فـيهِ مِنَ الدَيـماسِ وَالأَسَدِ
وَأَطلَقَـتني مِنَ الأَصفادِ مُخرِجَةً
مِن حَولِ سِجنٍ شَديدِ البَأسِ ذي رَصَدِ
كَـأَنَّ سـاكِنَهُ حَـيّاً حَشـاشَتُهُ
مَيتٌ تَرَدَّدَ مِنـهُ السـمُّ في الجَسَدِ[٧٦]

فكانت تجربة قاسية كان نتاجها الآهات وقلّة الحيلة، ولعل ما لاقاه من وجع وذل وإهانة في سجن البيضاء (المخيس)، جعلته يُقدم على تقديم النصيحة، فيحذر من ارتكاب ما يجرهم إلى هذا المكان، فيلقى بفعلته مصير ما لاقاهُ:

أَقولُ لِلصَحبِ في البَيـــضاءِ دونَكُم
مَحَـلَّةً سَـوَّدَت بَيـضاءَ أَقطـاري
مَـأوى الفَـتوَةِ لِلأَنـذالِ مُذ خُلِقَت
عِنـدَ الكِـرامِ مَـحَلُّ الـذُلِّ وَالعارِ
كَـأَنَّ سـاكِنَها مِـن قَـعرِها أَبَداً
لَدى الخُروجِ كَمُنتاشٍ مِـنَ النارِ(٧٧)

يُصوِّر السجن وكأنه النار التي يتوعد بها الله المشركين، يستمد لهيبهُ من أقسى أنواع العذاب، فهو منزل الأنذال لا الكرام ، ووسمة الذل والعار لمن لاقاه، فلا هم مفارقوه، ولا هم هاجروه، فأبوابه لا تفتح أبدًا. أما أبو النشناش فقد وصف نفسه بقيده المحكم والعائق لحركته، كالفرس الذي لم يعهد الثبات في مضمار السباق:

كـأَنْ لَمْ تَرَ قَبْلِـي أَسِيراً مُكَبَّلاً
ولا رَجُـلاً يُـرْمَـى بـه الرَّجَـوان
كـأَنِّي جَـوادٌ ضَمَّـهُ القَيْـدُ بَعْدَما
جَرَى سابقاً في حَلْبَةٍ ورهـان(٧٨)

فـإن كـان يُستنكر توسط جـواد مقيد في مضمار الرهان، فإن مضمار روح الصعلوك حريتها و توسط أحضان الصحاري وتوسد رمالها، لا السجن. ولكن تبقى حقيقة الأمر أن القيد المحسوس قيد ينتهي في لحظة وأن طال انتظارها، ولكن القيد الدهري يستمر مع الروح، وأن تمنى زوالها.

المبحث الثالث: الشوق والحنين

ولا يبقى للسجين غير الذكريات تزوره، فـ"نجد عواطفهم تتأجج وتجيش مطلقة ذلك النوع من الشعر بأروع صوره، متذكرين الأهل والوطن والأيام الخوالي معها"(٧٩)، وتبرز ليلى الشاعر بملامحها الأنثوية لتطفئ تلك النار المندلعة في قلوبهم.

فبواعث الحنين والشوق شكلتها أبيات يعلى الأحـول وهو أسير سجنه إلى ربـوع الوطن، يتوق إلى ما يتخلل سماءها من بروق وغيوم، وما يصدح على أشجارها من طيور، وما يجري من مياهها:

أَرِقـــتُ لِبَـــرقٍ دونَـــهُ شَـــدَوانِ
يَـــمانٍ وَأَهـــوى البـــرَقَ كُلَّ يَمانِ
إِذا قُلـــتُ شيـــماهُ يَقولانِ وَالهَـوى
يُصـــادِفُ مِـــنّا بَعـضَ مـا يَرَيانِ
فَبِـــتُّ لَـدى البَيتِ العتيقِ أَشيـمُهُ
وَمَطواىَ مِن شَـوقٍ لَـهُ أَرِقانِ(٨٠)

ففجيعة التحول التـي تظهر على حياة الصعلوك من سعة الأرض إلى ضيقها، والشعور بالاغتراب المكاني والنفسي، يستذكر الشاعر مسقط رأسه ومربع شبابه، الذي حال بينهما حبسٌ لا يستطيع الإفلات منه.

ويحن جحدر الحنفي إلى زوجته وهو كئيب حزين يبكي لحاله بكاءً مرًا، إذ تؤرقه خيالاتها التي تراوده باستمرار، فلا هو في وصلها ولا هو في إغفالها، فتبقى الدموع مطافئ الحزن الكبير الذي ولدته:

أَلَيْـــسَ اللَّيْـلُ يَجْـمَعُ أُمَّ عَـمْرٍو
وَإِيَّـــانَا فَـــذَاكَ بِـــنَا تَـــدَانِي
بَلَـــى وَتَـــرَى الـــهِلَالَ كَـمَا أَرَاهُ
وَيَعْلُوهَا النَّـــهَارُ كَـــمَا عَـلَانِ(٨١)

ولعل ليلى السمهري بملامحها الأنثوية تختلف عن أم عمرو، إذ ترمز ليلى الحلم إلى الحياة

الكريمة الخصبة، فيشدو بأبياتٍ عذبة يخاطب فيها المكان الذي تغرب عنه، فالسجين صوّر حياة البدوي الحُر الذي عُجن منها:

أَلا أَيُّـــها البَـيتُ الّذي أَنا هـاجِـــرُهُ
فَـــلا البَـــيتُ مَنـسِيٌّ وَلا أَنا زائِرُه
أَلا طَـرَقَت لَيـــلى وَرِجلي رَهيـــنَةٌ
بِـأَشـهَبَ مَشـــدودٍ عَلَـــيَّ مَـــسامِرُه
فَـــإِن أَنـــجُ يا لَيـــلى فَرُبَّ فَتىً نَـجا
وَإِن تكُنِ الأُخرى فَشَـيءٌ أُحـاذِرُه[٨٢]

ولِما طوته هذه الأبيات تحت جناحها من إحساس مرهف، ورقة لفظ متأتِية من معاناته الكبيرة داخل السجن، يكتوي السمهري بنار السجن وجحيمه، ونار الغربة عن الأهل والوطن. فيُنشد مرة أخرى ذاكرًا ليلى في قصيدة مطلعها:

أَلا حَـــيِّ لَيلـــى إِذ أَلَـــمَّ لِمـــــامُـها
وَكـانَ مَـعَ القَـومِ الأَعـادي كَـــلامُها

ومنها:

وَبَيـــضاءَ مِكسـالٍ لَعـــوبٍ خَريدَةٍ
لَذيـــذٍ لَـدى لَيلٍ التَـــمامِ شِـمامُها
كَـــأَنَّ وَميـضَ البَـــرقِ بَيني وَبَينَها
إِذا حانَ مِن خَلفِ الحِجابِ اِبتسامُها[٨٣]

فما جاءت به من جملة صفات في وصف طيف ليلى (بيضاء - لعوب - خريدة - مكسال - وميض البرق) يمكن تأويله إلى الحياة التي يحلم بها السجين، في حالة الانعتاق من أسره. ففي بياضها نقاءٌ وطهارة، وفي لعبها متاعٌ بالحرية، وفي الخريدة النعومة والرخاء، ولعل المبالغة في الكسل ناتجٌ عن الترف الزائد، أما البرق فهو الأمل الذي تمنحهُ ابتسامة الحياة لمن ترضى عنه. وتشف القصيدة عن نفس سجين وأحلامه، هذا المصنف في زمرة المجرمين قادر على منح الحب، واصفًا شعوره نحو المرأة التي يحبها في بيتين من القصيدة المذكورة:

أَلا لَيـــتَنا نَحـــيا جَمـــيعاً بِغِـبطَةٍ
وَتَبـلى عِـظامي حينَ تَبلى عِظامُها
كَـــذَلِكَ مـــا كـــانَ المُحِـبّونَ قَبلَنا
إِذا ماتَ مَـوتاها تُـــزاوَرَ هـامُها[٨٤]

فتمنى القرب من "ليلى" حتى الفناء، فهو يؤمن بأن الحب لا يفنى بفناء الجسد، بل يظل التلاقي بين الأرواح وإن فني الجسد. ولعل هذا الشوق الذي تأجج في جوفه، سوغ فعلته في الهروب من السجن، إذ أوثق رجليه في ملحفة، وألقى بنفسه من فوق السجن، فحملته الريح حتى سقط، وانكسر قيده، فقال:

ولما استوَتْ رِجلايَ في الأرض قلّصَتْ
نعامَـةُ ذي كـبْلَـين للشرّ حـــاذِر[٨٥]

وفي موضع آخر:

نَـجَوتُ وَنَـفسي عِنـدَ لَيلى رَهيـنَةٌ
وَقَـد عَمَّـــني داجٍ مِـنَ اللَـيلِ دامِـسُ
وَغامَستُ عَـن نَفسي بِـأَخلَقَ مَقصِلٍ
وَلا خَـيرَ فـي نَفسِ اِمرِئٍ لا تَـغامِسُ
وَلَـــو أَنَّ لَيلى اَبـصَرَتنـي غُـدوَةً
وَصَـحبِيَ والصـفَّ الَّـذينَ أُمـارِسُ
إِذَن لَبَـــكَت لَيلى عَلَـــيَّ وَأَعـــوَلَت
وَما نالَتِ الثَوبَ الَّـذي أَنـا لا بِـسُ[٨٦]

فلحظات شوق السجين الممزوجة باللهفة هي الأشد وقعًا على النفس البشرية، وخاصة إذا ما

لبث زمنًا طويلاً وراء القضبان، ذاق خلالها أقسى مشاعر الحرمان والذل.

المبحث الرابع: الاستعطاف

من جرَّاء السجن وويلاتـه، كانت توسلات السجين وشكاويه تتراءى شعرًا ونثرا، فتميز شعره في كونه "صـادرًا عن نفسٍ ألمت بها المحن وذاقت صنوف العذاب، فراحت تطلب الرحمة والعطف ممن تـراه أهلاً لإزالـة تلك الهموم والمحن"[٨٧].

وقد استمال جحدر العكلي والـي اليمامة إبراهيم بن عربي، مستعطفًا إيـاه في إطلاق صراحه، بعد أن قضى مدّة في سجنه مكتويًا بشتى أنواع العذاب:

سُقياً لِسِجنِكَ مِن سِجـنٍ وَساكِنه
بِـديمَةٍ مِـن ذَهـابِ الـماءِ مِـدرارِ
بِكُـلِّ جَـون رَوايـاهُ مُـطَـبِّقَةٌ
واهـي العَزالي مِـنَ الجَـوزاءِ جَرّارِ
وَقَـد دَعَـوتُ وَمـا آلو لِأُسمِـعَهُ
أَبـا الـوَليدِ وَدونـي سِجـنُ دَوّارِ
فـي جَوفِ ذي شُرُفـاتٍ سُدَّ مَخرَجُهُ
بِبـابِ سـاجٍ أَمـينِ الـقِفلِ صَـرّارِ
أَدعـوهُ دَعوَةَ مَظلـومٍ لِيَنصُرَني
ثُـمَّ اِستَـغَثتُ بِـذي نُـعمى وَأَخطارِ
أَشكو إِلى الخَيرِ إِبـراهيمَ مَظلَمَتي
فـي غَيـرِ جُـرمٍ وَإِخراجي مِنَ الدارِ
الدَهرَ أَرسُفُ فـي كَـبلٍ أُعـالِجُه
وَحَـلقَةٍ قـارَبوا فيـها بِمِـسمارِ
أَدورُ فـيهِ نَهـاري ثُـمَّ مُنْـقَلَبي
بِـاللَـيلِ أَدهـمُ مَـزرورٌ بِـأَزرارِ
كَـأَنَّـهُ بَينَ إِستـارَينِ قـَدَّهُما
سُراةُ أَورَقَ مَطلِيٍّ مِـنَ القـارِ[٨٨]

وعلى رغم المعاناة التي تولدت منها أبيات جُحدر، إلا أنه دعى للسجن بالسقيا، وفي ذلك أسلوب استعطاف ابتدعه الشاعر ليحظى بعفو الوالي، فرسم صورة السجن السوداء فـ "الجون، الجوف، الليل، وأدهم" إذ أن جميعها تحجب عن الشاعر الشمس والحياة. وتطفو على سطح النص مدلولات العجز، فالحركة مراقبة بحراس يترصدون من مراقبهم المشرفة، ومضيقة بالكبل والحلقة المحكمة بالمسمار فتوصله بحالة الشلل.

أما يعلى الأحول الذي أحس بطول حبسه واستنكره، وبان به الشوق لمرابع ديارة، فرفع أبياتًا استعطف بها سجَّانه نافع بن الحارث والي مكة، علّه ينظر في أمره فيعفو عنه، منها:

أَلا لَيـتَ حاجاتي اللَواتي حَبَسنَني
لَـدى نـافِعٍ قُضّيـنَ مَنـذُ زَمـانِ
وَمـا بـي بُغضٌ لِلبِلادِ وَلا قِلىً
وَلَكِنَّ بَرقاً في الحِجـازِ دَعـاني[٨٩]

يبقى الاستعطاف وسيلة للفت الانتباه، يصور السجين بأبياته ما يلاقيه من مرارة العيش في ظلمة السجن، علّه يحظى بعطف صاحب الأمر، فيخلى سبيله.

المبحث الخامس: الهجاء

ما يُعانيه السجين من ويلات الأسر، وذل الأصفاد والقيود التي أثخنت بساقيه هناك، لم يجد من يواسيه أو يساعده، مما أثار في داخله نظرة سوداوية تجاه من هم حوله، بصورة تعكس اليأس والخذلان. وقد ذهب السمهري وهو حبيس

السجن، في أبيات إلى تحريض أخاه مالك على ابني فائدة وهجوهم، إذ يقول:

فَمَـــن مُبـــلِغٌ عَنّـــي خَليـــلِيَ مـالِكاً
رِســـالَةَ مَشـــــدودِ الـــوَثاقِ غَـــريبِ
وَمَـــن مُبـــلِغٌ حَزمـــاً وَتَيماً وَمالِكاً
وَأَربـــابَ حـــامي الجَفرِ رَهـــطَ شَبيبِ
لِيَـبلوا الَّتي قـالَت بِصَحـــــراءِ مَنعَجٍ
لِـــيَ الشِـــركُ يا ابْنَـــي فـائِدِ بنِ حَبيبِ
لِتَـضرِبَ في لَحمـــي بِسَهمٍ وَلَم يَكُن
لَهـا فـي سِهـامِ المُسلِمينَ نَصيبُ[٩٠]

وحينما تخلت قبيلته عنه وهو في أمس الحاجة إليها، ينحي الشاعر باللوم على عشيرته، وقد دفعه سخطه إلى التفكير بالتبرؤ منها، وفك الانتساب إليها:

أَلا لَيتَـني مِـــن غَـــيرِ عُـكلٍ قَبيلَتي
وَلَـم أدرِ مـــا شُـبّانُ عُكلٍ وَشيبُها
قُبَيِّـــلَةٌ لا يَقـرَعُ البـــابَ وَفدُها بِخَيرٍ
وَلا يَـــأتي السَـــدادَ خَطـــيبُها
فَـــإِن تَـــكُ عُكـــلٌ سَرَّهـا ما أَصابَني
فَقَد كُنتُ مَصبوباً عَلى مَن يَريبُها[٩١]

أما عطارد فقد يئس من نجدة أقاربه وهو يرتجيهم، فأسقطهم في صورة الضعف والذل، فهم قوم لا يتلقون سوى العصي:

تَذَكَّرتُ هَـل لـي مِن حَميمٍ يُـهِمُّهُ
بِنَـــجرانَ كِـــبلايَ اللَـذانِ أُمـارِسُ
ودونـــيَ مِـــن نَـجرانَ رُكنٌ عَـمَرَّدٌ
وَمُعـــتَلِجٌ مِـــــن نَـــخلِهِ مَتـــكاوِسُ
فَـــأَمّا بَنو عَبـــدِ المَـــدّانِ فَـإِنَّهُم
وَإِنّـــي مِـن خَـيرِ الحُـصَينِ لَيـائِسُ
رَوى نِـــمرٌ عَن أَهلِ نَـــجرانَ أَنَّكُم
عَبيدُ العَصا لَو صَبَّحَتكُم فَـوارِسُ[٩٢]

نخلص في هذا الفصل إلى أن الصعلوك السجين قد نحى بشاعريته نحو ذاتيته المتأسية، إذ اقتصرت أغراضه الشعرية على التجربة التي فرضها واقع السجن وقيوده. فاستطاع أن ينقل لنا صورة واقعية لما هو في غيهب السجن، من حركة السجّان بين أزقة العنابر، وهلع السجناء كلما فُتح الباب، وتلقي أنواع العذاب بطرق وحشية، وسلاسل نخرت العظام لطول مكوثها، وظلمة السجن وجدرانه الباهتة.

الفصل الثالث: الدراسة الفنية لشعرالصعاليك في العصر الأموي (تحليل مقطوعة السمهري)

علّني في هذا الفصل أُجسّد نموذجًا شعريًا، نُصبت جذورة في الشكوى من تبدل مظاهر الحياة. وفي محاولة لإبراز ما يتمتع به شعر السجن عند الصعاليك في العصر الأموي، من سمات وخصائص فنّية وقد اتخذتُ من مقطوعة السمهري أنموذجًا للدراسة، يتم من خلاله الوقوف على التراكيب اللغوية والصورة والإيقاع.

نص المقطوعة[٩٣]. [الطويل]

لَقَـد جَمَعَ الحَـــدّادُ بَيـنَ عِصـــابَةٍ
تَســاءَلُ فـي الأَسجـانِ مـاذا ذُنـوبُـها

مَقَــرَّنَةُ الأَقـدامِ فـي السِجنِ تَشتَكي

ظَـنابيبَ قَـد أَمسَت مُـبيناً عُلوبُها(٩٤)

بِمَـنزِلَةٍ أَمّـــا اللِئـــيمُ فَـــآمِنٌ

بِهـــا وَكِـــرامُ القَومِ بـادٍ شُحـوبُها

إِذا حَـرَسِيٌّ قَعقَـــعَ البـابَ أُرعِدَت

فَـرائِصُ أَقـــوامٍ وَطـارَت قُلوبُها(٩٥)

نَرى البـابَ لا نَسـطيعُ شَيئاً وَراءَهُ

كَأَنّا قُنِـــيٌّ أَسلَمَتـــها كُـعوبُها(٩٦)

أَلا لَيتَني مِـن غَـيرِ عُـكلٍ قَبيلَتي

وَلَـم أَدرِ مـا شُـبّانُ عُكلٍ وَشيبُها

قُبَيِّـلَةٌ لا يَقرَعُ البـابَ وَفـدُها

بِخَيرٍ وَلا يَـأتي السَـدادَ خَطـيبُها

فَـإِن تَكُن عُكـلٌ سَرَّها ما أَصابَني

فَقَد كُنتُ مَصبوباً عَلى مَن يَريبُها(٩٧)

المبحث الأول - إضاءة تحليلية عامة للأبيات:

إن النظرة التأملية للمقطوعة، تكشف لنا عن الحالة الإنسانية النفسية التي تجتاح السجين، فحينما تتلقف روحهُ العذاب، وتستوحش جدرانه وظلمة المكان، فتنشد العزاء حيث لا عزاء، لتتمثل حياة السجن دلالة الانسحاب من الحياة، تجدد بتجدد وحشة الأيام، وتقادم الآلام والمعاناة.

وتتجلى معالم الحياة المثقلة باليأس والألم في مقطوعة السمهري، حيث انصهرت ذاتيته المنكسرة في مشاعر الحرمان والبؤس والهوان، فتقلبت ألفاظه بين الألم والقلق، والحيرة والخوف التي فرضتها عليه بيئة السجن، فصوَّر حالة السجناء بين جدرانٍ كانت سيادتها الطغيان والتجبَّر، والتعسف فيما تُلقيه من العذاب:

لَقَـد جَمَـعَ الحَدّادُ بَينَ عِصـابَةٍ

تَساءَلُ فـي الأَسجانِ ماذا ذُنوبُها؟

مَقَـرَّنَةُ الأَقـدامِ في السِجنِ تَشتَكي

ظَـنابيـبَ قَـد أَمسَـت مُبينًا عُلـوبُها

بِمَـــنزِلَةٍ أَمّـا اللِئـــيمُ فَـآمِنٌ بِهـا

وَكِـرامُ القَـــومِ بـــادٍ شُحـــوبُها

فشكى السمهري غدر الزمان ومضي الشباب، وثقل القيود واقتران أرجل السجناء، حتى اشتكت عظامها وأفصحت بصرخات آثارها. ولعل صيغة الاستفهام حول التحام القيود على رجليه، ولَّدت نارًا تهيج بلهيب حارق يتقلب بينها فؤاده، فكان متنفسًا يفرغ فيه مشاعره الملتهبة الهائمة. وفي ارتفاع وتيرة الصورة من مستهل المقطوعة، أضاف إلى النص طابع الإيحائية لتواكب انفعال المشاعر، واستنكاره الفعلي لوجوده بين هذه الحشود.

فحرص على تقديم صور متكاملة، دفعه إلى تحديد هوية المساجين الذين كانوا معه، فمنهم من التقى بمصير حياته، فاستأمن العيش بين جدرانه، ومنهم من كانت تتلقف روحه العذاب دون ذنب، فيجول ببصره بين زواياه، علّهُ يجد من يعلل له وجوده بين أحضان جدران باهتة اللون، فكان نتاجها عكسيًا عليه.

ومهما كانت صورة السجين، فإنه يصارع من أجل البقاء على قيد الحياة، إلا أن ما يُعايشهُ من خوفٍ وهلع، كلما تقارعت مفاتيح السَّجان وتبادر إلى مسمعه صرير الباب "أرعدت فرائصهم، و"طارت قلوبهم" فالسجَّان لا يأتي إلا لأمر جلل،

إما ليزج بضحية جديدة تتقاسم معهم الآلام، أو بخبر غالبًا لا يحمدُ عليه:

إِذا حَـــرَسِيٌّ قَعقَعَ البـابَ أُرعِدَت
فَـــرائِصُ أَقـــوامٍ وَطـارَت قُلوبُها
نَرى البـابَ لا نَسـطيعُ شَيئاً وَراءَهُ
كَـــأَنّا قُنِـــيٌّ أَسلَمَتـــها كُـــعوبُها

فظلمة السجن تُلقي بظلالها على السجين، فيتلقف الحسرة التي تكوي فؤاده وتقطّع أشلائه، فبعد أن كان حُرًا يجول الأرض دون أن يتسلط عليه أحد، أصبح اليوم مسلوب الإدارة والإرادة، فهو عاجز عن العبور من بابٍ، هو الحاجز الذي يُبقيه تحت سُلطة سُجّانه، ويُبين بينه وبين حريته

وتجربة مؤلمة نشعر بمرارتها القاسية، تلحّفتها غربة المكان والزمان النفسي، فالشاعر يعيب على قبيلته -عُكل- خذلانها إياه، والارتضاء وتسليمه للمقادير لتفعل به ما تشاء، فباعته للذل والهوان، بدلاً من أن تُجيره من غدر الزمان:

أَلا لَيتَـني مِـــن غَـيرِ عُـكلٍ قَبيلَتي
وَلَـم أدرِ ما شُـبّانُ عُكلٍ وَشيبُها
قُبَيِّـــلَةٌ لا يَقـرَعُ البـابَ وَفدُها بِخَيرٍ
وَلا يَـــأتي السَـــدادَ خَطـــيبُها
فَـــإِن تَـــكُ عُكـــلٌ سَرَّها ما أَصابَني
فَقَـد كُنتُ مَصبوباً عَلى مَن يَريبُها

فكان من نصيبه أن تُظهر له قلّة الوفاء، والتخلي عن شيم الرجال، فقد سرَّها ما أصابه من قيد وسجن، وأنكرت جميله بعد أن كان يتربص لكل عدوٍ يهم في نهش قلبها، فالمرءُ يقوى ضلعه بضلع عشيرته. إلا أنه اليوم أمسى واقفًا وحيدًا، لا نصير له ينجيه مما هو فيه، وهذا ما أشعل نيران غضبه، ودفعته إلى المجاهرة بالتبرؤ منها. بدلاً من أن تنصره على عدوه، فقد سرَّها ما أصابه من قيده وسجنه، وهو الذي طالما دافع وذاد عنها المهالك والأخطار، حتى تمَّنى أن يكون في غير -عكل- التي شَبَّ فيها.

١- اللغة.

إذا ما نظرنا إلى اللغة، نجدها ترسم بألفاظها المختلفة لوحات فنية، تشعُ بألوانها ملامح راسمها، وتبهر بجمالها مُقتنيها. وعليها يقول رجاء عيد في كتابه الدراسات في اللغة والشعر:"فاللغة من أدوات الفن الشعري، وهي تلعب الدور الأساسي في إبـرازه عن طريق نقل التجربة الشعورية وتوصيلها"[٩٨].

فتخيُّر اللغة من قِبل الأديب، يكسب النص ويضفي بجماله الفني وقيمته الأدبية شيئاً من الاستقلالية، التي بدورها تؤثر في المتلقي، فتفسح له المجال في تذوّق مواطن الجمال التي يحملها النص في كل زوايـاه. لذلك نلاحظ أن لغة المقطوعة، كانت تتميز بشيءٍ من الفخامة والجزالة مع الرقة في ألفاظها، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى قوة السبكِ، ونظم المقطوعة بشكل متين وسلس.

٢- التركيب.

وترتكز البنية التركيبية على وصف نظام الجملة وكيفية تكوينها، لذلك حظيت الجملة بأهمية عظيمة لدى النحاة، فدرسوها بأنواعها وأنماطها. ويعرّف إبراهيم أنيس الجملة بأنها :"أقل قدر في الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء كان تركيب هذا القدر من كلمة"[٩٩]، فالجملة في

مفهوم المحدثين هي إفادة التركيب معنى مستقلاً، ليكون هذا التركيب جملة لغوية.

ومن الظواهر التركيبية التي تميزت بها المقطوعة، استعمال الجملة الاسمية والفعلية، وما تحتويه من دلالات داخل السياق الشعري. إلا أن ما تم ملاحظته أن الشاعر ساوى في مقطوعته بين الجملة الفعلية والاسمية، إلا أن الجملة الفعلية تمتلك تأثيرًا قويًا، ينتج عنها حركة ذهنية لدى المتلقي، كما أنها تستوعب من الأحداث ما يمكّن الشاعر بالتعبير عنها بأريحية.

أ) فـ الجملة الفعلية؛ هـي"الجملة التي صدرها فعل، كقام زيد، وضرب اللص، وكان زيد قائما، وظننته قائما، ويقوم زيد[١٠٠]". ومن نماذج ذلك في المقطوعة:

لَقَـد جَمَـعَ الحَدّادُ بَيـنَ عِصـابَـةٍ
تَسـاءَلُ فـي الأَسجـانِ مـاذا ذُنـوبُـها

كما أنها جاءت في "قعقع الباب- طارت قلوبها- نرى الباب- لم أدر- لا يقرع الباب وفدها – لا يأتي السداد خطيبها..." وما إلى ذلك من جمل.

ب) أما الجملة الاسمية؛ وهي"الجملة التي يتصدرها اسم، فتتألف من ركنين أساسين لا يمكن الاستغناء عن أحدهما وهما المبتدأ والخبر[١٠١]". فقد تمثلت في:

مَقَـرَّنَةُ الأَقـدامِ فـي السِجنِ تَشتَـكي
ظَـنابيـبَ قَد أَمسَـت مُبيناً عُلـوبُها

بالإضافة إلى أنها وردت في " قبيلة لا يقرع الباب وفدها- بمنزلة أما اللئيم فآمن بها – كرام القوم باد شحوبها..." وما إلى ذلك. كما نلحظ جملة التمني في قوله:

أَلا لَيتَـني مِن غَـيرِ عُـكلٍ قَبيلَتي
وَلَـم أدرِ مـا شُـبّانُ عُكلٍ وَشيبُها

إذ أُتى بالتمني للتحسر والعتاب والندم لما جناه من موقف القبيلة ضده، رغم افتراش حياته لهم في سبيل تأمين حياتهم.

المبحث الثالث – الصورة الفنية:

حملت المقطوعة بين طياتها صورًا فنية أدت إلى تناسق النظم المحكم بين جُزيئاتها، فاللغة الشعرية المصبوغة بنغمة الحزن في مواطن الشكوى والخوف وقلّة الحيلة، والمقرونة بنسج الخيال المتمثل في: التشبيه والاستعارة والكناية بدت واضحة في أشعارهم، ومنها هذه المقطوعة

أما التشبيه فيعرف بأنه "لغة التمثيل"[١٠٢]كلما أطلق عليه أحمد المراغي، وقد لجأ إليه العديد من الشعراء في التبليغ عما يجول في النفس، إذ يعمد في تركيزه على الخيال. وأما الاستعارة فهي" نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيرها لغرض"[١٠٣]، تعتبر الأكثر مقدرة على استيعاب الحالة النفسية التي يمر بها الشاعر. بالإضافة إلى الكناية التي عرفها العسكري على أنها ما " يُكنى عن الشيء، ويعرَّض به ولا يصرَّح به" فأن التمعن والنظر إلى المقطوعة يجعلنا نقف على هذه الاشكال حيث نجد التشبيه جاء في قوله:

نَـرى البـابَ لا نَسطيعُ شَيئاً وَراءَهُ
كَـأَنّا قُنِـيٌّ أَسلَمَتـها كُـعوبُها

حيثُ عمد في التشبيه إلى صورتين، صورة

السجناء المكبلين، وهم ناصبوا أنظارهم نحو الباب لا يستطيعون تجاوزه، بصورة الرماح المتكسرة كعوبها الجامعة بين عقدِها -السِّنانُ والزَّجُ- فأصبحت جوفاء عاجزة عن عملها، فكان وجه الشبه بين الصورتين الإنحناء والضعف عن أداء المهام[١٠٤].

كما نجد الاستعارة المتمثله في قوله:

مَقَـرَّنَةُ الأَقـدامِ فـي السِجنِ تَشتَـكي
ظَـنابيـبَ قَـد أَمسَـت مُـبيناً عُلـوبُها

وفي موضع آخر:

إذا حَـــرَسِيٌّ قَعقَـــعَ البـابَ أُرعِدَت
فَـــرائِصُ أَقـــوامٍ وَطـارَت قُلوبُها

فالصورة الاستعارية في "تَشتَكي ظَنابيبَ" حيث جعل الأقدام من القيود تشتكي كما يشتكي الإنسان وذلك لثقل السلاسل التي طال زمن قيدها، فاصطرخت تشتكي شدَّة تعذيبها، وكأن للأقدام وظنابيبها أفواه. ونجد الاستعارة في "قعقع الباب" حيث استعار صوتًا مخيفًا وهو القعقعة لحركة الباب، وذلك لشدة الخوف الذي ينتابهم، عندما يُفتح باب السجن ويظهر السَّجان أمامهم. كما نجد الاستعارة أيضًا في"أُرعِدَت فَرائِصُ" و"طارَت قُلوبُها" فقد استعار لحركة الفرائص من الخوف الارتعاد، واستعار الطيران للقلوب، والواضح أنها لا تخلو من الملمح الكنائي عن شدة الخوف.

المبحث الرابع - الإيقاع:

وهي البُنية الموسيقية التي يمتازُ بها أيُّ نصٍ أدبـي، من خلال تلونه للأنغام تبعًا لما يُشكّله النص من الأبعاد الشعورية التي تخدم المعنى المنشود. و يـرى إبراهيم أنيس في كتابه "موسيقى الشعر" في أن النص الأدبي يُبنى على بُعديين موسيقيين، أحدهما داخلي والآخر خارجي فيقول :"وللموسيقى في الشعر أهمية عظيمة فهي التي تميز الشعر عن النثر. والموسيقى في الشعر تُبنى على ثُنائيتين يكون أحدهما موسيقى خارجية والتي تتضمن الوزن والقافية وحركة الـروي، والموسيقى الداخلية التي تقوم على المحسنات البديعية، من الجناس والسجع والمقابلة والطباق"[١٠٥].

وعليه فسأتطرق أولاً إلى بُنية النص - لَقَد جَمَعَ الحَدّادُ بَينَ عِصابَةٍ - من حيث موسيقاها الخارجية ومن ثَّم أعمدُ إلى موسيقاها الداخلية، علّني بذلك استوفي جمالية النص.

أ- الموسيقى الخارجية.

تتمثل الموسيقى الخارجية بالوزن والقافية، إذ تعد حجر الأساس الذي تُبنى عليها القصيدة العربية، ومن ثم فهي التي تعطي للشاعر نشوة التصوير والتعبير المتدفق المبتكر خلال تنظيمه للأبيات، ومما يندرج تحتها:

١- الوزن

وهـو بمثابة الإطـار الخارجي الـذي يمنع القصيدة من التبعثر، والوسيلة التي تُمكن الكلمات من قرع النفس والتأثير بها على نطاق واسعٍ وعميق، وبما أن العرب لم يحتكروا أوزانًا على أغـراض معينة، فقد طرق الشاعر الصعلوك أغلب الأوزان دون النظر في الغرض الذي يتناوله.

لذلك نظم السمهري مقطوعته الشعرية

المتكونة من ثمانية أبيات، في إطـار البحر الطويل الذي أتت تفعيلاته على الشكل الآتي :

لَقَــد جَمَـعَ الحَـدّادُ بَيـنَ عِصابَـة

تَسـاءَلُ في الأَسجـانِ مـاذا ذُنـوبُـها

فـعول مـفاعيلن فــعول مـفاعلن

فعول مـــفاعيلن فـعولن مـفاعلن

٠//٠// ٠/٠// ٠/٠/٠// /٠// ٠//٠// /٠// ٠/٠/٠// /٠//

واذكر هنا انسجام البحر مع دلالة المقطوعة، إذ يمتاز الطويل في أنه يعطي فسحةً لفيض من التعبير، فهو يتناسب كثيرًا مع الموضوعات التي تحتاج إلى المزيد من التعبير وطول النفس، وذلك يبرز في " امتداده الزماني والمكاني، وفي عدد السكنات والحركات، وفي مساحة صوتية واسعة"(١٠٦).

فالسمهري يبحث في شعره عن المعنى الذي يوافق هـواه، فينظر في الألفاظ المناسبة، ثم الوزن الذي يستوعب المعنى، ويصوّر عاطفة الألم واليأس والمعاناة الشديدة. فكان ذلك دليلا على براعته، وقوة نظمه في تصوير آلامه، ومنفذًا يُعبر من خلاله عن خلجات النفس، فيُجسد قصة الأشجان والأحزان، وما آل إليه.

٢- القافية

وهي شريكة الوزن في الاختصاص الشعري وجزء لا يتجزأ منه، حيث عرفها عبدالله خضر بأنها "عدَّة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة"(١٠٧). لذلك نجد أن قافية السمهري موشاة بالموسيقى والنغم الحزين، فقد اهتم بالفواصل الموسيقية التي تعطي بُعدًا جماليًا لمقطوعته، فتخير من الألفاظ أحسنها ومن القوافي أعمقها تعبيرًا، حتى انمحصت معاناته.

فكان الروي الذي بُنيت عليه المقطوعة هو حرف "الباء" المطلقة(١٠٨)، المتصلة بهاء المد. فالباء غني بمزايا الرنين التي يتمتع بها، فهو حرف شديد الانفجار، فعند النطق به تنطبق الشفتان انطباقا محكماً، وبعد انفصالهما فجائيًا، ينفجر النفس المحبوس محدثًا صوتًا انفجاريًا مدويًا(١٠٩)، وهذا ما ميّزه بالوضوح السمعي. كما جاءت حركته المضمومة منسجمة مع غرض القصيدة، فيكون بذلك بياناً لمدى انفعالات المشاعر والمعاناة، والتظاهر بالقوة ومجاهدة النفس، فيجد الشاعر فيه متنفسًا للموقف النفسي العنيف، إزاء طبيعة تجربته الآنية.

ب- الموسيقى الداخلية.

وهو ذاك الانسجام الصوتي، الذي يتحقق من خلاله التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالاتها، ووفق ما أورده الدكتور رجاء عيد في قوله على أنه : "قدرة الفنان الشاعر على إقامة بناء موسيقي يتكون من إيحاءات نفسية تعلو أو تهبط، تقسو أو ترق، تنفصل أو تتحد، لتكون في مجموعها لحنًا متسقًا أقرب إلى الإطار السمفوني"(١١٠). وقد اعتنى السمهري بهذا الجانب الإيقاعي كثيرًا، فبه يحدث التلاؤم بين الألفاظ وانسجامها، مما يخلق من ذلك موسيقى شعرية، تؤثر في نفس السامع، ومن أبرز ما مثلته الموسيقى الداخلية في مقطوعة السمهري التكرار.

والتكرار من الظواهر البارزة التي يعمدُ إليها الشعراء في قصائدهم، والتي تعُد وسيلة تعبيريةً يُستخدمها الشاعر في تعزيز النغم، وقوة الصورة ومعناها. ونجد أن القصيدة قد زخُرت بالكثير من

التكرار الحرفي لا اللفظي، وكأن الشاعر يرى في التكرار وسيلة تشفي غليلهُ لما هو مكبوت في النفس.

فقد استنطق السمهري أحرفًا تباينت بين المجهورة والمهموسة، فدلّت على حالته النفسية والآلام التي مرّ بها. ولما جاء به إبراهيم أنيس في تعريفه للأصوات الجهرية والمهموسة، فإن المجهور من الصوت هو ما يهتز معه الوتران الصوتيان، وفي حين أن المهموس، هو ما لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لها رنين حين النطق به(١١١). لذلك نلحظ ورود الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة في القصيدة، وهذا طبيعي "فالكلام مسموع، والجهر هو الذي يدل على الإسماع، أما الهمس فيدل على الصمت و الإسرار"(١١٢).

فكُلٌ من "الحاء، والراء، والسين، والقاف، والنون، والهاء" مثلاً وظفت دلالات صوتية مختلفة وفق موضعها، كما قرعت بأجراسها الموسيقية الداخلية للنص. فجاءت "الحاء" تعبيراً عن البكاء الصامت، وهو من الأحرف الاحتاكيكة المهموسة، وعلّه بذلك يعكس لنا مدى حرقة القلب والحزن، وقد تمثّل في "الحَدّادُ - شُحوبُها - حَرَسِيٌّ" كما ألحقت "الدال" المشددة في "الحدَّاد" الذي عمل على تعميق الدلالة العاطفية، وبيان الضعف والانكسار، الذي صور لنا عدم استقرار المشاعر واضطراب الأحداث. كما نلحظ "السين" التي تمثلت في كُل من "تَساءَلُ - الأَسجانِ - أمسَت - سَرَّها" وبها انطلاقاً لما في النفس، وتخفيفًا لوطئت ما فيها، إذ إن حرف السين من الأحرف المهموسة الصفيرية، التي يغلب فيها جريان النفس.

وقد تردد صوت "النون" في صفاته الجهورية الذي يتوسط الحرف الاحتكاكي والانفجاري، في" ذُنوبُها - مَقَرَّنَةُ - ظَنابيبَ - لا نَسطيعُ " شيئاً من الضعف والحزن، إذ تتجلى مسحةً الأنين والتحسر بموسيقاه، ومما يساعد على إخراج المشاعر التي ارتبطت بالألم والأسى. أما "الهاء" فقد ورد في " عُلوبُها - شُحوبُها – لُعوبُها - كعوبُها"هو من الأصوات الاحتكاكية المهموسة، وهي الأنسب في التعبير عن التنهيدات ذات النفس الطويل، وقد جاءت هنا ضميرًا متكررًا في الأبيات لدلالة على العتب ومدى الضيق التي تحملها المشاعر.

الخاتمة

تبقى نافذة أدب السجون مفتوحة يطل منها كل من لاقى حتمية المصير، تُمثل صورة حية لمعاناة ومقاومة السجين الجادة بالقلم والبدن، وإيمانيته في سبيل الخلاص والتحرر. لذلك حاولت في هذا البحث، أن أسلط الضوء على الجانب المتعلق بروح السجين الشاعر، ولاسيما عند الصعاليك في العصر الأموي.

وما لوحظ بين طيات هذا البحث أن حركة الصعاليك شكلت ثورة قوية، قامت على مشروعية استرجاع حقوقهم المسلوبة، فاستباحوا في ذلك قطع الطرقات والإغارة على القوافل بالسلب والنهب، وفق فلسفة إيجابية قصدوا منها إطعام الفقراء من أموال الأغنياء.

ويعد الشاعر في طبيعته ميالاً للوصف، إذ احرق شاعريته بين زوايا السجن في محاولة اختراق حدوده، ليُفجِّر عواطفهُ بين الخيال والحلم اليقظ، فاستطاع أن يشكل الفكرة في قالبها

اللغوي، ليعطي انعطافات على مشاهد حية مفعمة بالحركة. فطرق باب الشكوى والتضرع إلى الله، ووصف السجن وقيوده، والسّجان، ومدى رهبة السجناء، وفاض شوقًا للأهل والأصدقاء، وحنَّ لأحضان الصحراء. كما طرق باب التودد والاستعطاف علّه يلقى منه مراد النجاة، وحينما أشدة آلامه رغم آماله هجاء، ليكون ذلك متنفسًا لضغوظ الحياة.

كما نلحظ ذيوع المقطوعات الشعرية والميل للإيجاز فضلاً عن القصائد الطويلة، كونها استجابة آنية للأحوال التي يمر فيها الشاعر وتلبية سريعة لحاجاته النفسية الضاغطة. لتخلق فيضًا من التعبير الناتج عن روح السجين المتأسية، في مسحة الحزن التي لا تكاد تخلو منها مقطوعة شعرية حتى وأن أراد بصياغتها مساحة من الأمل.

ويتضح من الدراسة الفنية لشعر السجن عند الصعاليك في العصر الأموي، أنها استجابة لمقاييس عصره، إذ تعد الألفاظ وكيفية صياغتها الركيزة التي بنى عليها الصعلوك الشاعر، وامدها بأسلوب ينسج صورًا من الخيال. فكانت الدراسة الفنية زاخرة بدلالاتها المتباينة تبعًا لما يشاكله النص بأبعاده الشعورية في المستويات التركيبية والتصويرية والإيقاعية.

الهوامش

١. حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في صدر الإسلام والعصر الأموي، ط٣، دار الجيل – بيروت، ١٩٨٩م.

٢. محمد رضا مروَّة، الصعاليك في العصر الأموي – أخبارهم وأشعارهم، ط١، درا الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٠م.

٣. حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ج٢، شركة رشاد برس – لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤. عبدالمعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، د.ط، دار أسامة – الأردن، د.ت.

٥. عبدالرحيم حاج يحيى، السجون في مرآة الشعر، مجلة الأمن والحياة، العدد ١٦٢، ١٤١٦هـ.

٦. محمد مظلوم، في أناشيد الصعاليك مختارات من أشعار المخلوعين والمسجونين والبائسين، كتاب في جريدة، العدد ١٥٣، ٢٠١١م.

٧. عبد الكريم يعقوب وعلي عبدالله، وشعر الشكوى من السجن "في العصر الأموي"، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٢٤، ع.١٧، ٢٠٠٢م.

٨. سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، نقلاً عن روز نتال لمفهوم الحرية في الإسلام، ط١، دار النهضة العربية – بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٤٥.

٩. جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، مج١٣، د.ت، ص٢٠٣.

١٠. محمود الكدواني، الدين والحرية، ط١، دار الفكر - عمّان، ٢٠٠٠م، ص١٥٩.

١١. سالم المعوش، شعر السجون في الأدب

العربي الحديث والمعاصر، ص ٣٤-٣٥.

١٢.المرجع نفسه، ص ٣٠.

١٣.محمد جبار معيبد، ديوان عدي بن زيد بن العبادي، د.ط، وزارة الثقافة والارشاد - بغداد، ١٩٦٥ م ، ص ٤٠.

١٤.عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: أحمد محمد شاكر، الشعر والشعراء، د.ط، دار المعارف - مصر،١٩٨٢م، ص٣٥١.

١٥.الموقع الإلكتروني: بوابة الشعراء، شعراء العصر الأموي، ديوان عبدالله بن معاوية، https://www.poetsgate.com/ViewPoem.aspx?id=٨٤٤١٣

١٦.ط٢، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٩٤هـ، ص٢٥٢.

١٧.الصعاليك مفردها صعلوك، وهي لفظة مشتق من لفظة الصعلكة، وقد عرفها ابن منظور على أنها "الفقير الذي لا مال له"، ولكن الملاحظ في لفظة الصعلكة، أنها تجاوزت بُعدها اللغوي لتطلق على دؤب العرب، وهم جماعة تجردوا للغارات وقطع الطرق. ينُظر: جمال الدين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مادة [قنى]، ٤٥٥/١٠.

١٨.حمدي الكنيسي نقلاً عن تعريف السلطة لـ جان وليام لابيا، السلطة وطول العمر، ط٢، مكتبة جزيرة الورد – مصر، ٢٠١٦م، ص١٢.

١٩.ينظر: محمد رضا مروَّة، الصعاليك في العصر الأموي – أخبارهم وأشعارهم، ط١، ص ٦٩-٧١.

٢٠.شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي والعصر الجاهلي، ط١١، دار المعارف – القاهرة، د.ت، ص ٣٧٥.

٢١.رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي ت٦٨٦هـ، قدم له: إميل بديع يعقوب، شرح كافية ابن الحاجب، د.ط، دار الكتاب العلمية – بيروت، ج٥، ١٩٩٨م، ص ١٤٦.

٢٢.حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص١٤٥.

٢٣.المرجع نفسه، ص ١٥٤.

٢٤.عمرو بن بحر الجاحظ البصري، المحاسن والأضداد، قدم له وحققه: محمد سويد، ط٢، دار إحياء العلوم – بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ١٠٤-١٠٨ . كذلك ينظر: الحسيني الحسيني معدّي، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية العرب، كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م، ص١٣٨-١٤٠. وعبدالقادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، قدم له: محمد نبيل طريفي، بإشراف: إميل بديع يعقوب، ج٧، دار الكتاب العلمية - بيروت، ١٩٩٨م، ص٤٣٥-٤٣٧.

٢٥.خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين - بيروت، ج٢، ٢٠٠٢م، ص ١١٣.

٢٦.حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص ١٥٨.

٢٧.المرجع نفسه، ص ١٥٨.

٢٨.محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ج٢، ١٤٢٥هـ -

٢٠٠٥م، ص ٤٦. كذلك يُنظر: الحسن بن بشر الآمدي ت ٣٧٠هـ، تح: ف. كرنكو، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، ط١، دار الجيل- بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ص ٢١٨.

٢٩. إحسان عباس، ديوان القتال الكلابي، د.ط، دار الثقافة – بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ١٣.

٣٠. ينظر: عبدالقادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٦٨٨/٣.

٣١. ينظر: محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص ٤٧/٢. أبو عبيد البكري الأونبى، تح: عبدالعزيز الميمني، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، دار الكتب العلمية - بيروت، ج١، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م، ص١٣. ن

٣٢. الموقع الإلكترونية: كمال الرياحي، مقالة: قتل وانتهاك وكتابة..مجرمو الأدب، مجلة رصيف ٢٢، ٢٠١٩م https://ras-com/article.eef٢٢

٣٣. وهم القتال الباهلي؛ وهو الحسن بن علي، من بني جندب بن إياس ابن عامر بن عوف. والقتال البجلي؛ أحد بني سمحة بن سعد بن عبد الله بن لغوث بن أنمار. والقتال السكوني؛ ولم يثبت اسمه. يُنظر: الحسن بن بشر الآمدي، المؤتلف والمختلف ١/ ٢١٨-٢١٩.

٣٤. ينظر: إحسان عباس، ديوان القتال، ص ١٨.

٣٥. المرجع السابق، إحسان عباس، ديوان القتال، ص ٩٠.

٣٦. محمد بن حبيب، رواية : الحسن بن الحسن السكري، المحبر، د.ط، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ٢٠٠٩م، ص٢٢٨.

٣٧. يُنظر: إحسان عباس، ديوان القتال، ص ١٩.

٣٨. يحيى بن علي الخطيب التبريزي، كتب حواشيه: غريج الشيخ، وضع فهارسه العامة :أحمد شمس الدين، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ج١، دار الكتب العلمية- بيروت، د.ت، ص ١٥٠-١٥٢.

٣٩. يُنظر: إحسان عباس، ديوان القتال، ص ٤٥.

٤٠. المرجع السابق، إحسان عباس، ديوان القتال، ص ٢٠.

٤١. المرجع نفسه، ص٢٣.

٤٢. المرجع نفسه، ص ٨٦.

٤٣. يُنظر:حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص ١٧١. وعبدالمعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، ص٤٠-٤٦.

٤٤. يُنظر حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص ١٧١-١٧٤. و وعبدالمعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، ص٤٠-٤٦.

٤٥. المرجع نفسه: حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص ١٧١-١٧٤. وعبدالمعين الملوحي أشعار اللصوص وأخبارهم، ص٤٠-٤٦.

٤٦. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

ت٧٦٤، تح:أبو عبدالله جلال الأسيوطي، الوافي بالوفيات، ج١٥، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت،ص٧٨.

٤٧.يُنظر: خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، ص٢٣٦.

٤٨.ينظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ص ٣٠٠.

٤٩.يُنظر: محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص ٣٣٢.

٥٠.أبـو سعيد السكري، تـح: محمد جبار المعيبد، ديوان طهمان بن عمرو الكلابي، د.ط، مطبعة الارشاد – بغداد، ١٩٦٨م، ص٨-٩. يُنظر كذلك: محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص ٣٣٢. وحسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص١٧٨ -١٨٠.

٥١.يُنظر: محمد جبار المعيبد، ديوان طهمان بن عمرو الكلابي، ص ٤٠.

٥٢.المرجع نفسه، ص١٠.

٥٣.يُنظر: حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ١٧٨/٢.

٥٤.المرجع السابق، حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص ٢٤٢. وينظر كذلك: محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسـلامـي، ص ٣٠٨. وعبدالمعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، ص١٢.

٥٥.ينظر: حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص ٢٤٢.

٥٦.يُنظر: حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص ٢٤٢. و محمد نبيل طريفي، ديـوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص ٣١١-٣١٣. وعبدالمعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، ص١٣-١٧.

٥٧.ذكـره حسن جعفر صاحب موسوعة الشعراء الصعاليك أنه عاصر أيام عبدالملك بن مرون، في أن عبد المعين الملوحي صاحي أشعار اللصوص أنه عاصر أيام مروان بن الحكم. يُنظر: موسوعة الشعراء الصعاليك، ص ١٤٤-١٤٥. وكذلك أشعار اللصوص، ص ٥٨.

٥٨.عبد المعين الملوح، أشعار اللصوص، ص٥٨.

٥٩.المرجع نفسه، ص٥٩.

٦٠.ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة [شكا] .

٦١.محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، د.ط، الدار العربية للموسوعات - لبنان، ١٩٨٥ م، ص٢١٧.

٦٢.دَوَّارُ: فتح أوله، وتشديد ثانية وآخره راء: سجن في اليمامة. يُنظر: ياقوت بن عبدالله الحموي ت٦٢٦هـ، تح: فريد عبدالعزيز الجندي، معجم البلدان، دار الكتب العملية – بيروت، ج٢، ١٩٩٠م، ص ٥٤٤.

٦٣.المقطرة: الفلق، خشبةٌ فيها خُـروق،

على قدر سعة الساق، تدخل فيها أرجل المحبوسين. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، [قطر] ، ١٢٧/٥.

٦٤.ينظر: محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ١/ ١٥٨.

٦٥.المرجع نفسه، ص ١٧٠.

٦٦.سجن في العراق، سُمي به سجن الحجاج بن يوسف، وقيل هو سجن في الكوفة بناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه. يُنظر: لسان العرب، مادة [خيس] ، ٨٩/٦.

٦٧.ينظر: محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ١٤٦/١.

٦٨.المرجع السابق، محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ١٤٥/١.

٦٩.ينظر: حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص ٢٤٢.

٧٠.الحسن بن عبدالله العسكري (أبي هلال)، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٢م، ص١٢٨.

٧١.الاعتراض في السير من مشية فيها بغي وصاحبها يعترض الناس بالباطل، وينظر إلى الناس في مؤخر عينيه. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب [عرض] ٢٠٤/٧-٢٠٥.

٧٢.ينظر: محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص٢/ ١٨.

٧٣.المرجع السابق، محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ١٩/٢.

٧٤.المرجع السابق، محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ، ٢/ ١٨.

٧٥.سجن الحجاج بن يوسف سمي به لظمته على سبيل التشبيه بينه وبين معنى الدمس وهو الدفن سواء حيًا أو ميت. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة [دمس]، ١٠٥/٦.

٧٦.ينظر المرجع السابق: محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ١٥٥/١.

٧٧.المرجع نفسه، ١٤٥/١.

٧٨.ينظر: عبدالمعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، ص٦٣.

٧٩.يوسف إبراهيم قطريب، ابن خلدون أديباً، ط١، دار الكتب – بيروت، ٢٠١٦م، ص٣٩.

٨٠.ينظر: حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، ص٢٤٢.

٨١.ينظر: محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص١٧٣.

٨٢.ينظر: عبدالمعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، ٥١/٢-٥٢.

٨٣.ينظر: محمد نبيل طريفي، ديوان

الـلـصـوص فـي الـعـصـريـن الجاهلي والإسلامي،٢/٢٨٣.

٨٤.المرجع نفسه، ٢/٢٨٤.

٨٥.المرجع السابق، محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ٢/ ٢٧٦.

٨٦.ينظر: عبدالمعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، ص٥٣.

٨٧.يوسف إبراهيم قطريب، ابـن خلدون أديباً، د.ط، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠١٦م، ص٥٠.

٨٨.المرجع السابق، محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص١٥٩-١٦٠.

٨٩.المرجع نفسه، ص٣١٢

٩٠.المرجع نفسه، ص ٢٧٢.

٩١.المرجع السابق، محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص٢٧٢.

٩٢.المرجع نفسه، ص ١٩ .

٩٣.المرجع السابق، محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص٢٧٢.

٩٤.ظنابيب: مفردها ظنب، وهي حرف الساق اليابس من القدم، وقيل: هو ظاهر الساق، وقيل: عظمه. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة [ظنب]، ١/٥٧٢.

٩٥.فرائص: مفردها فريصة، وهي المضغة بين الثدي ومرجع الكتف من الرجل والـدابـة، وقيل الفريصة: اصل مرجع المرفقين. يُنظر: ابـن منظور، لسان العرب، مادة [فرص]، ٧/٥١.

٩٦.قُنيٌّ: مفردها قناة، وهو الرمح. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة [قني]، ١٥\٢٣٥. الكعب:عقدة ما بين الأنتبوبين من القصب والقنا. يُنظر:ابن منظور، لسان العرب، مادة [كعب]، ١\ ٧١٨.

٩٧.يريبها: ما يسؤوها أو ما تكره. يُنظر:ابن منظور، لسان العرب، مادة [ريب]، ١\ ٥١٣.

٩٨.رجاء عيد، دراسـات في اللغة والشعر ، د.ط، منشأة المعارف -الإسكندرية ، ١٩٧٩م، ص ٤٨.

٩٩.ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦م، ص ٢٦٠-٢٦١.

١٠٠. ابن هاشم الأنصاري، تح: محمد محي الدين عبدالمجيد، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط١، دار الكتاب العربي - لبنان ج٢، د.ت، ص٣٧٦.

١٠١. فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها،ط٢، دارالفكر-الأردن، ٢٠٠٧م، ص١٦١.

١٠٢. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة - البيان والمعاني والبديع، ط٣، دار الكتب العلمية - لبنان،١٩٩٣هـ، ص٢١٣.

١٠٣. أبو الهلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصرية - لبنان، ١٩٨٦م.ص٢٦٨

١٠٤. نادية حسانين، التاريخ العسكري في بلاد ما وراء النهر وأفغانستان، دار التعليم الجامعي - الإسكندرية، ٢٠١٩م، ص٨٣.

١٠٥. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة،١٩٥٦م،ص١٩.

١٠٦. سعيد محمد بكور، تفكيك النص (مقاربة بنيوية أسلوبية منفتحة)، ط١، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع - الأردن، ٢٠١٤م، ص١٢٤.

١٠٧. عبد الله خضر حمد، السبع المعلقات - دراسة اسلوبية، د.ط، دار القلم - لبنان، د.ت، ص٢٤٤.

١٠٨. القافية المطلقة: وهي ما كان رويها متحركاً. يُنظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص٢٥٨.

١٠٩. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية–مصر، ١٩٧٥م، ص٢٣.

١١٠. رجاء عيد، الشعر والنغم، د.ط، دار الثقافة - مصر،١٩٧٥م، ص١٥.

١١١. الأصوات المهموسة: ثلاثة عشر صوتًا؛ هي: " ء، ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ". والأصوات المجهورة: وتضم خمسة عشر صوتًا، وهي باقي أصوات العربية بعد استبعاد الأصوات المهموسة: "ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ى".يُنظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٢١ -٢٢.

١١٢. صفية طبني، البنية اللغوية لقصيدة "المومس العمياء" لبدر الشاكر السياب، جامعة العقيد الحاج لخضر- الجزائر،٢٠٠٢م، ص٤.

المصادر والمراجع

■ الكتب.

- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية – مصر، ١٩٧٥م.
- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية - مصر ، ١٩٦٦م.
- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية – مصر ،١٩٥٦ م.
- إحسان عباس، ديوان القتال الكلابي، د.ط، دار الثقافة – بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- أحمد الشايب، الأسلوب، ط٢، مطبعة الاعتماد - مصر، ١٩٤٥م.
- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة - البيان والمعاني والبديع، ط٣، دار الكتب العلمية - لبنان،١٩٩٣هـ.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ط٢ ، الهيئة المصرية للكتاب – مصر ، ١٩٧٩م.
- جابر عصفور، الصور الفنية في التراث النقدي والبلاغي عن العرب، ط٣، المركز الثقافي العرب - لبنان،١٩٩٢م.
- جمال الدين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، د.ط، دار صادر - لبنان، د.ت.
- الحسن بن بشر الآمدي، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تح: ف. كرنكو، ط١، دار الجيل- بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، شركة رشاد برس – لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الحسن بن عبدالله العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي -

محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٢م.

- حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في صدر الإسلام والعصر الأموي، ط٣، دار الجيل – بيروت، ١٩٨٩م.
- الحسيني الحسيني معدّي، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية العرب، د.ط، كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.
- حمدي الكنيسي، السلطة وطول العمر، ط٢، مكتبة جزيرة الورد – مصر، ٢٠١٦م.
- خليل الدويهي، ديوان أبي فراس الحمداني، ط٢، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٩٤هـ.
- ابن خلدون، المقدمة، ط١، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين - بيروت، ج٢، ٢٠٠٢م.
- رجاء عيد، الشعر والنغم، د.ط، دار الثقافة - مصر،١٩٧٥م.
- رجاء عيد، دراسات في اللغة والشعر، د.ط، منشأة المعارف - مصر، ١٩٧٩م.
- سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ط١، دار النهضة العربية – لبنان، ٢٠٠٣م.
- سعيد محمد بكور، تفكيك النص (مقاربة بنيوية أسلوبية منفتحة)، ط١، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع - الأردن، ٢٠١٤م.
- أبو سعيد السكري، ديوان طهمان بن عمرو الكلابي، تح: محمد جبار المعيبد، د.ط، مطبعة الارشاد – العراق، ١٩٦٨م.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي والعصر الجاهلي، ط١١، دار المعارف – القاهرة، د.ت.
- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تح: أبو عبدالله جلال الأسيوطي، الوافي بالوفيات، ج١٥، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.
- صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ١٩٨٧م.
- أبو عبيد البكري الأونبى، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تح: عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: أحمد محمد شاكر، الشعر والشعراء، د.ط، دار المعارف - مصر،١٩٨٢م.
- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، قدم له: محمد نبيل طريفي، بإشراف: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العلمية - بيروت، ١٩٩٨م.
- عبد الله خضر حمد، السبع المعلقات - دراسة اسلوبية، د.ط، دار القلم - لبنان، د.ت.
- عبد المعين الملوحي، أشعار اللصوص وأخبارهم، د.ط، دار أسامة – الأردن، د.ت.
- عمرو بن بحر الجاحظ البصري، المحاسن والأضداد، تح: محمد سويد، ط٢، دار إحياء العلوم – بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ط٢، دارالفكر- الأردن، ٢٠٠٧م.
- محمد بن حبيب ، رواية : الحسن بن الحسن السكري، المحبر، د.ط، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ٢٠٠٩م.
- محمد جبار المعيبد، ديوان عدي بن زيد بن العبادي، د.ط، وزارة الثقافة والارشاد - بغداد، ١٩٦٥ م.
- محمد رضا مروَّة، الصعاليك في العصر الأموي – أخبارهم وأشعارهم، ط١، درا

الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٠م.

- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، د.ط، الدار العربية للموسوعات - لبنان، ١٩٨٥ م.
- محمد نبيل طريفي، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- محمود الكدواني، الدين والحرية، ط١، دار الفكر - عمّان، ٢٠٠٠م.
- نادية حسانين، التاريخ العسكري في بلاد ما وراء النهر وأفغانستان، دارالتعليم الجامعي - الإسكندرية، ٢٠١٩م.
- ابن هاشم الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد المجيد، ط١، دار الكتاب العربي – لبنان، د.ت.
- أبو الهلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصرية - لبنان، ١٩٨٦م.
- ياقوت بن عبدالله الحموي، تح: فريد عبدالعزيز الجندي، معجم البلدان، دار الكتب العملية – بيروت، ج٢، ١٩٩٠م.
- يحيى بن علي الخطيب التبريزي، كتب حواشيه: غريج الشيخ، وضع فهارسه العامة :أحمد شمس الدين، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ج١، دار الكتب العلمية- بيروت، د.ت.
- يوسف إبراهيم قطريب، ابن خلدون أدبياً، ط١، دار الكتب – بيروت، ٢٠١٦م.
- يوسف بن أبي بكر السكاكي، تح:عبدالحميد هنداوي، مفتاح العلوم، د.ط، دار الكتب العلمية - لبنان، ٢٠٠١م.

■ **الرسائل العلمية.**

- صفية طبني، البنية اللغوية لقصيدة "المومس العمياء" لبدر الشاكر السياب، جامعة العقيد الحاج لخضر- الجزائر،٢٠٠٢م.

■ **المجلات والمواقع الإلكترونية.**

- بوابة الشعراء، شعراء العصر الأموي، ديوان عبدالله بن معاوية، https:// www.poetsgate.com
- عبد الكريم يعقوب وعلي عبدالله، وشعر الشكوى من السجن "في العصر الأموي"، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٢٤، ع.١٧، ٢٠٠٢م.
- عبد الرحيم حاج يحيى، السجون في مرآة الشعر، مجلة الأمن والحياة، العدد ١٦٢، ١٤١٦هـ.
- كمال الرياحي، قتل وانتهاك وكتابة.. مجرمو الأدب، مجلة رصيف ٢٢، ٢٠١٩م، com/.https://raseef22 article
- محمد مظلوم، في أناشيد الصعاليك مختارات من أشعار المخلوعين والمسجونين والبائسين، كتاب في جريد، العدد ١٥٣، ٢٠١١م.

تأثير حساب المثلثات في الحضارة العربية الإسلامية على الغرب اللاتيني

أحمد محمد جواد الحكيم
باحث أكاديمي
العراق

يتخذ تطور تاريخ علوم الرياضيات، وحساب المثلثات جزءًا منه، سبيلاً حلزونيًا للمعارف التي تنتقل نزولاً من جيل إلى آخر. وبهذه الحالة فإن كل دارس لهذا التاريخ، يرتبط بغيره وفقًا لهذه الحلزونية. وعليه فإن تطور موضوعات الرياضيات وتنظيمها، تتبدل بمرور الزمن، كما أن أفكار علماء الرياضيات ونشاطاتهم تتأثر بظاهرة تسمى "مناطق النفوذ" أو "مجالات التأثير"، حسب قول جون ماكليش في كتابه "العدد". وعلى هذا الأساس فإن مناطق النفوذ هذه، كانت بين فترة وأخرى من التاريخ، للرياضيات البابلية والمصرية القديمة والصينية والإغريقية والهندية والعربية-الإسلامية والأوربية. وبذلك تأخذ كل حضارة في زمن معين موقع الصدارة في تقدم الرياضيات، ومنها الحضارة العربية الإسلامية. وتبرز أثناء تطور المعارف وانتقالها بين مجالات التأثير، مشكلات من أهمها أصالة الابتكارات والاكتشافات والأمانة العلمية في عملية النقل والاقتباس من المصادر المختلفة، بخاصة عندما يترافق ذلك مع الترجمة من لغة إلى أخرى. لذلك سيكون محور هذه الدراسة هو تأثير حساب المثلثات في الحضارة العربية الإسلامية على الغرب اللاتيني في القرون الوسطى وبدايات عصر النهضة الأوربية. ولن نبحث في التفاصيل العلمية قدر المستطاع، لكننا سنبين الآراء الغربية عن مستوى إسهام العرب والمسلمين في تطور الرياضيات بصورة عامة، وسنذكر المؤلفات العربية في حساب المثلثات التي تُرجمت إلى اللاتينية، ثم نتعرف على بعض العلماء الأوربيين الذين نهلوا من حساب المثلثات العربي، لكننا سنبدأ في تمهيد أساسي عن طبيعة حساب المثلثات.

أولًا: تمهيـد أساسـي

هناك مفاهيم أولية، تتصل بموضوع "حساب المثلثات" ينبغي الإشارة لها كونها ضرورية قبل الشروع في تناول موضوعات هذه الدراسة، هي:

(أ) يتعين علينا التفريق بين معنيين لكلمة "مثلثات". أحدهما يمثل جمعًا لكلمة "مثلث"، الذي هو: سطح تحيط به ثلاثة خطوط مستقيمة.

والآخر يمثل "حساب المثلثات" وهو أحد علوم الرياضيات، الذي يتناول العلاقة بين أضلاع المثلث وزواياه[١]. لذلك فإننا عندما نذكر، في هذه الدراسة، كلمة "مثلثات" فقط، فإننا نعني بها جمع مثلث (**Triangle**). وعنما نقول: "حساب المثلثات" فإننا نقصد أحد علوم الرياضيات، الذي يسمى بالإنجليزية **Trigonometry**.

(ب) لم يكن للموضوع الذي نطلق عليه في عصرنا الحالي "حساب المثلثات" اسما خاصًا عند علماء الرياضيات، قبل عام ١٥٩٥م[٢]، ولم يكن علمًا مستقلاً بذاته، حتى يدخل ضمن تصنيفات العلوم الرياضية، إذ كانت البذور الأولى لهذا الموضوع جزءًا من علم الفلك. ففي عام ١٥٩٥م، ظهرت كلمة **trigonometry** (ترجمتها الحرفية قياس ثلاثي الزوايا) من خلال بحث أو كتاب قدمّه عالم ألماني في الرياضيات والفلك اسمه: بيتسكوس (**Pitiscus**)، عنوانه: **Trigonometria sive de solution**

(ج) إن علماء الرياضيات والفلك من العرب والمسلمين، كانوا يعتبرون علم الفلك فرعًا حقيقيًا من الرياضيات، بجانب الهندسة والحساب والموسيقا.

(د) لم يضع علماء العرب والمسلمين، الذين اهتموا بالرياضيات والفلك، اسمًا خاصًا للعلم الـذي يسمى الآن "حساب المثلثات"، يؤكد ذلك أحمد سعيدان في مقاله "الرياضيات عند العرب"[٣]. ومع ذلك هناك من الكتّاب الحاليين، من يعتقد أن العرب في العصور الوسطى قد أطلقوا أسماء على حساب المثلثات، مثل "علم الأنساب" أو "علم النسب"، كما ذكر على سبيل المثال عمر فروخ في كتابه تاريخ العلوم[٤] (لكنه لم يذكر المصدر الذي جاء فيه اسم علم الأنساب)، وأحمد عبد الرازق[٥]، وعلي عبدالله الدفاع [٦]. أضف إلى ذلك أن مؤرخ الرياضيات قدري حافظ طوقان لم يذكر وجود اسم علم الأنساب[٧].

إلا أننا لم نعثر على اسم علم الأنساب في كتب تراث الرياضيات في الحضارة العربية الإسلامية بخاصة أعمال العلماء، من أمثال البوزجاني والبتاني والطوسي وغيرهم.

ثانيًا: آراء غربية معاصرة متباينة عن مستوى إسهام العرب والمسلمين في تطوّر الرياضيات

إن تأثير الحضارة العربية الإسلامية على الغرب اللاتيني، يرتبط ارتباطًا شديدًا بمستوى تطور الرياضيات عند العرب والمسلمين، غير أن هناك تباين واضح لدى الكتّاب والمؤرخين الغربيين في العصر الحديث، عن مستوى إسهام العلماء العرب والمسلمين في تطوّر الرياضيات وأصالتها، وعن حساب المثلثات بوجه خاص. يبيّن ذلك هوارد إيفز، فيقول: "لم يكن ثمة اتفاقًا تامًا على الإطلاق عن تقدير إسهام العرب في تطوير الرياضيات. بعضهم (يقصد المؤرخين الغربيين) ينسب للمؤلفين المسلمين درجة عالية من الأصالة والعبقرية بخاصة في كتاباتهم عن الجبر وحساب المثلثات. بينما آخرون يرون أنه قد يكون هؤلاء المؤلفين (العرب والمسلمين)، علماء، غير أنهم من النادر مبدعين، وأن أعمالهم ثانوية جدًا، من ناحيتي الكم والنوع عند مقارنتها مع الإغريق أو

كتّاب العصر الحديث"[٨]. ونضيف رأي ثالث إلى ذلك، هو محاولة بعض المؤرخين الغربيين الجمع، بالحد الأدنى، بين الرأيين السابقين بصياغة توافقية. إن هذا التباين قد يكون طبيعيًا عند المؤرخين في تاريخ العلوم، غير أن الأمر غير الطبيعي والغريب، هو أن تكون هناك حملة أوربية غايتها التقليل من شأن إسهام علماء الحضارة العربية الإسلامية في الرياضيات، وتشويهها ومعاداتها، كما ذكر ذلك جون ماكليش في كتابه "العدد"، فيقول: "أما في أوربا المسيحية فلقد كان تقليدًا طوال ما يقرب من أربعة قرون من الزمن، تشويه سمعة المساهمة العربية في الرياضيات. ويمضي بالقول: أنكر المؤرخون أن يكون للعرب أصالة في الرياضيات"[٩]. ويفند جون ماكليش، أيضًا، قضية مهمة، وهي محاولة بعض المؤرخين إجراء عملية مقارنة بين مستوى الرياضيات عند العرب والإغريق القدماء فيقول: "لذا فإن المقارنة الحقة للرياضيات العربية لا تكون باليونان القدماء بل بأوربا خلال القرون الممتدة من القرن السابع إلى الخامس عشر (الميلادي)[١٠]. كذلك يذكر فؤاد سزكين حملة المعاداة، فيقول: "في الغرب ١٦م (يقصد القرن السادس عشر الميلادي)... استمر كذلك ظهور المعاداة المرافقة لعملية أخذ العلوم العربية والإسلامية وتمثلها منذ القرن ١٣م. أصبح ذلك يأتي آنذاك في صورة انكار الماضي والشتائم المقذعة ضد العرب بل وحتى الإغريق"[١١].

وتدور الآراء التي تحاول التقليل من شأن مساهمة العرب والمسلمين في تقدم علوم الرياضيات ومن ضمنها حساب المثلثات، في قضيتين أساسيتين، هما أن العرب والمسلمين لم يقوموا إلا بحفظ العلوم القديمة ونقلها، وأنهم لم يضيفوا إليها شيئًا من عندهم، أو بأحسن الأحوال شيئًا بسيطًا، وبعض التعليقات والملاحظات، كما يقول، مثلاً، كاجوري: "لقد قُدّر للعرب أن يكونوا حرّاسًا لشعلة علوم الإغريق والهنود، ولإبقائها متوهجة أثناء فترة الاضطراب والفوضى في الغرب، وبعد ذلك نقلوها نحو الأوربيين. ولهذا فإن العلم قد انتقل من الجنس الآري إلى السامي، ومن ثم عاد مرة أخرى إلى الآري. لقد أضاف المحمديين شيئًا إلى معارف الرياضيات التي حصلوا عليها، لكنه قليل. كما أنهم استكشفوا مجالاً صغيرًا في المسار الذي أشير إليه سابقًا (يقصد الرياضيات)، لكنهم غير قادرين على اكتشاف حقول جديدة إلى حد بعيد. وحتى أكثر المجالات ارتقاءً حيث يجد الهيلينين والهندوس متعة في البحث فيها... فإنه من النادر أن ينشغل العرب فيها، إنهم كانوا يتمتعون بقليل من الفكر التأملي، وبأكثر قدرة عقلية عملية"[١٢]. أما "بيل"، فإنه يثني في البداية على علماء الرياضيات المسلمين، لكنه بعد ذلك يوجه لهم نقدًا شديدًا، فيقول: "إن علماء المسلمين يستحقون الشكر على إحيائهم علوم الإغريق التي أصبحت فيما بعد المصادر الأولى للأوربيين، لكن ينبغي التخفيف من هذا الفضل؛ لأن العلم والإبـداع هما في عالمين مختلفين. ثم يقول: لو لم يفعل المسلمون، سوى الحفظ والنقل فإنهم بالكاد يستحقون إشارة عابرة، حتى عند الوصف المختصر لتطور الرياضيات. قد تبدو هذه صراحة مؤلمة؛ ومع ذلك فإنه وفقًا للمعيار الذي مجرد وجوده سيضمن التقدم عوضًا عن الركود، سيكون عادلاً. إذن المعيار الوحيد الذي يحكم على علماء الرياضيات هو الإبداع

(الابتكار). فإذا لم يضف الشخص شيئًا جديدًا إلى الرياضيات فإنه ليس عالم رياضيات. ووفقًا لهذا المقياس فالمسلمون ليسوا علماء رياضيات في عملهم المفيد الرائع للترجمة والتعليق"[١٣]. ومن الآراء الأخرى التوافقية التي تثني من ناحية، وتحاول التقليل من مساهمات العرب والمسلمين من ناحية أخرى، نذكر ما قاله موراي: "أثناء فترة القرون المظلمة في أوربا، فقد حفظ العرب علوم الإغريق والهندوس، وطوروها إلى حد ما"[١٤]. وبالاتجاه ذاته يقول إيفز: "ينبغي الاعتراف أنهم (يقصد المؤلفين العرب) قاموا على الأقل بتطورات بسيطة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه عند مقارنة بعض انجازاتهم مع ما يترشح من العلوم غير المثمرة في باقي أنحاء العالم بذلك الوقت، يبدو أنهم أكبر مما هم عليه في الواقع، والموازنة تميل لصالحهم. إن الحقيقة المميزة هي أنهم خدموا، على نحو رائع، كحرّاس لكثير من الحيازات الفكرية العالمية التي انتقلت فيما بعد إلى الأوربيين، بعد مرور العصور المظلمة"[١٥].

غير أن وجهة النظر السلبية التي تقلل من شأن مساهمة العلماء العرب والمسلمين في الرياضيات، قد تغيرت الآن إلى حد كبير، كما يقول، أودن هولم :"والآن قد أدرك كثير من مؤرخي الرياضيات، أنه لم يحصل العرب على حقهم المناسب في انجازاتهم الهامة التي قاموا بها في الرياضيات. وكان الأوربيون يرون العرب مجرد حافظين ومعلقين ومراسلين، سلّموا رياضيات الإغريق القدماء إلى الورثة الحقيقيين. لكن الشعور العام، اليوم، أن هذا الرأي غير عادل، لأن علماء الرياضيات العرب، قد قاموا بإنجازات مهمة وأصيلة"[١٦]. كذلك يردّ دايك تيريزي، على الذين يعتبرون العلماء المسلمين آلات استنساخ وظيفتهم في الحياة حفظ المعارف الإغريقية ونقلها وإبقائها حية، فيقول: "إن هذه الفرضية لا يمكن أن تكون صحيحة على الأقل في ثلاثة مستويات. أولاً، كيف يحفظ العرب الجبر وحساب المثلثات عند الإغريق، في حين لا يمتلك الإغريق القدماء مثل هذه الموضوعات؟ ثانيًا، تتجاهل هذه الفرضية حقيقة كون الرياضيات العربية مستندة بشكل أولي على الأرقام الهندية، من الصفر إلى التسعة، وليس على الأرقام الإغريقية أو الرومانية. وأخيرًا، كون العرب أكثر من مجرد ناسخين، فقد طوروا الرياضيات بقدراتهم الذاتية"[١٧].

والآراء التي تنصف دور العلماء العرب والمسلمين في تطوير حساب المثلثات، عديدة، نذكر منها قول رنيه تاتون :"تقدم العرب في علم المثلثات خطوات واسعة حيث أعطوه شكلاً حديثًا"[١٨]. ويقول جون ماكليش: "كذلك فإن العرب أبدعوا فروعًا جديدة في الرياضيات، نذكر منها الجبر وحساب المثلثات"[١٩]. وقول دونالد هيل: "شغل حساب المثلثات مكانة مهمة في الرياضيات الإسلامية، وهو الفرع الذي أسهم فيه المسلمون أعظم الإسهامات غير المسبوقة"[٢٠]. وأيضًا يذكر البارون كارا دي فو: "وهم (يقصد العرب) بلا منازع موجدو علمَي المثلثات المستوية والكروية اللذين لم يكن للإغريق فضل في وجودهما إذا ما توخينا الحقيقة والإنصاف"[٢١]. ويقول تيرنير: "إن حساب المثلثات، هو حقًا، إبداع إسلامي، بخاصة في ارتباطه عند دراسة المثلثات (جمع مثلث) المستوية والكروية"[٢٢] .

ثالثًا: مؤلفات عربية في حساب المثلثات ترجمها الأوربيون إلى اللاتينية

لم تحدث ترجمة مؤلفات العلماء العرب والمسلمين في الرياضيات، إلى اللغة اللاتينية في القرون الوسطى، لولا شهرة هذه المؤلفات، وانبهار الغرب الأوربي بها، التي كوّنت لديهم دافعًا وحافزًا قويًا للاطلاع على علوم الرياضيات العربية، كما يبين ذلك توماس جولدشتاين فيقول: "إن حالة انبهار الأوربيين في إسبانيا بثقافة المسلمين كان من نتائجها حفزًا فكريًا منقطع النظير. ويمضي بالقول: وفي طليطلة... شرعوا (أي الدارسين الأوربيين) في ترجمة الكتابات العلمية التي خلفها العرب وراءهم على الأرفف. وخلال أقل قليلاً من جيل، تُرجم لب العلم الإسلامي إلى اللاتينية... وخلال مئة عام، كان الغرب من الناحية الجوهرية قد استوعب المعرفة العلمية للإسلام"[٢٣]. وفي الإتجاه ذاته يقول رنيه تاتون: "وفي نهاية القرن العاشر (الميلادي) حاول جيلبرت، متأثرًا بشهرة العلوم العربية التي دخلت إسبانيا، أن يعطي الثقافة دفعًا جديدًا بالنسبة للدراسات العلمية الأولية... ويقول أيضًا: إنما حدثت ثورة حقيقية في مطلع القرن الثاني عشر والثالث عشر (الميلادي)، فقد شهدت أوربا ولادة حركة فكرية واسعة النطاق. بعد احتكاكهم بالعرب في (صقلية) وإسبانيا والشرق، بدت للأوربيين أسس صحيحة للرياضيات لم يشهدوا لها مثيلاً من قبل"[٢٤]. وهناك سبب آخر جعل الغرب يقوم بترجمة الكتب العربية، هو الشعور بالتخلف، كما يقول عبد الحليم منتصر: "فقد شعر الأوربيون بتخلفهم عن العرب، وحاجتهم إلى الاغتراف من هذا المعين الجديد (أي الحضارة العربية)، والنهل من هذا النبع الصافي، فترجموا الكتب العربية إلى اللاتينية"[٢٥]. لكن القضية الأساسية في نقل العلوم، هي ليست نقلاً آليًا، إنما هي ما تحويه هذه العلوم، والأثر الذي تتركه، كما يشرح ذلك فؤاد سزكين فيقول: "بيد قضية أثر العلوم العربية الإسلامية بحد ذاتها على، أولاً على دراسة المحتوى العلمي للمؤلفات العربية (أو الفارسية) وبالتالي على تقدير التقدم الذي حققه مؤلفوها مقارنة مع أسلافهم، أي الإغريق"[٢٦]. وقد تأسست مراكز في إسبانيا وغيرها للترجمة من العربية إلى اللاتينية. وظهرت أشهر مصادر الترجمة إلى الوجود في طليطلة... وذلك في عام ١١٣٠ (ميلادية)... وأتى إلى هذه المؤسسة إبان القرن الثاني عشر الميلادي، علماء بارزون أمثال روبرت الشستري، وأديلار الباثي، وجيرار الكريموني، وميخائيل الاسكتلندي[٢٧]، وغيرهم مثل أفلاطون تفولي[٢٨]، وجان دي سافيل[٢٩]. وبدأ الدارسون الأوربيون، في القرن الثاني عشر (الميلادي)، بترجمة المؤلفات العربية، وحالاً أصبحوا على اطلاع واسع بنظرية حساب المثلثات[٣٠]، لأنهم كانوا في مسيس الحاجة إليها (أي حساب المثلثات) في متابعة الأرصاد والدراسات الفلكية[٣١]. وعن أهمية المؤلفات العربية المترجمة إلى اللاتينية يقول ول وإيريل ديورانت: "وقد أحدثت هذه التراجم كلها في أوربا اللاتينية ثورة عظيمة الخطر ذلك أن تدفق النصوص العلمية من بلاد الإسلام واليونان كان له أعمق الأثر في استنارة العلماء الذين بدئوا يستيقظون من سباتهم..... كذلك أثارت هذه التراجم عقل أوربا وحفزته إلى البحث

والتفكير"[٣٢]. ويقول دونالد هيل أيضًا: "كان القرن الثاني عشر الميلادي وأوائل القرن الثالث عشر أعظم فترة انتشر خلالها العلم الإسلامي في الغرب، وقد أعطت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي الدفع الضروري لنمو العلم الأوربي"[٣٣]. ومن المؤلفات العربية في حقل حساب المثلثات والفلك التي ظهرت لها ترجمات لاتينية، نذكر قسمًا منها:

١- جداول فلكية.

يُطلق في المؤلفات العربية، مصطلح "زيج" للدلالة على الجداول الفلكية التي تتابع حركات الأجرام السماوية مثل تحديد الوقت من ارتفاع الشمس والنجوم، وكسوف الشمس وخسوف القمر. كما يحتوي قسمًا منها على جداول لحساب المثلثات، كالجيب والظل، كما يقول دونالد هيل: "وقد توافرت في تلك الفترة (القرن الثاني عشر الميلادي) ترجمات أخرى عديدة لدوال مثلثية، والجداول المصاحبة لها، مستمدة من المؤلفات العربية"[٣٤]. سنذكر بعض منها:

- جداول الخوارزمي

أن عالم الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمي، المعروف من كتابه "الجبر والمقابلة"، هو أيضًا، كما يقول جون فريلي: "مؤلف أقدم عمل أصيل باقٍ في الفلك الإسلامي وهو "زيج السندهند" المبني على عمل هندي... وقام الفلكي العربي "أبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي"(ت: ٣٩٨هـ/١٠٠٧م) في الأندلس بتحديثه وتنقيحه. وترجم أديلارد الباثي تنقيح المجريطي لكتاب السندهند إلى اللاتينية في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، وأستخدم على نطاق واسع في أوربا... وقد زودت، هذه الجداول، أوربا المسيحية بأول معارفها عن علوم الفلك والرياضيات الإغريقية – العربية – الهندية، بما في ذلك الجداول الأولى لدالة الجيب المثلثية، لكي تظهر باللاتينية"[٣٥].

- جداول البتاني

يُعد "الزيج الصابيء"، الذي يحتوي على جداول فلكية، من أهم مؤلفات عالم الفلك والرياضيات البتاني (٢٤٤هـ/٨٥٨م – ٣١٧هـ/٩٢٩م)، الذي يقول عنه ابن خلكان: "أبو عبدالله محمد بن جابر بن سنان الحرّاني الأصل البتاني الحاسب، المنجم المشهور صاحب الزيج الصابي، له الأعمال العجيبة والأرصاد المتقنة... وأعماله تدل على غزارة فضله وسعة علمه"[٣٦]. ويقول عنه بروكلمان: "ويرتبط باسمه... إدخال حساب المثلثات في بلاد الغرب"[٣٧]. وجاء في موجز دائرة المعارف الإسلامية عن أسم البتاني في اللاتينية، وعن أهمية كتابه "الزيج الصابي": المعروف (أي البتاني) عند الغربيين في العصور الوسطى باسم **Albategni** أو **Albatenius**، من أكبر علماء الفلك... (و) الزيج أهم تصانيفه... وقد كان له أثر كبير، لا في علم الفلك عند العرب فحسب، بل فيه وفي حساب المثلثات الكبرى عامة في أوربا خلال العصور الوسطى وأول عصر النهضة[٣٨]. وعن أهمية الزيج الصابيء، ذكر الزركلي، أن الأوربيين قالوا عن كتاب البتاني هذا: أنه أصح من زيج بطليموس[٣٩]. وقد ترجم الأوربيون "الزيج الصابيء"، من اللغة العربية إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي، أكثر من مرة، لكنهم

وضعوا له أسمًا آخر، كما يقول سمث: "إن عمل البتاني عن حركات النجوم قد ترجمه أفلاطون التيفولي (١٢٠٠م) تحت عنوان **De Motu Stellarum**. ويمضي بالقول: وقد تعرفنا عليه من كتابات ريجيومونتانوس، وقد نُشر في نورنبيرج في عام ١٥٣٧م. وهناك طبعة أخرى في بولونيا (**Bologna**) عام ١٦٤٥م"(٤٠). كما يذكر سارتون أن هناك ترجمة أخرى في القرن الثاني عشر الميلادي، قام بها روبرت الشستري، لكنها مفقودة. ويقول أيضًا: "أن عمل البتاني تمت ترجمته إلى الإسبانية من العربية، بناءً على طلب من الفونسو العاشر (صاحب قشتالة) بعد قرن من الزمان"(٤١)، أي في القرن الثالث عشر الميلادي. ويبين سارتون أيضًا، أن كتاب البتاني، قد بقي معتمدًا قي أوربا حتى القرن السادس عشر الميلادي(٤٢).

كما أن كتاب "الزيج الصابىء" قد نُشر وحُقق في العصر الحديث، عندما نشر كارلو نلينو طبعة للأصل العربي منقولاً عن النسخة المحفوظة بمكتبة بلدة الإسكوريال من بلاد الأندلس في ثلاثة مجلدات بروما ١٨٩٩ – ١٩٠٧م، مصحوبة بترجمة لاتينية وتعليق على بعض الموضوعات(٤٣). وقبل ذلك كان العالم الفرنسي دي لامبير قد نشر في عام ١٨١٧(م) كتابه في تاريخ علم الفلك في العصور الوسطى، وخصص في ٥٣ صفحة لتحليل كتاب الزيج للبتاني... ومن المعروف فضل البتاني على كوبرنيك، فإن الأخير يذكر البتاني بكثرة في مؤلفاته... وأشاد بذكره كبلر وغاليله اللذان يظهران بوضوح اهتمامهما الكبير بالمشاهدات الفلكية للبتاني(٤٤).

- جداول الزرقالي

الزرقالي، إبن الزرقالي، ابن الزرقالة، ولد الزرقيال، الزرقيال، Azarquiel (بالإسباني)، Arzachel (باللاتيني)، جميعها لعالم واحد هو الفلكي العربي الأندلسي، الذي توفي عام ٤٩٣هـ، واسمه الكامل كما ذكره ابن صاعد الأندلسي: "أبـو اسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقيال"... ثم يقول عنه: "أبصر أهل زماننا بأرصاد الكواكب وهيئة الأفلاك وحساب حركاتها وأعلمهم بعلم الأزياج واستنباط الآلات النجومية"(٤٥). ويقول عنه أيضًا ابـن الأبـار: "إبراهيم بن يحيى التجيبي النقاش، من أهالي طليطلة، يُعرف بابن الزرقالة، ويُكنى أبا اسحاق، وكان واحد عصره في علم العدد والرصد وعلل الأزياج، ولم تأت الأندلس بمثله من حين فتحها المسلمون إلى وقتنا هذا"(٤٦). ويبيّن خوان فيرنيت الأستاذ في جامعة برشلونة، عن أصل كلمة الزرقالي أو الزرقيال، أنها مركبة من "أل" التعريف، وصفة "الزرقا" التي تعني اللون الأزرق للعين(٤٧). وعن أهمية جداول الزرقالي، يقول سمث: "ابن الزرقالي هو من العرب الذين أثّروا في أوربا، وكوّن مجموعة من الجداول، بما فيها جداول الجيوب والجيوب المعكوسة"(٤٨). وفي الاتجاه ذاته يقول فؤاد سزكين: "من المؤلفات التي كان لها أثر بالغ في أوربا زيجات الزرقالي الطليطلي"(٤٩).

وكذلك يذكر خوان فيرنيت، مصير مؤلفات الزرقالي وأهميتها فيقول: "أما مؤلفاته التي فقدت جميعها تقريبًا في أصلها العربي، فإننا

صورة غلاف كتاب "الزيج الصابىء" للبتاني باللغة اللاتينية - بولونيا، ١٦٤٥م

نستطيع أن نقرأها اليوم... في ترجماتها اللاتينية... فنحكم إلى أي حد أثرت في الثورة الفلكية في عصر النهضة"[٥٠]. وقد كانت جداول الزرقالي، ضمن مجموعة جداول لمؤلفين آخرين، وهو أيضًا محرر هذه المجموعة[٥١]، التي تُعرف باسم "جداول طليطلة"، يصفها هنري روش في موسوعة تاريخ العلوم العربية فيقول: "هناك جداول الزرقالي التي تؤلف نواة المجموعة المعروفة باسم جداول طليطلة،... وقد لقيت هذه الجداول... انتشارًا عامًا عبر الغرب اللاتيني كله من خلال الترجمة التي وضعها جيراردو كريمون... المتوفي في العام ١١٨٧م... واستمرت حركة اقتباس الجداول العربية، وبشكل أساسي جداول طليطلة، في أنحاء مختلفة من العالم المسيحي طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد"[٥٢]. وعن مساهمة هذه الجداول في تطور حساب المثلثات، يقول ديرك ستروك: "وكان لجداول حساب مثلثات هذا العمل (يقصد عمل جداول طليطلة) الذي تُرجم إلى اللاتينية أثر فاعل في تطور حساب المثلثات في عصر النهضة"[٥٣]. كما يقول خوان فيرنيت أيضًا: "لقد أسهمت جداول حساب المثلثات من تقويم "الزرقيال" في إدخال التوابع (الدالات) المثلثية الخاصة بالجيب، وجيب التمام، وفرق جيب التمام وخط القاطع وخط المماس (المقصود الظل) إلى أوربة"[٥٤].

٢- كتب عربية

سوف نذكر بعض الكتب أو الرسائل العربية، التي ترجمها الأوربيون إلى اللاتينية في العصور الوسطى وما بعدها في مجال حساب المثلثات والفلك.

- إصلاح المجسطي، لجابر بن أفلح

جابر بن أفلح الإشبيلي الأندلسي، عالم الفلك والرياضيات، لا نعرف عن حياته إلا القليل، كما لا نعرف التاريخ المضبوط لولادته ووفاته، لهذا يقول قدري حافظ طوقان: "ولد في إشبيلية في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد، وتوفي في قرطبة في منتصف القرن الثاني عشر للميلاد"[٥٥]. وهو معروف في العالم اللاتيني باسم Geber[٥٦]، وفي اللغات الأوربية بأسماء مثل:

Jabir , Djabir, Dschabir . وقد اشتهر جابر بن أفلح من خلال كتابه، الذي ذكر القفطي له اسمين، الاستكمال والهيئة، فيقول عنه مرتين باختصار شديد: "وهذب (موسى بن ميمون) كتاب الاستكمال لابن أفلح الأندلسي في الهيئة فأحسن فيه". ثم يقول أيضًا: "ووصل (يوسف ابن يحيى) إلى مصر واجتمع بموسى بن ميمون القرطبي... وسأله إصلاح هيئة ابن أفلح الأندلسي"[٥٧]. كما يطلق ابن خلكان اسم الهيئة على هذا الكتاب، فيقول: "هيئة ابن أفلح"[٥٨]. أما موسى بن ميمون في كتابه "دلالة الحائرين" فقد ذكر الكتاب دون اسمه فيقول: "ثم جاءوا أقوام متأخرون في الأندلس مهروا في التعاليم جدًا... وقد ألّف في ذلك ابن أفلح الإشبيلي، الذي اجتمعت بولده، كتابًا مشهوراً"[٥٩]. غير أن معظم المؤرخين في العصر الحالي يطلقون

على هذا الكتاب اسم "إصلاح المجسطي". نعتقد أن هذا الاسم حصل بعد النقد الشديد الذي وجهه ابن أفلح لبعض أطروحات بطليموس الفلكية في كتابه "المجسطي". لهذا اشتهر هذا الكتاب، فضلاً، أنه يتضمن في مقالته الأولى بحثًا عن حساب المثلثات الكروية. وبذلك ترجمة الأوربيون إلى اللغة اللاتينية بسرعة كما يقول جورج سارتون: "وقد تُرجم كتاب اصلاح المجسطي إلى اللاتينية والعبرية... (و) ترجم جيرارد الكريموني كتاب جابر بن أفلح "إصلاح المجسطي" قبل عام ١١٨٧ (للميلاد)، أي، كما يقول سارتون: "حينما كان ذلك الكتاب لا يزال شيئًا جديدًا في الأوساط الإسلامية"[٦٠].

كما اشتهر جابر بن أفلح في الغرب من خلال إحدى النظريات التي تُستعمل في حل المثلثات القائمة الزاوية وعرفت باسمه أي "نظرية جابر"، كما يذكر سمث في كتابه "تاريخ الرياضيات"[٦١]. أضف إلى ذلك أن أحد طلبة جامعة مانشستر يدعى لورش، كتب عام ١٩٧٠ رسالة دكتوراه عن جابر بن أفلح وتأثيره في الغرب[٦٢]. ومع هذا الاعتراف بقدرات جابر بن أفلح فإن كتابه "إصلاح المجسطي" لم ينشر أو يحقق لحد الآن، الذي بقي كمخطوطة منتشرة في أنحاء العالم. نسخة كتبت بدمشق سنة ٦٣٦هـ... مصورة بمعهد التراث بحلب[٦٣]، ومخطوطات في برلين والأسكوريال (إسبانيا) وباريس[٦٤].

"شكل القطاع" لنصير الدين الطوسي

الاسم الكامل لنصير الدين الطوسي كما ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون هو: "محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، نصير الدين"[٦٥]. ويبيّن المؤرخ طه باقر جزءًا من سيرته فيقول: "من أعلام الرياضيين والفلكيين الذين عاشوا في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)... ولد في طوس (٥٩٧هـ - ١٢٠٠م) وتوفي في بغداد (١٢٧٣م)،... اشتهر الطوسي باشتغاله في الهندسة والمثلثات بالإضافة إلى الفلك وكان من بين الرياضيين الذين جعلوا من المثلثات (trigonometry) موضوعًا مستقلاً عن الفلك"[٦٦]. يتضح ذلك من خلال كتاب الطوسي الشهير "الشكل القطاع"، وقد كتبه في البداية بالفارسية ثم نقله بنفسه إلى العربية، كما يقول هو في مقدمة هذا الكتاب[٦٧] الذي خصصه للعلاقات الهندسية بين أضلاع المثلث وزواياه، في المثلث المستوي والكروي، كل ذلك بعيدًا عن تطبيقاته في علم الفلك. ومع أن موضوع هذه الفقرة هو ترجمة كتاب الشكل القطاع من العربية إلى اللغات الأخرى، لكننا سنتناول أيضًا تعدد عناوين هذا الكتاب، أضف إلى ذلك سنتناول أهميته وتأثيره في الرياضيات. إن الاسم الشائع لكتاب الطوسي في حساب المثلثات هو "الشكل القطاع"، كما يقول الطوسي نفسه في مقدمة هذا الكتاب : ".... وبعد فقد كنت عملت فيما مضى من الزمان كتابًا جامعًا لضبط دعاوى الشكل المعروف بالقطاع وبراهينه...."[٦٨].

وقد ذكر هذا الاسم أي الشكل القطاع غير واحد من المؤلفين العرب، مثلاً قدري حافظ طوقان في كتابه: "تراث العرب العلمي

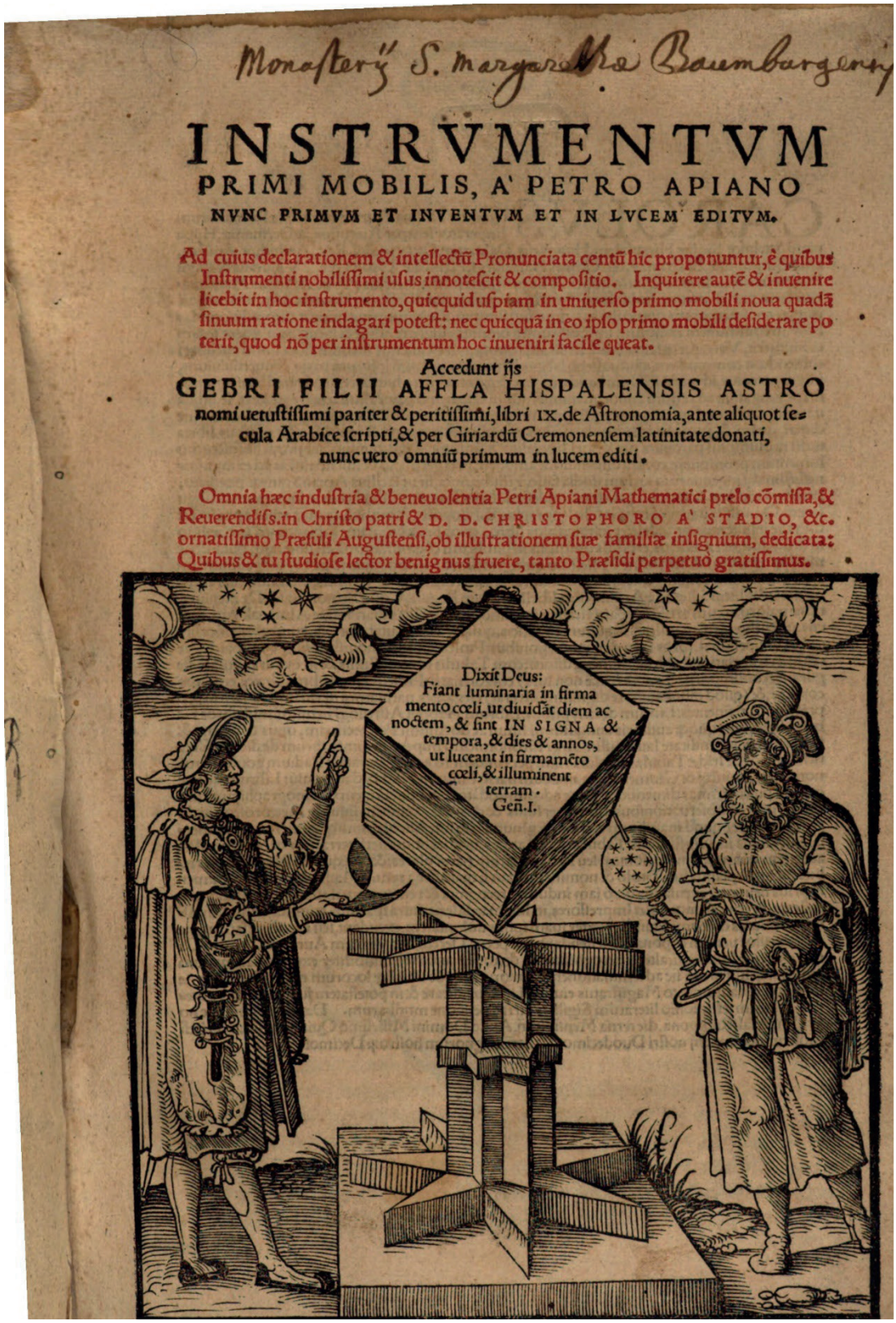

Monasterij S. margarethæ Baumbergensis

INSTRVMENTVM
PRIMI MOBILIS, A' PETRO APIANO
NVNC PRIMVM ET INVENTVM ET IN LVCEM EDITVM.

Ad cuius declarationem & intellectū Pronunciata centū hic proponuntur, è quibus Instrumenti nobilissimi usus innotescit & compositio. Inquirere autē & inuenire licebit in hoc instrumento, quicquid uspiam in uniuerso primo mobili noua quadā sinuum ratione indagari potest: nec quicquā in eo ipso primo mobili desiderare poterit, quod nō per instrumentum hoc inueniri facile queat.

Accedunt ijs
GEBRI FILII AFFLA HISPALENSIS ASTRONOMI uetustissimi pariter & peritissimi, libri IX. de Astronomia, ante aliquot secula Arabice scripti, & per Giriardū Cremonensem latinitate donati, nunc uero omniū primum in lucem editi.

Omnia hæc industria & beneuolentia Petri Apiani Mathematici prelo cōmissa, & Reuerendiss. in Christo patri & D. D. CHRISTOPHORO A' STADIO, &c. ornatissimo Præsuli Augustensi, ob illustrationem suæ familiæ insignium, dedicata: Quibus & tu studiose lector benignus fruere, tanto Præsidi perpetuò gratissimus.

Dixit Deus:
Fiant luminaria in firmamento cœli, ut diuidāt diem ac noctem, & sint IN SIGNA & tempora, & dies & annos, ut luceant in firmamēto cœli, & illuminent terram.
Gen. I.

صورة غلاف كتاب "إصلاح المجسطي" لجابر بن أفلح باللغة اللاتينية

في الرياضيات والفلك"[٦٩]، وفي "الوافي بالوفيات" للصفدي[٧٠]، وكذلك عند ابن شاكر في "فوات الوفيات"[٧١]. أما الزركلي في "الأعلام" فيذكر اسمين هما "شكل القطاع" و "تربيع الدائرة"[٧٢]، لكن البغدادي في "هدية العارفين" يذكره بعنوان: "كشف القناع عن أسرار الشكل القطاع"[٧٣]، وكذلك رضوي في كتابه عن نصير الدين الطوسي[٧٤]. أما المؤلفين الأوربيين، فذكروا عنوان هذا الكتاب، بأشكال متعددة، منها باللفظ العربي ذاته أي شكل القطاع، لكن بحروف لاتينية: Shakl al- qatta، أو al- Shakl al- Katta، كما جاء مثلاً عند سمث في كتابه "تاريخ الرياضيات"[٧٥]، وسارتون في كتابه "مقدمة لتاريخ العلم"[٧٦]، وفي "الموسوعة الإسلامية"[٧٧]. وإما بترجمة شكل القطاع إلى اللغات الأوربية، وهذه تأتي بصيغ مختلفة، على سبيل المثال:

The Transversal Figure[٧٨]، Intersecting figures[٧٩]، Complete quadrilateral[٨٠]، Figure of the Sector[٨١]. Quadrilateral[٨٢].

ولابد أن نشير هنا أن هذا التعدد في أسماء كتاب الطوسي، قد يكون أحد أسبابه هو العنوان الذي ورد في الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب، هو:

TRAITE DU QUADRILATERE

أما المؤلفات الأجنبية في العصر الحديث التي تُرجمت إلى العربية، فنجد تباينات كبيرة فيما بينها، في ما يخص عنوان كتاب الطوسي "شكل القطاع"، وهي في الحقيقة غالبًا ما تكون ترجمة للكلمات الإنكليزية السابقة، نذكر منها على سبيل المثال: رسالة التربيع الكامل[٨٣]، الشكل الرباعي[٨٤]، رباعي الأضلاع[٨٥]، المربع الكامل[٨٦]، وبالطبع عنوان الشكل القطاع. أضف إلى ذلك هناك قضية مترابطة مع تعدد عناوين كتاب شكل القطاع للطوسي، هي أن قسمًا من المؤلفين العرب، في عصرنا الحالي، يبدو أنهم ليس لهم اطلاع على مخطوطة نصير الدين الطوسي الأصلية، لمعرفة الاسم الصحيح لعنوان كتابه، إنما اعتمدوا على المؤلفات الأجنبية بهذا الخصوص وهو أمر مؤسف، لذلك نجد أنهم يستعملون عنوانين مثل "أشكال المتقاطعات"[٨٧]، و"الشكل الرباعي"[٨٨].

أما عن ترجمة كتاب "الشكل القطاع" للطوسي، إلى اللاتينية واللغات الأوربية الأخرى، فإننا نجد غموضًا وتباينًا عن ذلك أيضًا بين المؤلفات العربية والأجنبية، وبين المؤلفات الأجنبية ذاتها. فالمؤلفات العربية تكاد تُجمع على أن هناك ترجمة للشكل القطاع من العربية إلى اللاتينية والإنجليزية والفرنسية. فمثلاً يذكر المؤرخ طه باقر عن ذلك فيقول: "وتُرجم كتابه عن الموضوع والمعنون "شكل القطاع" إلى اللاتينية والفرنسية والإنجليزية"[٨٩]. وهكذا يذكر، مثلاً، قدري حافظ طوقان[٩٠]، وتوفيق الطويل[٩١]، وأحمد فؤاد باشا[٩٢]. ويضيف المؤلف أحمد محمد عوف أسم الشخص الذي ترجم كتاب الطوسي (الذي يدعو هذا الكتاب خطًا بالشكل القاطع) فيقول: "وقام (جون واليس) بترجمة كتابه (الشكل القاطع) للإنجليزية واللاتينية والفرنسية"[٩٣].

أما المؤلفات الأجنبية، فقليل منها، يذكر

وجود ترجمة لاتينية لكتاب الشكل القطاع للطوسي، فمثلاً يقول كوك عن انتشار هذا الكتاب في أوربا: "إن الترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية في حساب المثلثات، مثل كتاب نصير الدين الطوسي، بدأت تنتشر في أوربا في أواخر العصور الوسطى"[٩٤]. أما جون فريلي فقد ذكر بشكل عام ترجمة كتب الطوسي في الفلك والرياضيات ولم يحدد كتاب الشكل القطاع، فيقول: "وقد ترجمت مؤلفاته (أي نصير الدين الطوسي) إلى اللاتينية، وكان لها أثر ملحوظ في تقدم العلوم الأوربية"[٩٥]. وتأكيدًا على انتشار كتاب شكل القطاع للطوسي يذكر ميدز وبابابيف أن هذا الكتاب كان معروفًا للباحثين الأوربيين بخاصةً إلى ريجيمونتانوس (القرن الخامس عشر الميلادي)[٩٦]. وقد بيّن، أيضًا، أندريه آلار، الباحث في المؤسسة الوطنية للبحث العلمي البلجيكية، في أثناء حديثه عن الترجمة في القرن الرابع عشر الميلادي، أن أحد أوائل المتابعين باللاتينية لمؤلف الطوسي في علم المثلثات كان ريتشارد دو والنغورد (ت:١٣٣٥م)[٩٧]. غير أن كثير من المؤلفات الأجنبية لا تبيّن أن هناك ترجمة لهذا الكتاب إلى اللاتينية، إنما تذكر الترجمة إلى الفرنسية في العصر الحديث وليس العصر الوسيط، وهذا الذي لاحظناه في معظم المراجع الأجنبية. على سبيل المثال يذكر مؤرخ الرياضيات سمث أن هناك ترجمة، لكتاب الطوسي، فرنسية نُشرت في القسطنطينية عام ١٨٩١(م)[٩٨]. والشيء ذاته نجده مثلاً، عند سارتون[٩٩]، وبيرغرين[١٠٠]، وكارا دي فو[١٠١]، والدوميللي[١٠٢].

بالإضافة إلى ترجمة شكل القطاع إلى الفرنسية، هناك ترجمة إلى اللغة الروسية عام ١٩٥٢، كما ذكر غلين فان برومیلین[١٠٣]، و ميدز وبابابيف[١٠٤]. وعن قضية أهمية كتاب شكل القطاع للطوسي وتأثيراته في أوربا الغربية، هناك آراء متباينة واختلاف وغموض عند المؤرخين والباحثين عن هذه القضية. لذا نجد قسمًا من المؤلفين يعترف بأهمية هذا الكتاب ومؤثراته، لكن بصورة عامة. على سبيل المثال، ما ذكره ول وإيريل ديورانت: "وقد بقي كتابه (أي الطوسي) المسمى شكل القطاع لا ينافسه منافس في هذا الميدان حتى نشر رجيومنتانس كتابه المثلثات بعد مائتي عام من ذلك الوقت"[١٠٥]. كما بيّن ذلك أيضًا يوشكيفتش، في كتاب تاريخ التراث العربي، لكن دون تحديد فترته الزمنية، بقوله: "إن رسالة نصير الدين (الشكل القطاع) لعبت دورًا عظيمًا في تطور المثلثات في أوربا"[١٠٦]. ويقول أيضًا طه باقر عن كتاب الشكل القطاع: "وبقي مرجعًا مهمًا في أوربا عن المثلثات المستوية والكروية"[١٠٧]، وكذلك يقول رنيه تاتون عن هذا الكتاب أيضا: "وقد كان لهذا الكتاب تأثير ضخم على تطور علم المثلثات"[١٠٨]، ويذكر طوقان أيضًا: "وبقي (يقصد كتاب الشكل القطاع) قرونًا عديدة مصدرًا لعلماء أوربا يستقون منه معلوماتهم في المثلثات المستوية والكروية"[١٠٩]. ومقابل هذه الآراء، هناك من يقلل من شأن كتاب الطوسي، فمثلاً يقول بوير في كتابه "تاريخ الرياضيات": "لسوء الحظ، كان تأثير عمل نصير الطوسي محدودًا، بنفس القدر الذي لم يصبح فيه معروفًا جيدًا في أوربا"[١١٠].

ويقول ديرك ستروك أيضًا: "ولسوء الحظ لم يكتب لعمله التقدم"[١١١]، والرأي ذاته عند بيل، إذ يقول: "إن الأوربيين قد استنسخوا كثير منه (يقصد كتاب الطوسي) دون أن يهتموا لوجوده"[١١٢]. وهناك من يحدد فترة انتشار كتاب شكل القطاع، في أوربا قبل نشر كتاب ريجيومونتانوس، كما يقول ديورانت: "وقد بقي كتابه المسمى شكل القطاع لا ينافسه منافس في هذا الميدان حتى نشر (رجيومونتانوس) كتابه المثلثات De Triangulis بعد مائتي عام من ذلك الوقت"[١١٣]. ومن المعروف أن كتاب ريجيومنتانس، قد نُشر عام ١٥٣٣(م)، بعد وفاته بأكثر من نصف قرن[١١٤]. ويحدد سارتون الفترة التي انتشر فيها شكل القطاع بخاصة ما يحويه من حل المثلثات المستوية والكروية فيقول عنها: "لم تكن معروفة بوضوح حتى نهاية القرن السادس عشر (الميلادي)"[١١٥]. كذلك يحدد الفترة موريس كلاين بقوله: "لسوء الحظ أن الأوربيين لم يعرفوا عمل نصير الدين حتى عام ١٤٥٠ (الميلاد) تقريبًا"[١١٦].

وهناك آراء أخرى ترى أن كتاب شكل القطاع للطوسي، قد عرفته أوربا بعد عصر النهضة، كما يقول: فؤاد سزكين: "وقد بقي كتاب نصير الدين الكبير غير مثمر، ولم يعرف في الغرب قط، حتى انتزع من أحضان النسيان في وقت قريب جدًا[١١٧]. وهكذا يبين ألبرت ديتريش، الأستاذ في الدراسات العربية في جامعة غوتنجن الألمانية: "فكتابه (يقصد الطوسي) المعنون "شكل القطاع" قد حوى من المعارف مالم يصل إليه الغرب إلا بعد أجيال وذلك أن الغرب في بادئ الأمر لم يتقبل علم المثلثات عن الطوسي مباشرة، بل تقبله عن السابقين له الذين لم يبلغ مستوى الطوسي"[١١٨].

مما سبق يمكننا القول إن كتاب شكل القطاع لنصير الطوسي، كان له تأثير كبير على تطور حساب المثلثات في الغرب الأوربي، بأي طريقة وصل هذا الكتاب إليهم.

رابعًا: علماء أوربيون نهلوا من حساب المثلثات العربي

إن الترجمات اللاتينية للمخطوطات العربية، بما فيها أعمال إغريقية، التي ذكرنا قسمًا منها سابقًا، قد أصبحت في أواخر العصور الوسطى، بالنسبة للغرب الأوربي، أساسًا لكتب عديدة لدارسين تميزوا في الرياضيات والفلك، بعد استيعابهم العلم العربي والإغريقي، الذي أدى إلى إحداث شرارة النهضة الأوربية في حساب المثلثات. ومن هؤلاء الدارسين نذكر: فيبوناتشي (ليوناردو البيزي) (١١٧٠-١٢٥٠م)، وريجيومونتانوس (أسمه يوهان ميللر) (١٤٣٦-١٤٧٦م)، ورتيكوس (١٥١٤-١٥٧٤م)، وبيورباخ(١٤٢٧-١٤٦١)،وكوبرنيكوس(١٤٧٣-١٥٤٣م)، وكيبلر(١٦٣٠-١٥٧١)، وفييت (١٥٤٩-١٦٠٣م)،وفينك(١٥٦١-١٦١٣م)، وبيتسكوس (١٥٦١-١٦١٣م).

لهذا يبيّن جوزيف هيل، أحد الباحثين الأوربيين، عن تأثير المؤلفات العربية فيقول: "في مجال حساب المثلثات، إن نظرية الجيب والجيب تمام والظل، هي أحد موروثات العرب،

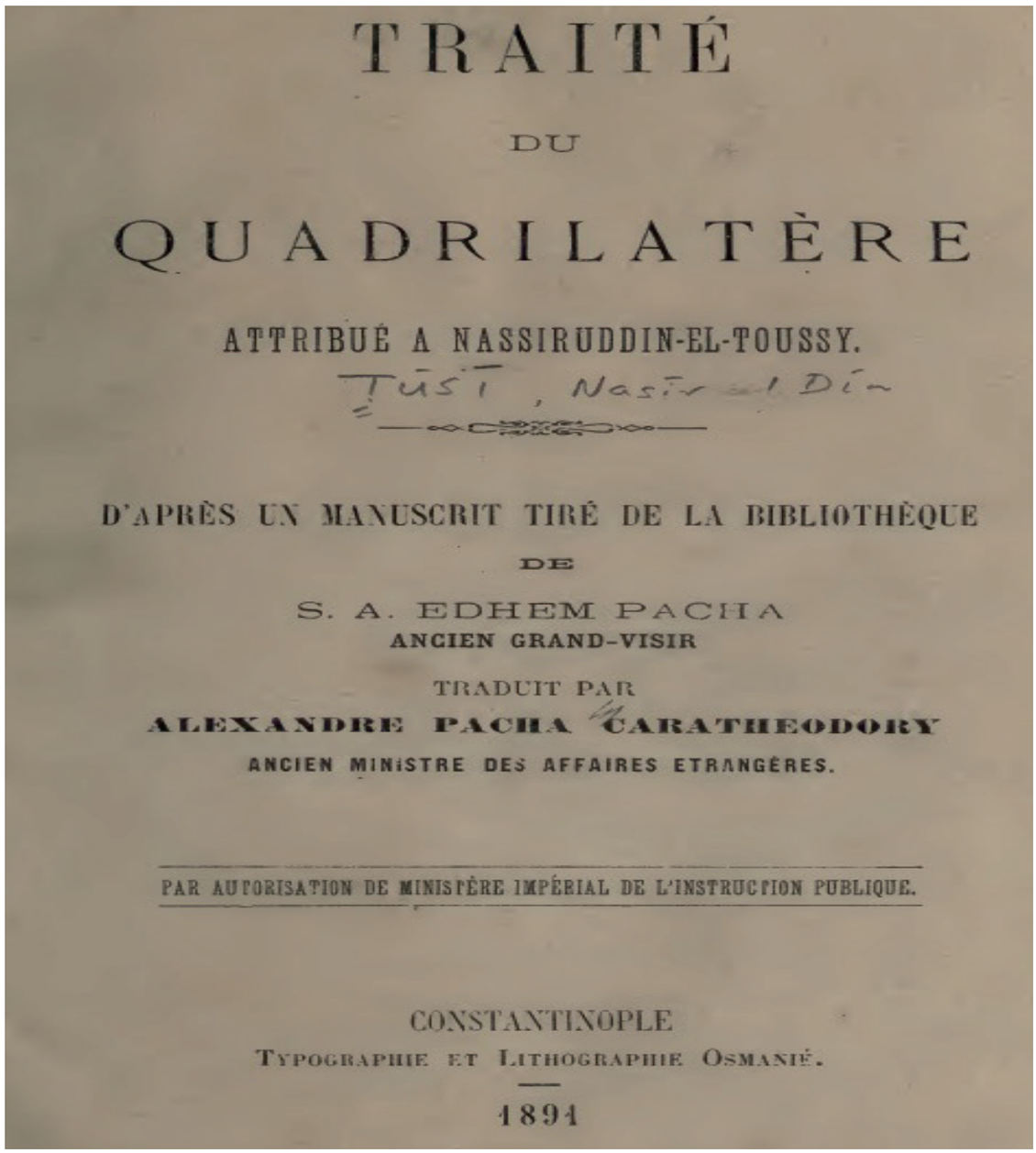

TRAITÉ

DU

QUADRILATÈRE

ATTRIBUÉ A NASSIRUDDIN-EL-TOUSSY.

Tūsī, Nasīr al Dīn

D'APRÈS UN MANUSCRIT TIRÉ DE LA BIBLIOTHÈQUE

DE

S. A. EDHEM PACHA

ANCIEN GRAND-VISIR

TRADUIT PAR

ALEXANDRE PACHA CARATHEODORY

ANCIEN MINISTRE DES AFFAIRES ETRANGÈRES.

PAR AUTORISATION DE MINISTÈRE IMPÉRIAL DE L'INSTRUCTION PUBLIQUE.

CONSTANTINOPLE

TYPOGRAPHIE ET LITHOGRAPHIE OSMANIÉ.

1894

صورة غلاف كتاب "شكل القطاع" للطوسي باللغة الفرنسية – القسطنطينية، ١٨٩١م

ولا يمكن الحديث عن عباقرة العصور الزاهرة: بيورباخ وريجيومونتانوس وكوبرنيكوس، دون أن نتذكر الجهود الأساسية والتمهيدية لعلماء الرياضيات العرب"[١١٩]. وكذلك يقول ليندبيرج: "في الحقيقة أن كوبرنيكوس وكبلر كانوا باستمرار يشيدون بالبتاني (في الترجمة اللاتينية) خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر(الميلاديين)، وهم من ضمن أخرين يشهدون لصالح نوعية أعماله الفلكية وأهميته"[١٢٠]. وبالاتجاه ذاته يذكر سمث مؤرخ الرياضيات: "بحلول القرن الرابع عشر (الميلادي)، تعرفت إنجلترا على حساب المثلثات العربي، وفي القرن الخامس عشر (الميلادي)، وبفضل كبير من بيورباخ الذي قام بحساب جدول جديد للجيوب، وأيضًا من تلميذه ريجيومونتانوس، فقد أصبح الدارسين الأوربيين عمومًا على اطلاع جيد عليه (أي على حساب المثلثات)"[١٢١]. إن القرن الثاني عشر الميلادي، كان بالنسبة إلى أوربا هو عصر الترجمة (بالطبع إلى اللاتينية)، وقد تضمن قسمًا من حساب المثلثات العربي، ولكن، كما يقول بوير، كانت المساهمات اللاتينية لعدة قرون تقليدًا أعمى للعرب[١٢٢]. سنتابع بعض دارسيهم ومؤلفاتهم التي اعتمدوا فيها على المصادر العربية.

- **ليوناردو فيبوناشي**، عالم رياضيات إيطالي، ويُعرف أيضًا ب ليوناردو البيزي (وبيزا مدينة إيطالية). وهو أول تاجر غربي تبلغ دراساته الرياضياتية درجة النضج[١٢٣]. ولد في بيزا عام ١١٨٠(م)، وكان والده مديرًا لإحدى المؤسسات التجارية في بلاد الجزائر، وانظم إليه ليوناردو في تلك البلاد وهو في سن المراهقة، وتعلم على أستاذ مسلم، ثم طاف ببلاد مصر، والشام، واليونان، وصقلية... ولعل ليوناردو قد تعلم اللغة اليونانية كما تعلم العربية[١٢٤]. وقد اطلع أثناء رحلاته على العلوم الرياضية عند العرب، ثم كتب عملين من المعارف التي حصل عليها من المصادر الإسلامية، الأول عن الحساب والجبر، والثاني عن الهندسة وحساب المثلثات بعنوان "الهندسة العملية" (Practica geometrica) عام ١٢٢٠م يصف فيه ما تم اكتشافه في الهندسة وحساب المثلثات[١٢٥][١٢٦].

- **جورج فون بيورباخ**، عالم فلك ورياضيات، نمساوي. يقول عنه رنيه تاتون: "نحو عام ١٤٥٠(م) عمم بورباخ أستاذ في فينا مبادئ علم المثلثات العربية، ووضع جدولاً جديدًا للجيب"[١٢٧]. ويقول أيضًا: "واستند (أي بورباخ) إلى المناهج العربية وخاصة مناهج (الزرقالي) فوضع جدولاً بجيوب الزوايا مرتبة...."[١٢٨].

- **ريجيومونتانوس(Regiomontanus)**، اسمه الحقيقي يوهان موللر، عالم في الرياضيات والفلك، ألماني، اشتهر بكتابه عن المثلثات: De Triangulis Omnimodis (عن كل أنواع المثلثات)، الذي كتبه نحو عام ١٤٦٣م، ونشر بعد وفاته عام ١٥٣٥م. يُعد هذا الكتاب أول مؤلف حديث في أوربا يبحث عن حساب المثلثات، كونه موضوعًا مستقلاً عن الفلك. ولهذا العمل تأثيرًا كبيرًا جدًا في إحياء هذه الموضوع في الغرب[١٢٩]. كان ذلك بسبب قيمته العلمية الكبيرة، ومع ذلك أن هذا

الكتاب مثير للجدل والتشكيك والاستغراب من حيث أصالة محتواه، مما نجم عن ذلك آراء متباينة، متعارضة، تتركز عن مدى التزام ريجيومونتانوس الأمانة العلمية من ناحية الإشارة إلى المصادر التي نهل منها معلومات كتابه الذي ذكرناه أعلاه. أضف إلى ذلك أن هناك اختلاف في تحديد العلماء الذين أخذ عنهم. وعلى هذا الأساس، نجد أن هناك انقسامًا لدى المؤلفين، بخاصة الغربيين، عن أصالة كتاب ريجيومونتانوس. القسم الأكبر يرى أن هناك تشابهًا أو تماثلاً بين بعض محتوى هذا الكتاب ومؤلفات عربية، بينما آخرون يعتقدون عكس ذلك، أو بأحسن الأحوال هناك تماثلاً مع بعض المؤلفات الإغريقية فحسب. وهناك قسم ثالث يتجاهل موضوع أصالته على الإطلاق. لذلك فقد لاحظ كثير من المؤلفين، أن هناك تشابهًا بين محتوى كتاب ريجيومونتانوس وبعض المؤلفات العربية والإغريقية وغيرها. ولابد أن نشير أن الذي لاحظ ذلك، ليس فقط بعض المؤلفين العرب مثل قدري حافظ طوقان، إنما عددًا غير قليل من المؤلفين غير العرب، الذين سنذكرهم لاحقًا. ومن المؤسف أن الغرب لم يكتشف أن هناك نظريات وقوانين كثيرة في حساب المثلثات كانت منسوبة إلى ريجيومونتانوس ثبت أنها من وضع العلماء العرب والمسلمين وأنهم سبقوه إليها، إلا في وقت متأخر[١٣٠]، كما يبيّن ذلك كوك عند حديثه عن تأثير المؤلفات العربية في أوربا: "وقد قدمت هذه المؤلفات الأساس لكتب عديدة مثل كتاب" عن كل أنواع المثلثات" لريجيومونتانوس... وكان يُعتقد أن ريجيومونتانوس قد ابتكر قانون جيوب المثلثات الكروية، لكننا الآن علمنا أن هذه النظرية كانت معروفة قبل ٥٠٠ عام على الأقل، عند علماء المسلمين، ويجب أن يكون قد قرأها ريجيومونتانوس"[١٣١]. وفي الاتجاه ذاته يقول رنيه تاتون: "كان إنتاج ريجيومونتانوس غنيًا جدًا، ولكنه أقل أصالة مما كان يُعتقد. لقد كان ريجيومونتانوس مطلعًا تمامًا على كتب سابقيه، وبصورة خاصة على كتب عربية أو يهودية لم تُكتشف مجددًا إلا في القرن ١٩. وقد أخذ عنهم... أشياء كثيرة ظن البعض أنها منه"[١٣٢]. يؤكد ذلك أيضًا فؤاد سزكين فيقول: "من أبرز الأمثلة على ما يميز هذا القرن (يقصد ٧هـ/ ١٣م) من عقلية التنظيم المنطقي لأعمال السلف وتوسيعها، كتاب نصير الدين الطوسي في "الشكل القطاع" الذي رسخ فيه حساب المثلثات كفرع مستقل. وكان الفضل في ذلك يُرجع زمنًا طويلاً إلى ي. رجيومونتانوس حتى أتى أ. فون برانمول[١٣٣] حوالي نهاية القرن ١٩م فأعاد الأمر إلى نصابه"[١٣٤]. ويقدّم روزينفيلد، الذي كان يعمل في معهد تاريخ العلوم والتكنولوجيا في موسكو، دليلاً عمليًا عن اعتماد ريجيومونتانوس في كتابه عن المثلثات على المؤلفات العربية من خلال استعماله الألفاظ العربية في تسمية رؤوس المثلث، فيقول: "يتضمن الفصل الرابع شرحًا مُشكلاً طبقًا للمؤلفات العربية... إن هذه التبعية كانت ظاهرة بالحقيقة من خلال أنه عوضًا عن تسمية رؤوس المثلث بالرموز C, B, A، فإن ريجيومونتانوس قد أطلق عليها G, B, A ، وهي الحروف اللاتينية التي تستعمل عادةً لنسخ الحروف العربية أ، ب، ج"[١٣٥].

ولابد أن نشير أنه لم يكن هناك توافق تام عن المصادر الأساسية أو الأصول التي اتبعها أو اقتبسها ريجيومونتانوس في كتابه عن المثلثات، الذي يتألف من خمسة فصول. لذلك نجد هناك من ينسبها إلى الإغريق أو العرب والمسلمين عمومًا أو الهندوس أوالطوسي، أو جابر بن أفلح أو البتاني أو البوزجاني أو الجياني[١٣٦] أو ثابت بن قرة. فمثلاً جاء في الموسوعة البريطانية الجديدة: "أن ريجيومونتانوس قد اعتمد في تأليف كتابه على المصادر الإغريقية المترجمة"[١٣٧]. ويقول إيلي ماور: "لقد نظّم ريجيومونتانوس في كتابه، مجموعة المعرفة بطريقة متسقة، المتكونة من تراث حساب المثلثات لبطليموس والدارسين الهنود والعرب"[١٣٨]. ويقول كارل فينك: "إن الفصول: الثالث والرابع والخامس (من كتاب ريجيومونتانوس) قدّمت حساب المثلثات الكروية بكثير من الشبه مع مينلاوس"[١٣٩]. لكن بوند يرى غير ذلك فيقول: "في الواقع أن ريجيومونتانوس قد نهل معظم معلوماته عن حساب المثلثات من مصادر عربية"[١٤٠]. أما عن علاقة كتاب ريجيومونتانوس "عن المثلثات"، بكتاب الطوسي "شكل القطاع"، فقد وصفها كثير من المؤلفين بأوصاف تدور في محور واحد هو الاعتماد، التشابه، التماثل، التكافؤ، التأثر، ونحو ذلك. فمثلاً يقول طوقان عن كتاب شكل القطاع للطوسي: "وبقي قرونًا عديدة مصدرًا لعلماء أوربا يستقون منه معلوماتهم في المثلثات المستوية والكروية. وها هو ذا ريجيومونتانوس اعتمد عليه كثيرًا عند وضعه كتاب (المثلثات) ونقل عنه (عن الشكل القطاع) بعض البحوث والموضوعات"[١٤١]. ويقول سارتون، وقد كرر ذلك مرتين: "أن كتاب "شكل القطاع" للطوسي هو المكافئ العربي تقريبًا لكتاب ريجيومونتانوس عن المثلثات"[١٤٢]. ويقول رنيه تاتون أيضًا:" وقد كان لهذا الكتاب (يقصد كتاب الطوسي) تأثير ضخم على تطور علم المثلثات وبخاصة على مؤلفات ريجيومونتانوس"[١٤٣]. ويقول في مكان آخر: "أما كتاب "ريجيومونتانوس" فيعلن عن انطلاقة جديدة رغم أنه مستلهم من الطوسي"[١٤٤].

وبما يقارب الآراء السابقة، ذكر كل من: ديرك ستروك[١٤٥]، وكوك[١٤٦]، والموسوعة الإسلامية[١٤٧]. إن المصادر التي ذكرناها تؤكد أن هناك صلة أو ترابط بين كتاب الطوسي، وكتاب ريجيومونتانوس، إلا أن هناك آراء أخرى تنفي هذه الصلة، وتبحث أيضًا فيما إذا كان ريجيومونتانوس مُطلعًا في الأصل على كتاب الطوسي، أو أن هذا الكتاب كان معروفًا في أوربا زمن ريجيومونتانوس. فمثلاً يذكر بوير أن ريجيومونتانوس كان مطلعًا على كتاب نصير الدين الطوسي، وربما كان هذا هو مصدر رغبته (أي ريجيومونتانوس) في تنظيم حساب المثلثات كونه موضوعًا مستقلاً عن الفلك[١٤٨]. وفي مقابل هذا الرأي يبيّن بوند أنه لم يثبت أن كتاب شكل القطاع للطوسي كان معروفًا عند ريجيومونتانوس[١٤٩].

ويحاول غلين فان بروميلين أن ينفي وجود علاقة بين كتابي الطوسي وريجيومونتانوس، مبينًا أن هناك بعض النظريات الهامة في

كتاب الطوسي، لكنها لم تظهر في كتاب ريجيومونتانوس، كما أن برهان النظريات التي ظهرت في كلا الكتابين غالبًا ما تكون مختلفة. ويخلص بروميلين إلى القول: "إذا كانت هناك صلة، فإنها تكون غير مباشرة. كما أن قضية النقل بانتظار الاكتشاف". وينقل بروميلين قولاً (في الحاشية) إلى فون براون مول يقول فيه: "إن الصلة لم تقرر بعد وأن القضية بحاجة إلى مراجعة"[١٥٠]. كما ينقل فؤاد سزكين آراء تروبفكه[١٥١] وبراون مول وهي: "أنه لا يوجد علاقة مباشرة بين نصير الدين الطوسي وبين ريجيومونتانوس"[١٥٢]. ويعتقد سزكين أن هناك مصادر قامت بدور الوساطة بين كتاب ريجيومونتانوس وكتاب الطوسي، مثل كتاب ليفي بن جرسون[١٥٣][١٥٤]. كما يذكر بوند الخلاصة التي توصّل إليها براون مول وهي: "أنه بعد الفحص الدقيق لقضية مصادر ريجيومونتانوس، فإنها كانت من أعمال البتاني والفرغاني[١٥٥] والزرقالي وجابر بن أفلح (هذا يعني أن مصادره ليست من الطوسي)، لأن بوند قد بيّن أن كتاب شكل القطاع للطوسي، لم يكن معروفًا لدى ريجيومونتانوس"[١٥٦].

وعن العلاقة بين كتاب ريجيومونتانوس وكتاب جابر بن أفلح "إصلاح المجسطي"، فقد بيّن كثير من مؤرخي الرياضيات أن الأول قد أخذ من الثاني، كما ذكر ذلك على سبيل المثال كاتز: "يُعد ريجيومونتانوس أول مؤلِف أوربي يكتب عملاً عن حساب المثلثات النظري، ومن الواضح أنه أخذ كثيرًا من مادته عن حساب المثلثات الكروي من عمل جابر[١٥٧] (بن أفلح)". ويقول كاتز أيضًا: "إن ريجيومونتانوس لم يذكر جابر في كتابه"[١٥٨]، وأن الذي لاحظ ذلك هو جيرولامو كاردانو[١٥٩][١٦٠]. ويقول فؤاد سزكين: "ومن الجدير بالذكر أن ريجيومونتانوس استمد في كتابه "عن المثلثات"، من كتاب جابر بن أفلح استمدادًا حرفيًا تقريبًا"[١٦١]، ويبيّن روزنفيلد أن ريجيومونتانوس في الفصل الخامس من كتابه قد استعمل أحد قوانين حساب المثلثات، مماثلاً إلى قانون ثابت بن قـرة[١٦٢]. ويذكر طوقان أن ريجيومونتانوس قد أخذ من مؤلفات البوزجاني، فيقول: "فلقد ادعى ريجيومونتانوس بعض النظريات والموضوعات الرياضية التي في مؤلفات البوزجاني لنفسه وأدخلها في كتابه المثلثات"[١٦٣].

وهناك من يعتقد، مثل هيريتديوفا[١٦٤]، أن ريجيومونتانوس في كتابه "عن المثلثات" قد اتبع الجياني[١٦٥]، الذي له كتاب عنوانه: "مجهولات قسي الكـرة"، الـذي تُرجم إلى اللاتينية أيضًا.

الخلاصـة

لم تكن غايتنا في هذه الدراسة سرد إنجازات العلماء العرب والمسلمين وإسهاماتهم في إنشاء حساب المثلثات وتطويره، إنما التأكيد على أن أسس حساب المثلثات الذي نشأ في أوربا أثناء نهضتها، كان عربي المصدر، نتيجة مؤثرات متعددة، أهمها ترجمة الكتب العربية التي تخص حساب المثلثات والفلك، والرياضيات عمومًا، إلى اللاتينية وغيرها من اللغات الأوربية، سواء كانت مترجمة من اليونانية أو أعمالاً أصلية عربية. ويكفي القول إن نتائج أعمال العلماء العرب والمسلمين في الرياضيات والفلك، قد

وفرت للعلوم الأوربية، علمًا منظمًا، مستقلاً هو حساب المثلثات، الذي يمكن تطبيقه في حل المشكلات الفلكية، بدقة ويسر. وهنا لابد أن نشير أنه لم تترجم جميع أعمال العلماء العرب والمسلمين، في الرياضيات، إلى اللاتينية، وعلى هذا الأساس يقول كاتز: "هناك حاجة لأبحاث أكثر من أجل تحديد كيف أن الرياضيات الأوربية، في القرون الوسطى وعصر النهضة، قد تأثرت برياضيات العرب والمسلمين، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة"(١٦٦). ويقول أيضًا بيرلنج هوف وفيرناندو جوفا: "لسوء الحظ أن جزءًا صغيرًا من المخطوطات العربية قد نُقل إلى أوربا... ولا يزال هناك كثير من المخطوطات ينبغي قراءتها ودراستها، عند ذلك ستظهر اكتشافات جديدة طوال الوقت، كما أن تصوراتنا عن الانجازات العربية لا زالت غير مكتملة"(١٦٧). كما أننا في هذه الدراسة لم نقدم وصفًا كاملاً لكل أعمال الدارسين الأوربيين التي تخص حساب المثلثات، في القرون الوسطى وبدايات عصر النهضة، التي يظهر فيها التأثير العربي. كنا نأمل أن نضيف فقرة عن الآثار الباقية من حساب المثلثات لدى العرب والمسلمين، كاصطلاحات الجيب والظل والمجسطي، لكن مجال الدراسة لم يسمح بذلك، ربما في دراسات أخرى نستطيع القيام بها. وأخيرًا، لابد من الإشارة إلى أن العرب والمسلمين بالإضافة إلى أنهم قد أثّروا في الغرب اللاتيني نتيجة ابتكاراتهم وعلومهم غير المسبوقة في حساب المثلثات، إلا أنهم قدّموا مثالاً ممتازًا في الأمانة العلمية ونسبة الأعمال إلى أصحابها من الكتب والنظريات والقوانين والحقائق والأفكار وغيرها، بعكس ما قام به بعض علماء أوربا في القرون الوسطى، ريجيمونتانوس مثالاً. ويمكن الرجوع إلى المؤلفات العربية في الرياضيات وحساب المثلثات والفلك، مثل كتاب "المجسطي" لأبي الوفاء البوزجاني، وكتاب "الشكل القطاع" للطوسي، وكتاب "إفراد المقال في أمر الظلال" للبيروني، لنجد أدلة ملموسة على ما ذكرناه.

الهوامش

(١) المعجم العربي الأساسي، أحمد العابد وآخرون، ص٢١٧.

(٢) تاريخ العلوم، عمر فروخ، ص٣٧.

(٣) الرياضيات عند العرب، أحمد سليم سعيدان، ص٩٣.

(٤) تاريخ العلوم، عمر فروخ، ص٣٧، ١٥٨.

(٥) الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، أحمد عبد الرازق، ص٦٣.

(٦) المدخل إلى تاريخ الرياضيات، علي عبدالله الدفاع، ص٤٠، ٤٣.

(٧) تراث العرب العلمي، قدري حافظ طوقان، ص٥١، ٥٦.

(8) An Introduction to the History of Mathematics, H. Eves, p.196.

(٩) العدد، جون ماكليش، ص١٨٧.

(١٠) المصدر السابق.

(١١) العلوم والتقنية في العالم الإسلامي،١، فؤاد سزكين، ص٣٠٦.

(12) A History of Mathematics, F. Cajory, P. 116.

(13) The Development of Mathematics, E.T. Bell, p.104.

(14) Plane Trigonometry for Colleges, D.A. Marray, p.166.

(15) An Introduction to the History of Mathematics, H. Eves, p.196

(16) Geometry our Cultural Heritage, A. Holme, p.181.

(17) Lost Discoveries, D. Teresi, p.71.

(١٨) تاريخ الحساب، رنيه تاتون، ص١٣٣.

(١٩) العدد، جون ماكليش، ص١٨٧.

(٢٠) العلوم والهندسة، في الحضارة الإسلامية، دونالد هيل، ص٤٨.

(٢١) الفلك والرياضيات، كارا دي فو، في: تراث الإسلام، ص٥٦٤.

(22) Science in Medieval Islam, H.R.T. Turner, p.48.

(٢٣) المقدمات التاريخية للعلم الحديث، توماس جولدشتاين، ص١١١، ١١٢.

(٢٤) تاريخ الحساب، رنيه تاتون، ص٢٣، ٢٤.

(٢٥) أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية، عبد الحليم منتصر، ص٢٠٧. (نقلًا عن الموسوعة البريطانية)

(٢٦) العلوم والتقنية في العالم الإسلامي، ١، فؤاد سزكين، ص١٥٣.

(٢٧) العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، دونالد هيل، ص٢٩٠.

(٢٨) موجز تاريخ الرياضيات، ديرك ستروك، ص٩٩.

(٢٩) تاريخ الحساب، رنيه تاتون، ص٢٤.

(30) Encyclopedia of Mathematics, J. Tanton, P. 511.

(٣١) حالة أوربا العلمية، جميل الملائكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ١٦، ١٩٦٨.

(٣٢) قصة الحضارة، مج٤، ج١٧، ول وإيريل ديورانت، ص٢١.

(٣٣) العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، دونالد هيل، ص٢٨٨.

(٣٤) المصدر السابق، ص٢٩٢.

(٣٥) نور من الشرق، جون فريلي، ص٢٤٧.

(٣٦) وفيات الأعيان، ج٥، ابن خلكان، ص١٦٤.

(٣٧) تاريخ الأدب العربي، ج٤، بروكلمان، ص٢١٣.

(٣٨) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص١٥٤٢.

(٣٩) الأعلام، ج٦، الزركلي، ص٦٨.

(40) History of Mathematics, II, D.E. Smith, p.608.

(41) Introduction to the History of Science, vol.II, G. Sarton, p.603.

(42) Introduction to the History of Science, vol. I ,G. Sarton, p.585.

(٤٣) الزيج الصابىء للبتاني، إمام إبراهيم أحمد، تراث الإنسانية، مج٥، ص١٩١.

(٤٤) البتاني، خالد ماغوط ، أبحاث المؤتمر السنوي التاسع لتاريخ العلوم عند العرب، ١٩٨٥، ص٩٠.

(٤٥) طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي، ص٧٥.

(٤٦) التكملة لابن الأبار، ص٢٥٠.

(47) Dictionary of Scientific Biography , vol. 14, p.592.

(48) History of Mathematics, vol. II, D.E. Smith, p. 609,616,617.

(٤٩) تاريخ التراث العربي، ج٥، فؤاد سزكين، ص٥٧.

(٥٠) فضل الأندلس على ثقافة الغرب، خوان فيرنيت، ص٧١.

(٥١) موجز تاريخ الرياضيات، ديرك ستروك، ص٩٢.

(٥٢) موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج١، هنري روش، ص٢٤٥، ٢٥٦.

(٥٣) موجز تاريخ الرياضيات، ديرك ستروك، ص٩٢.

(٥٤) فضل الأندلس على ثقافة الغرب، خوان فيرنيت، ص٢١٩.

(٥٥) تراث العرب العلمي، قدري حافظ طوقان، ص١٨١.

(٥٦) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، ص١٩١.

(٥٧) تاريخ الحكماء، ابن القفطي، ص٣١٩، ٣٩٢، ٣٩٣.

(٥٨) كشف الظنون، حاخي خليفة، ج٧، ص٦٣٧.

(٥٩) دلالة الحائرين، موسى بن ميمون، ص٢٩٣.

(٦٠) العلم القديم والمدنية الحديثة، جورج سارتون، ص١٣٦.

(61) History of Mathematics, Vol. II, D.E. Smith, p. 632.

(62) Dictionary of Scientific Biography, Vol.15, Gillispie, Ch. C., p.178.

(٦٣) أعلام الحضارة العربية الإسلامية، زهير حمدان، مج5، ص133.

(64) Arabic Astronomy & Astrology, F.J. Carmody, p.163.

(٦٥) كشف الظنون، حاجي خليفة، ج١، ص٢٦٨.

(٦٦) موجز في تاريخ العلوم والمعارف، طه باقر، ص٢٧٢.

(٦٧) شكل القطاع، نصير الدين الطوسي، طبعة القسطنطينية، المقدمة.

(٦٨) المصدر السابق.

(٦٩) تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، قدري حلفظ طوقان، ص٢٠٣.

(٧٠) الوافي بالوفيات، ج١، صلاح الدين الصفدي، ص١٤٧.

(٧١) فوات الوفيات، مج٣، محمد بن شاكر الكتبي، ص٢٤٦.

(٧٢) الأعلام، ج٧، الزركلي، ص٣٠.

(٧٣) هدية العارفين، مج٢، إسماعيل باشا البغدادي، ص١٣١.

(٧٤) العلامة الخواجة نصير الدين الطوسي، محمد تقي رضوي، ص٢٦٢.

(75) History of Mathematics, Vol. II, Smith, p.609.

(76) Introduction to the History of Science, Vol. II, Sarton,p.1003.

(77) The Encyclopedia of Islam, Vol.10, p.751.

(78) Episodes in the Mathematics of Medieval Islam, J.L. Berggren, p.156.

(79) The Islamic Roots of Trigonometry, A. Nuraly, p.2,

(80) History of Mathematical Concepts, S. Finashin, p.28.

(81) Muslims contribution to Mathematics and Astronomy, Z. Virk, P.28.

(82) History Topics for the Mathematical Class, E.S. Kennedy, p.375.

(٨٣) تاريخ العلوم العام، ج١، رنيه تاتون، ص٤٨٢. كما ورد في الجزء الثاني من هذا الكتاب اسم آخر هو المربع الكامل، ص٢٥.

(٨٤) الفلك والرياضيات، كارا دي فو، تراث الإسلام، ص٥٩٠.

(٨٥) علم المثلثات من الهندسة إلى علم المثلثات، ماري تيريز ديبارنو، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج٢، ص٦٤٨.

(٨٦) الميكانيك والفلك في الشرق في العصر الوسيط، أ.ت. غريفوريان و م.م.روجانسكايا ، ص ١٩٤.

(٨٧) أثر العرب في تقدم علم الرياضيات، قيس الوهابي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٢٥، ص١٠٧.

(٨٨) الرياضيات، ج٢، فئة من المختصين، الصف الثاني الثانوي، ص١٠٤.

(٨٩) موجز في تاريخ العلوم والمعارف، طه باقر، ص٢٧٢.

(٩٠) تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، قدري حافظ طوقان، ص٢٠٣.

(٩١) في تراثنا العربي الإسلامي، توفيق الطويل، ص٢١٨.

(٩٢) التراث العلمي للحضارة الإسلامية، أحمد فؤاد باشا، ص٦٣.

(٩٣) صناع الحضارة العلمية، ج٢، أحمد محمد عوف، ص١٧٠.

(94) The History of Mathematics A Brief Course, R.L. Cooke, p. 331.

(٩٥) مصباح علاء الدين، جون فريلي، ص٣١٢.

(96) New Results In the Research on some Mathematical works of Nasir Al-Din Al-Tusi, V. F. Medz, & A. Babayev.

(٩٧) تأثير الرياضيات العربية في الغرب في القرون الوسطى، أندريه آلار، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج٢، ص٧٠٤.

(98) History of Mathematics, D.E. Smith, p.609.

(99) Introduction to the History of Science, Vol.II, G. Sarton, p.1004.

(100) Mathematics in Medieval Islam, J.L. Berggren, p.637.

(١٠١) الفلك والرياضيات، كارا دي فو، تراث الإسلام، ص٥٩٠.

(١٠٢) العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، الدوميللي، ص٣٠٣.

(103) The Mathematics of the Heavens and the Earth, G. V. Brummelen, p.134.

(104) New Results In the Research on some Mathematical works of Nasir Al-Din Al-Tusi, V. F. Medz & A. Babayev, P. 2.

(١٠٥) قصة الحضارة، ج١٣، ول و إيريل ديورانت ، ص٣٥٦.

(١٠٦) تاريخ التراث العربي، مج٥، فؤاد سزكين، ص٦٠.

(١٠٧) موجز في تاريخ العلوم والمعارف، طه باقر، ص٢٧٢.

(١٠٨) تاريخ العلوم العام، ج١، رنيه تاتون، ص٤٨٢.

(١٠٩) تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، قدري حافظ طوقان، ص٢٠٣.

(110) A History of Mathematics, C.B. Boyer, p. 267.

(١١١) موجز تاريخ الرياضيات، ديريك ستروك، ص١٠٥.

(112) The Development of Mathematics, E.T. Bell, p. 103.

(١١٣) قصة الحضارة، ج١٣، ول و إيريل ديورانت، ص٣٥٦.

(114) The History of Mathematics A Brief Course, R.L. Cooke, p.331.

(115) Introduction to the History of Science, vol. II, G. Sarton, p.12.

(116) Mathematical Thought from Ancient to Modern, Kline, M., p.196.

(١١٧) تاريخ التراث العربي، ج٥، فؤاد سزكين، ص٥٧.

(١١٨) دور العرب في تطور العلوم الطبيعية، ألبرت ديتريش، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٤٦، ج٤، ص٧٣٩.

(119) The Arab Civilization ,J. Hell, p.96.

(120) The Beginning of Western Science, D. C. Lindberg, p.172.

(121) History of Mathematics, Vol. II, D.E. Smith, p. 609.

(122) A History of Mathematics, C.B. Boyer, P. 302.

(١٢٣) موجز تاريخ الرياضيات، ديرك ج ستروك، ص١٠٠.

(١٢٤) قصة الحضارة، ج١٧، ١٨، ول وإيريل ديورانت، ص١٧٠.

(125) The History of Trigonometry, T. Adamek, K. Penkalski, G. Valentine, p.9.

(126) History of Mathematics, Vol. II, D. E. Smith, p.609.

(١٢٧) تاريخ الحساب، رنيه تاتون، ص١٣٣.

(١٢٨) تاريخ العلوم العام، رنيه تاتون، ج٢، ص٢٤.

(129) Encyclopedia of Mathematics, J. Taton, p.444.

(١٣٠) تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، قدري حافظ طوقان، ص٥٦.

(131) The History of Mathematics A Brief Course, R. L. Cooke, p.331.

(١٣٢) تاريخ العلوم العام، رنيه تاتون، ج٢، ص٢٥.

(١٣٣) مؤرخ رياضيات ألماني (١٨٥٣ – ١٩٠٨م).

(١٣٤) العلوم والتقنية، فؤاد سزكين، ص٧٦.

(١٣٥) هو العالم الأندلسي أبو عبدالله محمد بن معاذ (٩٨٩ – ١٠٧٩).

(136) A History of Non-Euclidean Geometry, B.A. Rosenfield p.22.

(137) The New Encyclopedia Britannica, Vol.23, P.588.

(138) Trigonometric Delights, Eli Maor, P.44.

(139) A Brief History of Mathematics, Karl Fink, P.294

(140) The Development of Trigonometric Methods, J.D. Bond, P.320.

(١٤١) تراث العرب العلمي، قدري حافظ طوقان، ص٢٠٣.

(142) Introduction to the History of Science, II2, G. Sarton, P. 1004 ,754.

(١٤٣) تاريخ العلوم العام، ج١، رنيه تاتون، ص٤٨٢.

(١٤٤) نفسه، ج٢، ص٢٥.

(١٤٥) موجز تاريخ الرياضيات، ديرك ستروك، ص١٠٥.

(146) The History of Mathematics, R.L. Cooke, P.331.

(147) The Encyclopedia of Islam, Vol.10, P.751.

(148) A History of Mathematics, C.B. Boyer, P.302.

(149) The Development of Trigonometric Methods, J.D. Bond, P. 322.

(150) The Mathematics of the Heavens and the Earth, G.V. Brummelen, p.261.

(١٥١) عالم ومؤرخ رياضيات ألماني (١٨٨٦ – ١٩٣٩).

(١٥٢) تاريخ التراث العربي، ج٥، فؤاد سزكين، ص٥٧.

(١٥٣) المصدر السابق، ص٥٥.

(١٥٤) عالم فرنسي (١٢٨٨ – ١٣٤٤).

(١٥٥) الفرغاني: أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير، فلكي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي.

(156) The Development of Trigonometric Methods, J.D. Bond, P. 322 ,320.

(157) A History of Mathematics An Introduction, V. Katz, P.318.

(158) Source Book in the Mathematics, V. Katz, P.539.

(159) The Mathematics of Egypt, V. Katz, P.4.

(١٦٠) عالم رياضيات إيطالي (١٥٠١ – ١٥٧٦م)، أول من حلّ المعادلة التكعيبية.

(١٦١) تاريخ التراث العربي، مج٥، فؤاد سزكين، ص٥٨.

(162) A History of Non-Euclidean Geometry, B. A. Rosenfield , p.22.

(١٦٣) تراث العرب العلمي، قدري حافظ طوقان، ص ١١٨.

(١٦٤) أستاذة في معهد العلوم الطبيعية والتكنولوجيا في أكاديمية العلوم السوفياتية (سابقًا).

(165) On Spherical trigonometry in the Medieval Near East and Europe, N.G. Hairetdinova, P. 141.

(166) A History of Mathematics: An Introduction, V. J. Katz, P.318.

(167) Mathematics Through the Ages,

W.P. Berlinghoff, & F.Q. Gouvea, P.31.

المصادر والمراجع العربية

- أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية، عبدالحليم منتصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠.
- أثر العرب في تقدم علم الرياضيات، قيس الوهابي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٢٥، ١٩٧٤.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢.
- أعلام الحضارة العربية الإسلامية، زهير حمدان، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥.
- البتاني، خالد ماغوط، أبحاث المؤتمر السنوي التاسع لتاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمي، حلب، ١٩٨٥.
- تأثير الرياضيات العربية في الغرب في القرون الوسطى، أندريه آلار، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج٢،ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥.
- تأثير علم الفلك العربي في الغرب في القرون الوسطى، هنري روش، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج١، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ط٥، نقله إلى العربية، عبدالحليم النجار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٥٩.
- تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ترجمة عبدالله حجازي وآخرون، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٢.
- تاريخ الحساب، رنيه تاتون، ترجمة موريس شربل، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ١٩٨٦.
- تاريخ الحكماء، ابن القفطي، نشره (بالألمانية والعربية) يوليس ليبرت وأوجست ميللر، ليبسك، ١٩٠٣.
- تاريخ العلوم، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧.
- تاريخ العلوم العام، رنيه تاتون، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٨٨.
- تراث العرب العلمي، قدري حافظ طوقان، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة، ١٩٤١.
- التراث العلمي للحضارة الإسلامية، أحمد فؤاد باشا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.
- التكملة لابن الآبار، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١١.
- حالة أوربا العلمية، جميل الملائكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج١٦، ١٩٦٨.
- الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، أحمد عبد الرازق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١.
- دلالة الحائرين، موسى بن ميمون، تحقيق حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، أنقرة، دون تاريخ.
- دور العرب في تطور العلوم الطبيعية، ألبرت ديتريش، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٤٦، ج٤، ١٩٧١.
- الرياضيات، فئة من المختصين، ج٢، الصف الثاني الثانوي، وزارة التربية، دمشق، ٢٠١٨ـ ٢٠١٩.
- الرياضيات عند العرب، أحمد سليم سعيدان، محاضرة أعدت لمجمع اللغة العربية الأردني، عمّان، ١٩٨٥.
- الزيج الصابىء للبتاني، إمام إبراهيم أحمد، تراث الإنسانية، مجلد٥، دار الرشاد

الحديثة، القاهرة، دون تاريخ.

- شكل القطاع، نصير الطوسي، مطبعة عثمانية، القسطنطينية، ١٣٠٩هـ.
- شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط٨، دار الجيل ـ دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٩٣.
- صنّاع الحضارة العلمية، أحمد محمد عوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
- طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي، تحقيق لويس شيخو، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ١٩١٢.
- العدد من الحضارات القديمة إلى عصر الكمبيوتر، جون ماكليش، ترجمة خضر الأحمد وموفق دعبول، عالم المعرفة، ع٢٥١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٩.
- العلامة الخواجه نصير الدين الطوسي، محمد تقي رضوي، تعريب علي هاشم الأسدي، الأستانة الرضوية، مشهد، ١٤١٩هـ.
- العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، الدوميللي، ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢.
- العلم القديم والمدنية الحديثة، جورج سارتون، ترجمة عبدالحميد صبرة، مكتبة النهضة المصري، القاهرة، ١٩٦٠.
- علم المثلثات من الهندسة إلى علم المثلثات، ماري تيريز ديبارنو، موسوعة تاريخ العلوم العربية، ج٢، ط٢، بيروت، ٢٠٠٥.
- العلوم والتقنية في العالم الإسلامي، فؤاد سزكين، نقله عن الألمانية مازن عمادي، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ٢٠٠٧.
- العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، دونالد هيل، ترجمة أحمد فؤاد باشا، عالم المعرفة، ع٣٠٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٤.
- فضل الأندلس على ثقافة الغرب، خوان فيرنيت، ترجمه عن الأسبانية نهاد رضا، دار إشبيلية، دمشق، ١٩٩٧.
- الفلك والرياضيات، كارا دي فو، تراث الإسلام، بإشراف توماس أرنولد، ترجمة جرجس فتح الله، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٢.
- فوات الوفيات، محمد شاكر الكتبي، تحقيق علي معوض وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- في تراثنا العربي الإسلامي، توفيق الطويل، عالم المعرفة، ع٨٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥.
- قصة الحضارة، ول و إيريل ديورانت، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت ـ تونس، ١٩٩٢.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢.
- المدخل إلى تاريخ الرياضيات، علي عبدالله الدفاع، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.
- مصباح علاء الدين، جون فريلي، ترجمة محمد الأسعد ومروان البواب، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٠.
- المعجم العربي الأساسي، أحمد العابد وآخرون، لاروس، تونس، ٢٠٠٣.
- المقدمات التاريخية للعلم الحديث، توماس جولد شتاين، ترجمة أحمد حسان عبد الواحد، عالم المعرفة، ع٢٩٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٣.

- موجز تاريخ الرياضيات، ديرك ستروك، ترجمة عبداللطيف الصديقي، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠١٨.
- موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨.
- موجز في تاريخ العلوم والمعارف، طه باقر، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠.
- الميكانيك والفلك في الشرق في العصر الوسيط، أ.ت. غريفوريان و م.م. روجانسكايا، ترجمة أمين طربوش، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٠.
- نور من الشرق، جون فريلي، ترجمة أحمد فؤاد باشا، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٨.
- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

المصادر والمراجع الأجنبية

- A Brief History of Mathematics, Karl Fink, The Open Court, Chicago, 1900.
- A History of Mathematics An Introduction, V.J.Katz, 3rd Ed, Addison-Wesly, Boston, 2009.
- A History of Mathematics, C.B. Boyer, Wiley, U.S.A., 1968.
- A History of Mathematics, F. Cajory, Macmillan, London, 1909.
- A History of Non-Euclidean Geometry, B.A.Rosenfield , Springer-Verlag, New York, 1988.
- An Introduction to the History of Mathematics, H. Eves, 3rd Ed, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1969.
- Arabic Astronomy & Astrology, F.J. Carmody, University of California Press, Berkeley, 1956.
- Dictionary of Scientific Biography, vol.14, Ch. C. Gillispie, Macmillan, New York, 1980.
- Dictionary of Scientific Biography, Vol.15, Ch. C., Gillispie, Macmillan, New York, 1980.
- Encyclopedia of Mathematics, J. Tanton, Facts on File, New York, 2005.
- Episodes in the Mathematics of Medieval Islam, J.L.Berggren, Springer, New York, 2016.
- Geometry our Cultural Heritage ,A. Holme, 2nd,Ed. Springer,

- Muslims contribution to Mathematics and Astronomy, Z. Virk, Zakaria.virk@gmail.com
- New Results In the Research on some Mathematical works of Nasir Al-Din Al-Tusi, Medz, V., F. & A. Babayev, 2020, MuslimHeritage.com.
- On Spherical trigonometry in the Medieval Near East and Europe, Hairetdinova, N. G., Historia Mathematica, 1986 ,13.
- Mathematics Through the Ages, Berlinghoff, W. P. & F.Q. Gouvea, Oxton House Publishers, Farmington, U.S.A., 2004.
- Plane Trigonometry for Colleges, D.A.Marvay, Longmans, Green, and Co., London, 1899.
- Science in Medieval Islam, Turner, H.R.T., University of Texas Press, Austin, 2006.
- Source Book in the Mathematics, V. J. Katz, Princeton University Press, New Jersey, 2016.
- The Arab Civilization, J. Hell, W. Heffer & Sons, Cambridge, 1926.
- The Beginning of Western Science, Lindberg, D. C., 2nd New York, 2010.
- History of Mathematical Concepts, S. Finashin, https://users.metu.edu.tr/serge/courses/2015-303/Book-essentials-A4.pdf
- History of Mathematics, D. E. Smith, vol.II, Dover Publications, New York, 1951.
- The History of Trigonometry, E. S. Kennedy, History Topics for the Mathematical Class, National Council of Teachers of Mathematics, Washington,1971.
- Introduction to the History of Science, vol. I, G. Sarton, The Williams and Wilkins, Baltimore, 1927.
- Introduction to the History of Science, vol .II, G. Sarton, The Williams and Wilkins, Baltimore, 1927.
- Lost Discoveries, D. Teresi, Simon & Schuster, New York, 2002.
- Mathematical Thought from Ancient to Modern Time, Vol. I, M. Kline, Oxford University Press, Oxford, 1990.

2021, https://muslim-memo.com/islamic-roots-trigonometry/#:~:text=In20%fact2%C20%a20%number20%of,born20%in20%Harran20%(Turkey).

- The Mathematics of Egypt, Mesopotamia, China, India, and Islam, V. Katz, Princeton, New Jersey, 2007.
- The Mathematics of the Heavens and the Earth, G. V. Brummelen, Princeton University Press, New Jersey, 2009.
- The New Encyclopedia Britannica, Vol. 15 ,23 Ed., J. E. Safra, Chicago, 1997.
- Trigonometric Delights, Eli Maor, Princeton University Press, New Jersey, 1988.

Ed. ,The University of Chicago Press, Chicago, 2007.

- The Development of Mathematics, E. T. Bell, 2nd Ed., McGraw -Hill, York. London,1945.
- The Development of Trigonometric Methods, J. D. Bond, Isis, Vol. 4, No. 1921 ,2.
- The Encyclopedia of Islam, Vol. 10, P. J. Bearman, et.al, Leiden Brill, 2000.
- The History of Mathematics A Brief Course, R. L. Cooke, 3rd Ed., Wiley, New Jersey, 2013.
- The History of Trigonometry, Tara Adamek, Kaitlyn Penkalski, and Gina Valentine, 2005. p.9.
- The Islamic Roots of Trigonometry, A. Nuraly,

التطورات السياسية والإدارية والعسكرية في تلمسان إبان العهد العثماني

د. محمد بومدين
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان، الجزائر
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ

عقب إلحاق تلمسان الرسمي بدار السلطان من طرف بايلربايات إيالة الجزائر عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م، بدأت مباشرة ملامح التغييرات السياسية والعسكرية العثمانية تظهر على الهياكل الإدارية لهذه المدينة التي شكلت بؤرة حساسة للباب العالي وبقية الأطراف المتنازعة على الحوض الغربي للمتوسط، لتكون بذلك هذه الحزازات نقطة انطلاقة للإدارة العثمانية في جعل تلمسان أولا وقبل كل شيء مدينة يحرسها العثمانيون، وتخضع لهم.

إن محاولات ضفر العثمانيين بتلمسان دام مدة ثمانية وثلاثين سنة، أي منذ سنة ٩٢٥هـ/ ١٥١٧م، واجه خلالها حكام الإيالة وسلاطين الباب العالي الأرمادة الإسبانية وجيوش السعديين والعلويين وانتصروا عليهم في مواقع بحرية وبرية عِدة، رُسمت خلالها الحدود بينهم من ناحية الغرب والشمال، وأمست تلمسان على إثر ذلك مدينة تُديرها الحامية العثمانية سياسيًا وعسكريًا

وفي هذا الإطار، أثارت قضية التواجد العثماني في تلمسان حبر العديد من المؤرخين والمتخصصين الذين أجمعوا على تراجع مكانة هذه المدينة في العهد العثماني، وربطوا تحليلاتهم واستنتاجاتهم بالفراغ السياسي ونقص المادة المصدرية لمعالجة هذا الموضوع وإثرائه. وحتى الساعة لا تزال فيه بعض الأقلام تجزم القول على ذلك الغموض الذي عاشت فيه تلمسان وأجهزتها السياسية والعسكرية على عهد العثمانيين.

لذلك تتنزل إشكاليتنا الموسومة بـ: "المعالم السياسية والإدارية والعسكرية وتطوراتها في تلمسان إبان العهد العثماني"، التي آثرنا بواسطتها إماطة اللثام على واقع مختلف الأوضاع المشار

إليها بتلمسان المحروسة ومدى اقتراب أقوال المؤرخين من الصواب أو عدمه، بغية تركيب الحوادث التاريخية وسياقاتها المكانية والزمنية بالاعتماد على جملة من الوثائق والمصادر الأصيلة التي عايشت الحدث في تلمسان آنذاك وشاركت في صناعته، وأثرت وتأثرت به.

ولعل الخوض في مثل هكذا موضوع يتطلب استعمال مناهج تخدم الطرح المُراد الكشف عن خباياه. وفي هذه الورقة البحثية قمنا بتوظيف المنهج السردي التحليلي الذي من شأنه إيصالنا إلى تتبع الكرونولوجيا التاريخية للتطورات التي شهدتها تلمسان في المجالات المذكورة، ناهيك عن إبراز المستجدات التي جدت عليها وكانت عـاملاً من عوامل تحولها إلى منطقة صراع دولي، وعصيان داخلي، لعب فيه كل من الحكام السياسيين، والقادة العسكريين، وسكان مدينة تلمسان أدوارًا حاسمة تشكلت فيها نمطية ما ستؤول إليه العِلاقات التي سوف تجمع العثمانيين بتلمسان.

١- مدينة تلمسـان والجزائـر المحمية مع مطلع القرن ١٠هـ/١٦م:

إن النقلة الحضارية التي تميزت بها تلمسان في العهد العثماني كانت من دون شك تساير الوضع الجديد للإيالة الجزائرية سياسيًا، ومرتبطة بشكل كبير بماضيها الثقافي العتيق وتراكماته التاريخية التي بقيت بعض من مظاهرها لا تبتعد عن التاريخ العلمي لمدرسة تلمسان الزيانية. وبالتالي تعتبر هذه التطورات من بين الركائز التي تكونت فيها تلمسان سياسيًا، ونمت فيها اجتماعيًا، وتأطرت فيها الهياكل الإداريـة الخاصة بالمؤسسات الثقافية والدينية والعلمية، فصارت مدينة تختلف كثيرًا عن المدينة التي كانت عليه فيما مضى منذ أن أصبح المغرب الأوسـط تابعًا بصفة نهائية للإمبراطورية العثمانية سنة ٩٢٧هـ/ ١٥١٩م، زمن السلطان سليم الأول، فأضحت هذه المنطقة تسمى بتسميات مختلفة منها: "وجق جزائر الغرب"[١]، "إيالة الجزائر"، "الجزائر المحمية"، واشتهرت أكثر وسط الساحة الشعبية بهذه التسمية الأخيرة، التي كانت بمثابة بطاقة تعريفية للجزائريين خارج وطنهم، وهو ما يظهر بشكل جلي مع التاجر التلمساني أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حجر التلمساني (كان حيًا سنة: ١١٦٤هـ/١٧٥٦م)، الذي صرح في صيغته الوقفية لفائدة طلبة رواق المغاربة بتاريخ أواسط جمادى الأخيرة من سنة ١١٦٤هـ الموافق لـ: ١٧٥٦م، أنه من المعلمين والتجار والحجاج المعتمرين لبيت الله الحرام، ومن أهالي الجزائر المحمية على حد تعبيره، على ما نـورده في الموالي: "(...) الحمد لله وبعد شهد به المعلم الأجل التاجر الأشمل الناسك الأبر المعتمر السيد محمد بن سعيد شهر بن حجر التلمساني القاطن هو بالجزائر المحمية بالله تعالى (...)"[٢].

٢- تحـول التسـمية من حاضرة تلمسـان إلى المحروسة تلمسان:

ولقد كانت مدينة تلمسان من ضمن المدن آنذاك التي ألحقت بدار السلطان (مدينة الجزائر[٣]، وباتت هي الأخـرى تدعى بـ: "المحروسة تلمسان" على عهد العثمانيين[٤]، فكثيرين هم علماؤها الذين أوردوا ذكرها في هذه الفترة تحت هذا الاسم، وفي هذا الصدد، نشير إلى ما جاء عند "المقري"، قائلاً: "(...) وباب جياد التي

أشار إليها هي إحدى أبواب تلمسان المحروسة (...)"[٥]. وهو ما نلاحظه من جديد في مخطوط "متن العقائد، أو الحاشية المسمات بكتاب الدرر الفايق في جمع الحقائق والله تعالى أعلم"، المحفوظ بمكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، بقسم مجاميع العلوم، نسخ سنة ١٠٠٨هـ الموافق لـ:١٦٠٠م[٦]، والذي نقرأ في واجهته بعد العنوان "تأليف مجموعة من علماء المحروسة تلمسان"، وبالتالي كانت هذه التسمية منتشرة في ذلك العهد على نطاق واسع، وممكن جدًا أنها كانت تسمية رسمية مثلما كانت عليه "مصر المحروسة"، "تونس المحروسة" ...، وغيرهما من الأقاليم العربية والعجمية التي كانت تحت حكم العثمانيين وحمياتهم في الفترة الحديثة.

كما تشير لنا الوثائق الأرشيفية إلى هذه التسمية التي عُرفت بها نخبة تلمسان حينذاك، ومنهم هذه المرة قاضي التركات بالمحروسة التلمسانية العالم الفقيه السيد الحاج محمد ابن أحمد بن الحاج التلمساني (كان حيا سنة: ١٢١٧هـ/١٨٠٢م)، في وثيقة أرشيفية مؤرخة بتاريخ شهر أوائل شهر رمضان من سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م، تدور حول نتائج محضر قضائي ترأسه العلامة المذكور، في شكل جلسة قضائية تناولت قضية سرقة بالمدينة المذكورة[٧].

٢ـ أطماع الملوك على تلمسان والتبعية الجغرافية والسياسية لدار السلطان بإيالة الجزائر:

وفي هذا الإطار لم تخرج هذه المدينة عن "وجق الجزائر" المحمي من طرف الإمبراطورية العثمانية، التي كان امتدادها لها نحو الغرب، مدينة تلمسان التي كانت هي الأخرى نقطة التماس بين الجزائر والمغرب الأقصى، وقامت الإدارة العثمانية رفقة الباب العالي بتحديد الحدود بينها وبين شرق مملكة السعديين وبعدهم العلويين، حيث وضح ذلك عالمها "ابن الصائم"، الذي عاش في فترة حكم الباشوات والآغوات، وأشار إلى تبعيتها السياسية لدار السلطان كما سماها "مملكة العجم" وهو يقصد "مملكة الترك"، عندما قال: "(...) وهي الآن انتهاء (مملكة العجم) من جهة المغرب، (...)"[٨]. وذلك ما حدده " Aranda" كذلك الذي كان أسيرًا في إيالة الجزائر سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٢م، وبين أن الحدود الغربية لمدينة تلمسان كانت البداية للمملكة المغربية[٩].

إن الموقع الاستراتيجي المميز التي احتلته مدينة تلمسان جعلها مطمع الملوك والسلاطين منذ العصور الوسطى، وفي العصور الحديثة بدأت هذه الأطماع تزداد مع السعديين والعلويين، والدلائيين الذين صرح أميرهم أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي (ت: ١٠٩١هـ/١٦٨٠م)، الّذي مهد الطريق للدلائيين في هذه المدينة عقب انهزامهم في واقعة "بطن الرمان" من قبل العلويين ونفيهم من قبل هؤلاء إلى المدينة المذكورة، حيث اغتم كثيرًا لما وجد نفسه مُهمَلًا، لم يعبأ به أحد من التلمسانيين، وكأنه لم يكن إلى زمن قريب سلطانًا نافذ الأمر عزيز الجانب، فقال لبعض ذويه: "كنت وجدت في بعض كتب الحدثان[١٠] أني أدخل تلمسان (...)، فظننت أني أدخلها دخول الملوك (...)، فدخلتها كما ترون"[١١]. والشيء نفسه تقريبًا أورده صاحب "البذور الضاوية"، قائلًا: "(...)

ندخل مدينة الجدار دخول عز وافتخار فدخلناها دخول ذل واحتقار (...)"[١٢]. ويضيف أبو القاسم الزياني (ت: ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٦)، في "البستان الظريف" عبارة أخرى قد حدثه بها من يثق فيهم من أقرباء محمد الحاج الدلائي، أنه لما اقترب من مدينة تلمسان المحروسة، وشاهد مبانيها وأجنتها، التفت إلى من حوله من أولاده، وقال لهم: "سبحان الله كنت أرى أن أدخل هذه المدينة مؤيدا منصورا، فدخلتها مقيدا مقهورا"[١٣].

كل ذلك أكده من ناحية أخرى عالم تلمسان "ابـن الصائم"، عندما قـال: "(...) وخصها الله بكثرة العناب وحب الملوك فلذلك صارت مطمعة للملوك، (...)"[١٤]. ومن هذا الكلام نستنتج أن مدينة تلمسان كانت تزخر بإرث طبيعي وحضاري مس كل المجالات[١٥]، نتيجة الموقع الجغرافي الهام من جهة[١٦]، وتعاقب العديد من الحضارات عليها من جهة أخرى[١٧]. وباعتبارها من المدن القريبة جدًا من البحر الأبيض المتوسط، شهدت أيضًا تنوع في تركيبتها البشرية تبعًا لتنوع الدول التي تأسست فيها، أو ألحقت بها هذه المدينة عبر العصور[١٨].

٤ـ الأهمية السياسية والإدارية لتلمسان زمن العثمانيين:

إن الخاصية الحضارية هذه التي شهدتها أكبر مدن إيالة الجزائر آنذاك، ولَّدت على ما يبدو حساسية مُفرطة بين طبقات المجتمع التلمساني، أدت إلى ظهور نوع من الأزمات الاجتماعية بين الأتراك العثمانيين والسكان المحليين، ويشير صاحب "المرآة" في هذا الشأن أنه بما أن مدينة تلمسان كانت تحت حماية الباب العالي، فإن من المسلم به أن حكامها يكونون دائمًا أتراكًا وكذلك نظامها العسكري، وإن العرب ـ وهو يقصد بهم السكان المحليين ـ لا يقبلون أبدًا في صفوف الميليشيا. ونتيجة هذا التمييز تولد حسب "حمدان خوجة" بين الصنفين في تلمسان المحروسة، حقد استمر حتى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وكثيرًا ما كان يؤدي إلى صراع بينهما في وسط المدينة[١٩].

إن هذه القلاقل التي كانت ذات طابع سياسي أكثر منه اجتماعي، ستؤثر بشكل سلبي على تلمسان، كونها فقدت أهميتها من بين مدن إيالة الجزائر جراء هذا التطاحن على السلطة، وكثيرًا ما أدت إلى قيام حـروب ضد الأتـراك حسب "ستيفن جيمس ويلسن"، لكن دون خرق للتحالف الذي كان قائمًا بينها وبين دار السلطان[٢٠]، لتتحول بذلك مكانة تلمسان السياسية إلى دار السلطان أو كما كانت تسمى "مدينة الجزائر"، وهي مُلاحظات لاحظها تقريبًا كل المؤرخين، والرحالة، والقناصل من الدول الأوربية، أمثال قنصل أميركا في الجزائر "وليام شالر" الذي نقل عن الدكتور "شاو" وقال أن مدينة تلمسان رغم أنها كانت عاصمة المملكة سابقًا، فإنها منذ حلول الأتراك في هذا البلد، أصيبت بالإهمال، وذلك على الرغم من موقعها الجغرافي الممتاز[٢١].

أما من الجانب العسكري، نجد عند الأسير المجهول وكتابه الذي جاء في صيغة تقارير معنونة بـ: " Voyage Dans Les Etats Barbaresques"، نقول؛ نجد تقرير ١٢

سبتمبر ١٧٨٥م، الخاص بإيالة الجزائر، أكد فيه أن تلمسان المحروسة التي دخلها في التاريخ المذكور كانت تمتلك تحصينات دفاعية قوية، ويحيط بها سور وقلاع عصرية[٢٢]، حيث نستكشف من كلامه الأخير أن هذه المدينة تم تجديد بناياتها العسكرية والحضرية من قبل الإدارة العثمانية كما ذكر ذلك "حمدان بن عثمان خوجة"[٢٣].

٥- التطـورات السياسـية والإدارية في تلمسان المحروسة:

لعل ظروف الحاق تلمسان بإيالة الجزائر قد سبقته قبيل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي موجات سياسية وعسكرية أثرت على النشاط الثقافي، بالرغم من أن القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، كان عهد إنتاج ثقافي وفير فإنه على المستوى السياسي كان عهد اضطراب وتدهور. ذلك أن الحدود السياسية للجزائر لم تكن مضبوطة وثابتة، وكلمة الجزائر عندئذ لم تكن تطلق إلا على مدينة ساحلية صغيرة قليلة الأهمية[٢٤]. ولم تكن تعني بأية حال "القطر الجزائري" المعروف الآن. فهذا المفهوم لكلمة الجزائر لم يصبح معروفًا إلا منذ القرن العاشر، أي بداية من الحكم العثماني[٢٥].

٥-١. التطور السياسي:

وتُثبت خريطة القرن العاشر الهجري/ السادس عشر مـيلادي السياسية أن المغرب العربي كان يعيش في مستنقع من الاضطرابات، سواء بين الإمارات المحلية فيما بينها، أم بين الامبراطوريتين، العثمانية والاسبانية[٢٦]، فضلاً عن الأطماع التوسعية التي كانت تحدث بين الحين والآخر من طرف السعديين، والعلويين[٢٧] خصوصًا الذين هجموا على تلمسان، ولم يتمكنوا في العديد من المرات في الاستيلاء على "حصن المشور" الذي كانت تتحصن فيه الحامية العثمانية، حيث كانت العلاقات بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى تمتاز بالتنافس الشديد منذ المرحلة الأولى من التطور السياسي للإيالة الجزائرية، وبدرجة أقل بعد ذلك، وقد كانت الخلافات في القرن المذكور تدور حول مراقبة تلمسان والمنطقة المحيطة بها. وحاول الزيانيون حكام تلمسان البقاء مستقلين عن كل من الإسبان والأتراك العثمانيين، فكانوا يتحالفون مع أي من الجانبين تكون له اليد الأقوى، ففي سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٥م، تمكنت إسبانيا من أن يكون لها موطئ قدم غير مؤكد في وهران. وفي الوقت ذاته انتقل السعديون من جنوب المغرب الأقصى، الذين كانوا يحكمون في مراكش، إلى ناحية الشمال واستولوا على فاس. ثم دخلوا إلى تلمسان، وقد نتج عن ذلك معركة انتهت بإبعاد السعديين من طرف الأتراك العثمانيين، ومنذ ذلك الوقت امتزج كل غرب الجزائر باستثناء وهران في الإيالة[٢٨]، وقلت أطماع السعديين أكثر على تلمسان خصوصًا مع السلطان أحمد المنصور السعدي الذي كان مقتنعًا تمامًا على ما يظهر بقول الرسول (ﷺ) بقاعدة "تَرك التُرك متى تَركوكم"، وفي هذا الصدد، قال الشيخ "أحمد بابا التمبكتي" في "ذيل الديباج" عن الأسباب التي دفعت السعديين في عدم رغبة احتلال تلمسان، قائلاً: "وقد أتاه به جودر باشا

السلطان أحمد الذهبي السعدي من تنبكت أسيرا موثوقا (...) وطلب يوما لقاء السلطان، فلما أتى به (...) فقال له الشيخ أحمد: وإذا كان هكذا فما صدك عن غزو تلمسان وهي أقرب إليك منا، فقال له الذهبي: اقتدينا بقوله صلى الله عليه وسلم "أتركوا الترك ما تركوكم"[٢٩].

لكن هذه النتيجة النهائية التي رسمت الحدود بين حكام الجزائر وسلاطين المغرب الأقصى لم تأت هكذا، فقد سبقتها موجات من المعارك بين الجانبين وأطراف أخرى كان فيها الإسبان من ضمن القوى السياسية العالمية وقتذاك التي تريد الظفر بتلمسان، منذ بداية حروب الاسترداد التي كانت من نتائجها احتلال كل الموانئ والمدن الساحلية للمغرب الإسلامي، في وقت كانت فيه الإمبراطورية العثمانية تحمل على عاتقها لواء الإسلام في المشرق وتبحث في توسيع أراضيها في الغرب، لتدخل بذلك هي الأخرى في دوامة الصراع الذي ستكون فيه تلمسان بؤرة توتر بين هذه الأطراف طيلة القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

إن الاحتلال الإسباني لسواحل المغرب الأوسط، وسياسة الظلم والجور التي اتبعها القادة الإسبان في حق السكان، دفعت تلمسان بأن تستنجد هي الأخرى على غرار مدينة الجزائر وتنس بالإخوة عروج وخير الدين[٣٠]، عن طريق وفد من العلماء والأعيان الذين كتبوا رسالة لعروج يطلبون منه تخليصهم من الملك الزياني أبي حمو الذي تحالف مع الإسبان ضد سلطانهم الشرعي أبو زيان[٣١]، فلبى لهم الدعوة منذ سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٦م، وتمكن من الدخول إلى مملكة تلمسان سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م[٣٢] [٣٣]، ومنع أهل القلعة (قلعة المشور) من إمداد النصارى بما كانوا يمدونهم به من عتاد وعدة، فضاقت أحوال النصارى بسبب ذلك التضييق من قبل عروج[٣٤]، فبدأت الدسائس تحاك ضد هذا الأخير من جانب سلطان تلمسان والرايس بورقبة، أحد الرؤساء الذين كانوا يتمتعون بنفوذ قوي بجوار هذه المدينة[٣٥]، وكان هو الآخر قد لجأ إلى القائد الإسباني "ماركي دي غوماس"[٣٦] وطلب منه مساعدة عسكرية لمحاربة الأتراك، مزودة بثلاثة آلاف جندي، كما كلفه بقطع الارتباط بين عروج وأخيه خضر[٣٧]، وبعد مشادات طويلة بينهم وبين عروج استشهد هذا الأخير[٣٨].

ومنذ ذلك الحين، بدأت تلمسان تعرف هجمات عسكرية متتالية من طرف الإسبان، كانت تغذيها التآمرات التي كانت تتم بينهم وبين الحكام الزيانيين، التي تفطن لها السلطان سليم الأول وراسل هؤلاء الحكام يحذرهم من أفعالهم، وينوه بقوة خير الدين[٣٩]، هذا الأخير الذي دخل في اتصالات سرية مع السلطان الزياني عبد الله المسعودي، الذي تخوف من الإسبان جراء اغتصابه للحكم من ابن أخيه أبو حمو الثالث، وفي ظل ذلك، جرت مفاوضات بين خير الدين والملك المذكور، تنازل على إثرها الملك الزياني لخير الدين بدفع الضرائب، لكنه سرعان ما تجاهل وعده هذا لخير الدين، وهو ما جعل هذا الأخير يتعاون مع مسعود ابن أبو حمو الثالث، فزوده بقوة عسكرية وأدخله لتلمسان

ونصبه عليها، ومع ذلك أعلن مسعود تمرده على العثمانيين ورفض الضريبة التي قدمها للإسبان، فقرر خير الدين غزو تلمسان، وإحضار الملك عبد الله الذي استلم الحكم بعد فرار مسعود من قلعة المشور[٤٠].

ولكن قبل مغادرة خير الدين لتلمسان ترك مجموعة من الأتـراك منحهم السلطان عبد الله رواتب عالية، ووافق على إعلان الخطبة وصك العملة باسم السلطان العثماني، وبعد سنة ٩٣٦هـ/١٥٢٩م، جمع مسعود قواته وتوجه إلى تلمسان وحاصرها لمدة أشهر، ومع وصول الإمدادات من دار السلطان، غُلِب مسعود على أمره، ووقع أسيرًا بيد العثمانيين، فسجن حتى وفاته[٤١].

غير أن التدخل الإسباني في تلمسان لم ينته عند ذلك الحد، فقد أكدت الرسائل التي تبودلت بين القائد الإسباني في وهران "دالكوديت" والملك الزياني مولاي محمد، على الكثير من العلاقات بين الطرفين، التي لم تكلل بالنجاح ضد العثمانيين خاصة خلال سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٦م[٤٢]. إلا أنها عرقلت كثيرًا مهمة العثمانيين في بسط نفوذهم النهائي على تلمسان، خاصة بعد وفاة عروج[٤٣].

وفي سنة ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م، استسلم الملك الزياني "مولاي الحسن"، وترك حاضرة تلمسان للعثمانيين، ورغم ذلك بقي جماعة من الزيانيين بتلمسان رغم وقوعها في يد العثمانيين رسميًا في هذه السنة[٤٤]، وإلحاقها بإيالة الجزائر من طرف البايلرباي صالح رايس (ت: ٩٦٣هـ/١٥٥٦م) [٤٥] [٤٦].

٢-٥. التطور الإداري:

لقد أصبحت تلمسان تابعة لبايلك الغرب[٤٧] الجزائري أو الحكومة الغربية كما سماها "ستيفن جيمس ويلسن"[٤٨]، بداية من سنة ٥٦٣هـ/ ١٥٥٥م، بعد انـقلاب موازين القوى الدولية لصالح العثمانيين في المغرب الأوسط والأدنى، بعد ردهم لحملة الملك الإسباني شاركان سنة ٩٤٩هـ/ ١٥٤١م[٤٩]، وكان بايلك الغرب هو ثاني البايليكات تأسيسًا، حيث قال "ابن الزهار": "أما عن التنظيم السياسي الذي كان للأتراك بأرض الجزائر ثلاثة بايات: باي وهران وباي قسنطينة، وباي المدية، وهم مرتبون على حسب فتوحات الأتراك الأوائل. فأول فتوحاتهم كان ناحية تيطري (...) ثم لما فتحوا ناحية الغرب، تلمسان وأحوازها، ومعسكر ونواحيها، (...)، جعلوا في معسكر بايا يسمونه بـاي الغرب (...). وأخيرا فتحوا الناحية الشرقية (...)"[٥٠]. وأضحت هذه المدينة منذ التاريخ المذكور، يُعين عليها قائد عثماني لتسيير الأوضاع العامة بها، ومن خلال ما أجمع عليه المتخصصون في التاريخ الثقافي لإيالة الجزائر، فقد فقدت هذه المدينة صدارتها السياسية التي كانت عليها زمن الدولة الزيانية، وهُمشت، وعقب الحاقها بإيالة الجزائر، هاجر الكثير من سكانها إلى المغرب الأقصى تعبيرًا منهم عن رفضهم للأتـراك العثمانيين[٥١].

وعلى العكس من ذلك، توصلنا إلى حقائق تاريخية بينت لنا أهمية هذه المدينة بالنسبة للعثمانيين، حيث أفادتنا النصوص المصدرية

أنه منذ هذا الالحاق التاريخي، بدأت ملامح التغيير تظهر في تلمسان التي أصبحت تدعى بـ: "المحروسة تلمسان"، أي المحروسة من قبل العثمانيين الذي وضعوا جهاز إداري يمزج بين الصبغة العسكرية والسياسية يُدِير هذه المدينة، يقع بالقرب من "باب الخميس" أين أقاموا إدارة "باب السفير" الذي كان أول موضع وحي يسكنه الأتراك العثمانيين، وبقي ذلك الموضع السياسي رفقة قصر المشور[٥٢] تتعاقب عليهما السلطة حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر[٥٣]، التي كان يترأسها حسب بعض كتابات القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي "الباي"[٥٤]، وحسب كتابات القرون السابقة "القائد"[٥٥]. هذا الأخير الذي كان يُعين على رأس كل "وطن" الذي يطلق هو الآخر على كل مدينة، وهو ما كان مع تلمسان التي كان يرأسها القائد أو "قائد القياد" أو "الخليفة" الذي يشرف على الآغاليكات (القياد)، ليصبح كل هذا تحت مسؤولية "الباي"[٥٦]. فضلاً على أنه كان يتحكم في قبائل الرعية في تلمسان، إداريًا وسياسيًا، قائدان، قائد قلب المدينة، وقائد الجبل، أما الأول فكانت تحت سلطته قبائل بني وعزان، الغسول، بني سنوس، بني ورنيد، ولهاصة...، أما الثاني فسلطته تمتد إلى مناطق أولاد رياح، أولاد رياش، بني صميل، وغيرها...[٥٧].

وقد كان كثير من قياد المحروسة تلمسان يتولون قيادة البايلك، حيث فصل في ذلك "المزاري"، وقال أنه يمكن من يتولى قيادة تلمسان أن يتولى بايا[٥٨]. والملاحظ على هؤلاء البايات والقياد هو تعيينهم من قبل الداي مباشرة، ويجب أن يكون هؤلاء من أصل تركي، ووظيفتهم غير وراثية، تحرسهم فرق الإنكشارية[٥٩]، ويعينه "قايد آغا" الذي كان يسير الدواير وهو من أعيانهم، وله دائرة حكم كانت تشمل بني عامر، وجميع الجهة الغربية من بني وعزان، أولاد الميمون، سائر الحشم...، ما عدا تلمسان وأحوازها[٦٠].

ولقد كان الباي المذكور يختلف عن "باشا باي" حاكم "البايلك"، وهذا الشأن وضح "الشريف الزهار" اختصاصات كل واحد منهم، فقال: "اعلم أن الباي عند أتراك الجزائر لقب لمن ولى إيالة تلمسان أو تيطري أو قسنطينة فقط، والباشا لقب للذي يولي البايات ولذا يقال له باشا باي"[٦١]. ومن كلامه نستنتج أن تلمسان كانت عاصمة في فترات معينة لبايلك الغرب، وهو ما أشار له "De Tassy" عندما قال أن باي الغرب كان يقطن في تلمسان، كون مدينة وهران كانت محتلة من طرف الإسبان، وبقيت مقرًا للباي حتى غاية تحرير وهران الأول[٦٢].

ونلاحظ من جهة أخرى أن المحروسة تلمسان قد تميزت بصيغة الاستقلالية الإسمية على مستوى الإدارة السياسية نقرأها في اللوحة التأسيسية المحفوظة بمتحف أحمد زبانة بوهران، والمؤرخة سنة ١١٣٧هـ/١٧٢٤م، والتي تشير أن الباي مصطفى بوشلاغم كان يلقب بباي الناحية الغربية وتلمسان[٦٣] وهو ما يدفعنا للقول أن هذه المدينة كانت تُسير في بعض فترات التاريخ العثماني مباشرة من قبل باي الغرب الجزائري، ولم يعين عليها بايًا ولا قائدًا نتيجة

للصراعات والثورات المتكررة ضد هؤلاء الذين كانوا يُوظفون إما من طرف الباي المذكور أو الداي.

وعلى ضوء ذلك، تميزت الإدارة العثمانية في تلمسان بالصرامة في تطبيق القوانين، ومن جهة أخرى الاعتماد بشكل كلي على تعاليم الشرع الإسلامي فيما يتعلق بالقضاء، والفصل في المنازعات، وتطبيق الحكم الشرعي في قضايا السرقة واختلاس أموال العامة، والوثائق القضائية الأرشيفية تحتوي على نماذج من هذه العقوبات التي كان يتولى مهمتها رجال المخزن. ففي الوثيقة رقم ٣٨، المصنفة ضمن المجموعة: ٢٣١٦، المؤرخة سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م، بقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، نستنتج الدرجة التي بلغها فرض القانون من جانب العثمانيين والتقيد بالصرامة في تطبيقه في إرجاع تركة المرحوم السيد المختار التلمساني[٦٤].

كما اعتمدت الإدارة العثمانية في تلمسان النظم الإدارية نفسها المعمول بها في الإيالة، مثل "الباش سيار" (صاحب البريد) الذين يقوم بإيصال البريد إلى أصحابه، وهو ما وقفنا عليه في وثيقة أرشيفية تحت رقم: ٢٧٩ ـ ٢٧٨، المؤرخة ما بين سنوات ١١٧٠هـ/١٧٦٢م حتى ١١٨٥هـ/١٧٧٧م، الدفتر الجبائي رقم: ٢١٤٤، الأرشيف الوطني التونسي، تبين مهنة البريد لأحد المجهولين من التلمسانيين المدعو سيار الشيخ بوسماحة (كان حيا سنة ١١٨٥هـ/١٧٧٧م)، هذا الأخير على ما يظهر قد بعث المذكور إلى تونس لمهمة تتعلق بالتجارة أو ما شابه، وهما حسب الوثيقة من نواحي تلمسان[٦٥].

٥ـ٢ـ١. الوضع العسكري:

مما لا شك فيه، هو أن الفترة الحديثة قد اتسمت بانعدام الأمن وكثرة القراصنة في الحوض الغربي للمتوسط، مثل قراصنة القديس يوحنا الذين كانوا يشكلون هاجس أمني خطير على الرحالة والمسافرين والتجار اتجاه المشرق، وقد كانت تلك الشحناء وليدة الصراع الذي كان قائما آنذاك بين الإمبراطوريتين العثمانية والإسبانية، هذه الأخيرة التي كان مقرها الديني الممثل في "المذهب الكاثوليكي" في مدينة الفاتيكان بروما الإيطالية. هذا الصراع الديني بين الطرفين كان يمتد بطبيعة الحال إلى قطع الطريق على المسلمين بجزيرة مالطة، وأمسى هذا التهديد يمس كل الأطياف السكانية لمدن المغرب العربي بما فيها مدينة تلمسان التي مكنتنا بعض الوثائق الأرشيفية من التعرف أيضا على ظاهرة أمنية كانت هي الأخرى من بين العوامل التي هددت المجتمع التلمساني في الفترة العثمانية، وهي الأسر، الذي راح ضحيته عدد كبير من التلمسانيين على اختلاف مكانتهم الاجتماعية، وهو ما تترجمه الوثيقة المصنفة تحت رقم: ٢٧٩ ـ ٢٧٨، المؤرخة ما بين سنوات ١١٧٠هـ/١٧٦٢م حتى ١١٨٥هـ/١٧٧٧م، الدفتر الجبائي رقم: ٢١٤٤، الأرشيف الوطني التونسي. وفي الجول الموالي تفصيل لأسماء هؤلاء الأسرى وأماكن أسرهم:

الجدول رقم ١: مبيان يوضح أسماء أسرى تلمسانيين أسروا في ممالك إيطالية ومدن إسبانية إبان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

الرقم	الاسم الكامل	تاريخ الأسر / (كان حيا سنة)	مكان الأسر
١	فاطمة التلمسانية	(كانت حية سنة ١١٨٣هـ/١٧٧٥م)	اسبانيا
٢	رمضان التلمساني	(كانت حية سنة ١١٨٣هـ/١٧٧٥م)	؟
٣	خليل التلمساني	(كانت حية سنة ١١٨٣هـ/١٧٧٥م)	مالطة

المصدر: **(الوثيقة رقم: ٢٧٩ ـ ٢٧٨، المؤرخة ما بين سنوات ١١٧٠هـ/١٧٦٢م حتى ١١٨٥هـ/١٧٧٧م، الدفتر الجبائي رقم: ٢١٤٤، الأرشيف الوطني التونسي).**

أما الوثيقة رقم: ٢٨٠، المؤرخة ما بين سنوات ١١٨٦هـ/١٧٧٨م حتى ١١٩١هـ/١٧٨٣م، في الدفتر الجبائي رقم: ٢١٤٤، بالأرشيف الوطني التونسي، فتؤرخ لنا لأسماء تلمسانيين أسروا كذلك في ممالك إيطاليا، نذكر منهم في الجدول الموالي:

الجدول رقم ٢: مبيان يوضح أسماء أسرى تلمسانيين أسروا في ممالك إيطالية إبان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.

الرقم	الاسم الكامل	تاريخ الأسر / (كان حيا سنة)	مكان الأسر
١	محمد بن سليمان التلمساني	(كان حيا سنة ١١٨٨هـ/١٧٨٠م)	مالطة
٢	(؟) التلمساني	(كان حيا سنة ١١٨٩هـ/١٧٨١م)	مالطة
٣	علي الفرصادق التلمساني	(كان حيا سنة ١١٨٩هـ/١٧٨١م)	؟

المصدر: (الوثيقة رقم: ٢٨٠، المؤرخة ما بين سنوات ١١٨٦هـ/١٧٧٨م حتى ١١٩١هـ/١٧٨٣م، الدفتر الجبائي رقم: ٢١٤٤، الأرشيف الوطني التونسي).

ولم تتوقف هذه الفتن والثورات حتى مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي. إن هذا الوضع الأمني القلق، حتم على تلمسان أن تنساق إلى توحيد الجهود مع دار السلطان بمدينة الجزائر، وتسير في علاقاتها العسكرية بالمرونة عمومًا، وتخضع لما اعتادت عليه الخلافة العثمانية وبقية ولاياتها الإسلامية على أساس التعاون العسكري ضد الكفار في الشرق والغرب؛ حيث تؤكد العديد من الوثائق الأرشيفية على تلك العاطفة الجهادية التي جمعت بين مقر الخلافة بالأستانة وإيالة الجزائر مثلاً، التي

أمدت هذه الأخيرة العثمانيين بالعدة والعتاد طيلة الفترة العثمانية، بل وقد قفزت تلك العِلاقات في الكثير من الأحيان إلى قيام الخلافة العثمانية بالتعبئة العسكرية التي كان فيها قواد تلمسان من الأتراك العثمانيين في مقدمة العساكر المشاركين في الحروب التي خاضتها الخلافة الإسلامية في المشرق؛ على ما وقفنا عليه في وثيقة أرشيفية مندرجة ضمن سلسلة الدفاتر المهمة، (مهمة دفتري)، حكم: ٢٩٣, ٢٩٢، بالوزارة الأولى التركية بإستنبول، أظهرت ذلك التلاحم الجهادي الذي كان حاصلاً وقتذاك، في شكل رسالة تتضمن الإبلاغ عن قيام قائد تلمسان التركي "بارمقسر مصطفى" بضرورة التوجه إلى إستنبول في ٦ مارس ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، لفك الحصار المفروض من قبل الكفار على قلعة "أيامورة"[٦٦].

وفي الكثير من المرات كانت القيادة العسكرية لتلمسان زمن البايلربايات تمد يد العون العسكري للباب العالي وللإدارة العثمانية في إيالة الجزائر، خاصة في معاركها ضد الجيران من حكام المغرب الأقصى، أو الإسبان، أو البرتغاليين وبعض حكام مدينة فاس المتعاونين مع الإسبان، بمثل ما حدث قبيل موقعة وادي المخازن سنة ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م، عندما تأهب حاكم الإيالة رمضان باشا بأمر من السلطان العثماني "مراد الثالث" ومر على المحروسة تلمسان أثناء عودته من فاس، وقام بتعبئة سكانها وقواتها العسكرية "النوبات"[٦٧] وتحضيرهم للمعركة رفقة الملك السعدي عبد الملك ضد ابن أخيه المتوكل[٦٨].

لكن هذه الوضعية لم تكن قبل ذلك التاريخ سائرة المفعول على ما يبدو، ففي السنوات السابقة قد لبس حكام هذه المدينة ثوب العصيان على أوامر الباب العالي، وذلك يظهر جيدًا مع العصيان والمؤامرة التي قام بها قائد المحروسة تلمسان "يوسف" رفقة آغا الانكشارية "مصطفى أرناؤوط" اللذان قاما سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م، بتدبير مؤامرة لاغتيال الباشا المرسل من الأستانة "تكلرلي"، وتفاصيل هذه الحادثة ترجع لرفض أعضاء الديوان تعيين هذا الحاكم، حيث كانوا قد عينوا قبله وبعد وفاة صالح رايس مباشرة "حسن قورصو"، وقد كان يوسف هذا معتوقًا من قبل البايلرباي الأخير[٦٩].

زيادة على ذلك، فقد تدخلت القوات العثمانية مـرارًا في رسـم الـحـدود بين إيالة الجزائر والمغرب الأقصى، حيث وقع ذلك في عهد مبكر من الوجود العثماني في الجزائر، ففي سنة ٩٩٢هـ/١٥٨٤م، حدثت أزمة "فغيغ" قرب المحروسة تلمسان التي كانت تابعة للجزائر والإدارة العثمانية تأخذ الضرائب منها، إلا أن جاء أحمد المنصور السعدي وأرسـل شخصًا إليها ليحكم باسم السعديين، فغضب "حسن باشا" على تصرفه، وقال المنصور أن إستنبول هي من قدمتها له، فراسل حسب باشا الباب العالي وأجاب هذا الأخير بالعكس، فأرسِلت للمنصور رسالة تأمره بالتزام حدوده[٧٠].

لقد كان أمراء المغرب الأقصى يريدون ضم

أجزاء من غرب المغرب الأوسط كما سبقت الإشارة إليه زمن السعديين. إلا أنهم فشلوا، في ظل وجود العثمانيين الذين صدوا هجماتهم، رغم الاضطرابات السياسية الداخلية التي كانت تحدث في مقر الحكم في دار السلطان[٧١]، ولكن في الكثير من الأحيان قد استطاع بعض الملوك العلويين هزم سكان هذه المدينة وإرغامهم على الاختباء خلف أسوار المدينة، مثلما فعل ذلك محمد الشريف (ت: ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م)، الذي انتصر على التلمسانيين ورجع لبلاده محملاً بالأسلاب[٧٢].

ليعيد فعلته هذه سنة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٨م، لكن العثمانيين هذه المرة كانوا له بالمرصاد، حيث وقعت تحت أسوار المدينة معركة طاحنة بقيادة قائد المحروسة تلمسان "جلبي بك"[٧٣] فقد خلالها المغامر المغربي من ألف إلى ألفين ومائتين من رجاله، وعلى إثرها جنح إلى المهادنة ورجع إلى سجلماسة[٧٤].

وأثناء تولي السلطان العلوي الرشيد (ت: ١٠٨٢هـ/ ١٦٧٢م) الحكم، قام بمهاجمة الزاوية الدلائية في ١٠٧٦هـ/ ١٦٦٨م، وأبعد علماءها وقادتها إلى المحروسة تلمسان، بغرض تحقيق مشروع أخيه في الاستلاء على غرب الإيالة الجزائرية، ولم تمض بضعة أشهر على التواجد الدلائي بهذه المدينة حتى نشبت ثورة خطيرة ضد الإدارة العثمانية في تلمسان دامت سنين عدة[٧٥]. ففي سنة ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٩م، كان العثمانيون قد بدأوا حصار وهران لطرد الإسبان منها، إلا أنهم تفاجأوا بالثورة في تلمسان، مما اضطرهم إلى الانسحاب إلى دار السلطان، وفي السنة التالية أي ١٠٧٨هـ/ ١٦٧٠م، وجه الآغا محلة أخرى لإخماد الثورة، ومثل سابقاتها تكبدت خسائر دون أن تحقق الهدف المرجو، ولم تتمكن الإدارة العثمانية من قمع هذه الثورة إلا في فبراير ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٥م، وعندما أخذوا المدينة نكلوا بأهلها أشد التنكيل، وإثر هذه الحادثة، ألف سعيد المنداسي قصيدته المشهورة "الإعلام فيما وقع للإسلام من قبل الترك بتلمسان"[٧٦].

وفيما يخص أطماع ملوك المغرب الأقصى فقد تواصلت مع السلطان اسماعيل العلوي (ت: ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م)، الذي حاصر المحروسة تلمسان وعسكر قرب "باب كشوطة"[٧٧] [٧٨]، في الجهة الغربية في الطريق المؤدي إلى المنصورة، وتمكن من دخول الناحية الغربية من الإيالة حتى بلغ منطقة شلف، ثم عاد إلى فاس بعد فشله من الوصول إلى دار السلطان[٧٩].

وفي ظل هذه التهديدات، أقامت الإدارة العثمانية حاميات عسكرية وأبراج مراقبة في الجهة الغربية الجنوبية لتلمسان، مثل مركز سبدو[٨٠] العسكري حيث كانت هذه القرية قاعدة متقدمة للحامية العثمانية، وتمثل احدى القبائل المخزنية، ونظرًا لموقعها الاستراتيجي، كون تلمسان بلدة كبيرة، وبوابة نحو الصحراء، كانت دومًا هدفا للأطماع حيث إن السيطرة عليها هي سيطرة على الطرق التي تربط الشمال الغربي للجزائر بالجنوب الغربي كله، ويسيطر

على البوابة الأمامية للجنوب الصحراوي[٨١]. ولكونها محطة تجارية مهمة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، ولكي تحافظ الإدارة العثمانية على أمن الطرقات، كانت تقيم بعض المراكز العسكرية على الطرق التي تربط تلمسان ووهران ومدينة الجزائر، لأهميتها البالغة في الحركة التجارية، تُعرف بـ: "القوناق" وهي عبارة عن خيام تقيم فيه الحاميات المخزنية تكلف بحراسة الطرق[٨٢].

ومن بين هذه الدفاعات العسكرية نذكر "باب كشوطة" في الطريق المؤدي إلى المنصورة نحو الغرب، والذي كان يدعى في العهد العثماني "باب الجغليلة" أي "باب الأرجوحة"، وأطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى الجناة الذين وقعوا ضحايا عدالة الحكام الأتراك، وهو المكان الذي كثرت فيه الإعدامات شنقًا، كما كان الباب محصنًا ببنائين ترابط فيه الحواشد العسكرية العثمانية[٨٣].

وكان هناك أيضًا بالجهة الجنوبية الغربية من مدينة تلمسان "برج الصفراني" المحاذي لباب الحديد، لا تزال آثار المصطبتان الجانبيتين اللتين كانتا مخصصتين للمدفعية التركية العسكرية قائمة حتى اليوم[٨٤].

إن تشييد العثمانيين لهذه المعالم العسكرية كان نتيجة هذا التطاحن الدولي والإقليمي، الذي اغتنمه المتآمرون من الداخل والخارج، فسادت الفوضى، وامتنعت الكثير من القبائل عن دفع الضرائب، وأعلنت في هذا الإطار تلمسان العصيان، وقامت الثورات عقب كل حملة عسكرية من جانب سلاطين المغرب الأقصى، تمكنت المحلة العثمانية لحسن الحظ من إخمادها، وقطعت رؤوس المرابطين الذين كانوا يتزعمون هذه التمردات[٨٥]، إلا أنها كانت تعود خائبة إلى دار السلطان كونها لم تحصل سوى النزر اليسير من الضرائب المقررة للبايلك[٨٦].

٦- الثورات والتمردات في تلمسان خلال العهد العثماني:

إن الشيء اللافت للانتباه فيما يتعلق بالتواجد العثماني في تلمسان، هو أنه رغم مساعي الأجهزة السياسية والعسكرية العثمانية الدؤوبة في حماية هذه المنطقة وحراستها، إلا أن أغلب القادة العثمانيين الذين يُسيرونها كانوا يُعرفون بالظلم والاستيلاء على أموال العامة، وامتد بهم جشعهم إلى أخذ ضريبة من المال على شكل "مكوس" من قافلة الحجاج التي كانت تمر على هذه المدينة كل سنة، حيث عبر عن ذلك الرحالة "المكناسي" أثناء حلوله عليها على ما يظهر عام ١١٩٢هـ/١٧٨٤م، قائلاً: "(...) ومن قلة حياء حاكم البلد وكثرة حرصه وإذاية العامة، أن كل من يمر به حجاج بيت الله يقبض منهم شيئا معينا على أمتعتهم وحوائجهم (...)"[٨٧]. هذا ما دفع العام والخاص من سكان هذه المدينة إلى إعلان العصيان والتمرد، والتي تطورت في بعض الأحيان إلى القيام بالثورات، ومن بينها، نذكر نماذج في الجدول الموالي:

الجدول رقم ٠٣: مبيان كرونولوجي لأهم التمردات والثورات التي اندلعت في تلمسان المحروسة.

الرقم	الثورة	السنة	القائد
١	ثورة الدوار	٩٨٠هـ/١٥٧٢م	مجهول
٢	/	١٠٣٥هـ/ ١٦٢٧م	مجهول
٣	ثورة السوسي	١٠٣٨هـ/١٦٢٩م	السوسي
٤	/	١٠٧٨هـ/ ١٦٧٠م	مجهول
٥	/	١٠٨٣هـ/ ١٦٧٥م	مجهول
٦	ثورة الكراغلة	١١٤٦هـ/ ١٧٣٨م	مجهول
٧	ثورة تلمسان	١١٦٠هـ/١٧٥٢م	مجهول

(المرجع: من إعداد الباحث).

ففي سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٧م، تمردت بعض القبائل في بايلك الغرب الجزائري بقيادة محمد التيجاني، وفي هذه المعارك قتل محمد، فتشتت قواته وتراجعت إلى البوادي، وكانت المناطق المجاورة لتلمسان خلال السنة الماضية ـ أي سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨٢٦م ـ، تعج بالمشاكل، بمثل ما كان عليه "حسن بك" في انشغاله بحرب سيدي محمد، حتى سحق قبيلة أنقاد(٨٨).

كما تمكن الباي المذكور من الانتصار على الولهاصيين غرب المحروسة تلمسان(٨٩)، على اثر الثورة التي قامت في "ولهاصة" في خريف عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٨م، لما رفضت قبائلها في شمال تلمسان دفع الضريبة المفروضة عليهم للإدارة العثمانية، بتحريض من عامل وجدة أبي العلي إدريس، فأرسل إليهم الباي حسن حامية لاستخلاصها منهم بالقوة، إلا أن الحامية العثمانية تعرضت لكمين، فأبيدت عن آخرها، فاضطر القاضي محمد بن سعد التلمساني (ت: ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م)، للرحيل بنفسه لتهدئة الأوضاع، ولا شك في أن ذلك كان بإيعاز من العثمانيين، الّذين كلفوه بهذه المهمة لمكانته في تلك المنطقة، فهو ينتمي لبيت اليبدري من البيوتات العلمية البارزة في تلمسان، غير أنه اتهم بالتعاطف مع السكان، فخشى على نفسه، وعجل بالفرار إلى المغرب الأقصى أين استقبله السلطان عبد الرحمن بن هشام، وهو ما يؤكد صلته القوية به قبل هذا التاريخ، فأقام هناك إلى غاية قدوم الولي المغربي الجديد إلى تلمسان بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر(٩٠).

الخاتمة:

أثناء عرضنا للمعالم السياسية والإدارية والعسكرية

وتطوراتها في تلمسان إبان العهد العثماني، والتي مست الأسس العامة التي أرست من خلالها الإدارة العثمانية تواجدها بالمحروسة تلمسان، قادتنا هذه المتغيرات إلى الانتباه، على أساس الاستنتاج والاستنباط، على ذلك الاتصال الوثيق بين المثلث الحيوي الممثل في الإمبراطورية العثمانية، دار السلطان بمدينة الجزائر، مدينة تلمسان إحدى مدن الحكومة الغربية. بما يُمكننا أن نقول:

ـ إذا كانت مدينة تلمسان على عهد العثمانيين شكلت كيانا سياسيًا وإداريًـا مستقلاً في بعض فترات التاريخ العثماني بها، إلا أنه لم يكن في أي حال من الأحوال قطيعة بينها وبين دار السلطان بشكل خاص، والباب العالي بشكل عام، على ما وقفنا عليه من قرائن تاريخية تثبت حقيقة العلاقة العميقة بين الأطراف الثلاث، والتي فعلَّها أكثر الدين الإسلامي، والمصير المشترك، والنطاق الجغرافي الواحد الذي كانت فيه تلمسان امتدادًا للإمبراطورية العثمانية نحو الغرب في نقطة التماس مع المملكة المغربية.

ـ برهنت الوثائق الأرشيفية والمخطوطات الأصيلة والنصوص المصدرية الأجنبية، وأجمعت، على التسمية التاريخية التي تترجم دور العثمانيين في حماية الإسلام والمسلمين في الشرق والغرب. وهي التسمية المركبة من كلمتين: تلمسان/المحروسة، والتي كانت تحصيل حاصل لمحاولات اقتناص هذه المدينة من قبل الباب العالي.

ـ انفردت المحروسة تلمسان بأجهزة إدارية عثمانية استثنائية، كشفت لنا طبيعة العلاقة بين سكانها والإدارة العثمانية، والتي كانت من زاوية ذات صبغة تعاونية في الأزمات الدولية والمحلية، وتبرز مدى الاهتمام التي حظيت به هذه المدينة، سياسيًا وعسكريًا، وفي زاوية أخرى أبانت في أغلب الأوقات على ذلك العداء والتوتر خصوصًا بين الكراغلة والأتراك، ليقفز ذلك الوضع المضطرب إلى نشوب الثورات، وما انجر عنها من انعكاسات، أثرت بشكل قوي على مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى الدينية...

ـ عُـدَّت تلمسان المحروسة محمية عسكرية مُتقدمة للعثمانيين اتجاه الغرب، بسبب التحرشات التي كانت تقع بصورة متتالية من جانب سلاطين المغرب الأقصى، ما حتم على العثمانيين أن أقاموا بهذه المنطقة حاميات عسكرية على طول الحدود المغربية الجزائرية، وكثفوا من التحصينات المخزنية لردع أي عدو مرتقب من هذه الجهة بالذات.

الهوامش

(١) إن الأتـراك العثمانيين هم من أطلق تسمية "الجزائر" على المدينة الصغيرة المقابلة لمجموعة من الجزر على البحر المتوسط، ومنذ ذلك الحين أصبحت تسمية "الجزائر" تطلق على كامل منطقة المغرب الأوسط. ينظر:

(2) Voyage Dans Les Etats Barbaresques De Maroc Alger Tunis et Tripoly Ou Lettres Dun Des Captifs Qui Viennent D'être Rachetés Par Mm Les Chanoines Réguliers De La Sainte Trinité, Libaire de monsieur, Paris, 1785, P: 93.

(٣) مخطوط رقم: ٢٣١٤٥، حاشية الرماصي على السنوسية، وقف السيد أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حجر التلمساني (كان حيًا سنة: ١١٦٤هـ/١٧٥٦م)، رواق المغاربة.

(4) Updike (U), The Algérien Captive Or The Life And Adventures Of Doctor Updike Underhill Six Years A Prisoner Among The Algerienes, Printed By Peter B. Gleason And Go, Hartford, 1812, P: 164.

(٥) عزي بوخالفة، شواهد الإحسان على مآثر المحروسة تلمسان، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١، ص: ٢٤.

(٦) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، (ج٢)، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ١٩٨٠، ص: ٢٢٩.

(٧) مجموعة علماء مدينة تلمسان المحروسة، مخطوط: متن العقائد، أو الحاشية المسمات بكتاب الدرر الفايق في جمع الحقائق والله تعالى أعلم، مكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، قسم مجاميع العلوم، يحمل رقم: ٤٧٤٩٤، عدد الأورق: ١٦.

(٨) الوثيقة رقم ٠٨، المجموعة: ٢٣١٦، السنة: ١٢١٧هـ/١٨٠٢م، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر.

(٩) أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري ابن الصائم التلمساني (كان حيا سنة: ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م)، مخطوط: كعبة الطائفين وبهجة العاكفين على قصيدة حزب العارفين، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: ٤٦٠١، الورقة/ أ: ١١٩.

(10)Emanuel (A), Relation De La Captivité & Liberté Du Sieur Emanuel D'Aranda, Jadis Esclave à Alger Ou Se Trouvent Plusieurs Particularités De L'Afrique, Dignes De Remarque, 3eme édition, Augmentee De Treize Relations, & Autres Trailles Douce, Par Le Mesme Autheur, Jean Mommart, Bruxelles, 1662, P: 63.

(١١) الحدثان: هو علم ينظر في التنبآت الخاصة بأعمال الملوك وأخبار الدول في مدة بقائها وملوكها وأسمائهم وحروبهم، وقد ولع به الملوك كثيرا لهذا انصرفت إليه العناية في التقييد ونقل أخباره. ينظر: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد إبن خلدون (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٣م)، المقدمة، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٧، ص: ٣٣٠.

(١٢) أبو الربيع سليمان الحوات (ت: ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م)، مخطوط: البذور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية، مكتبة الطالب بالرباط، يحمل رمز: MS ARAB ٤٣٣، (غير مصنَّف)، الورقة: أ/ ٩٥.

(١٣) نفسه، ص: ٤٩٢.

(١٤) أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني (ت: ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٦)، البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف، دراسة وتحقيق: الزاوية رشيد، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ـ المغرب ـ، ١٩٩٢، ص: ١٢٥.

(١٥) ابن الصائم، مصدر سابق، الورقة/ أ: ١١٩.

(١٦) عيسى ذيب، مدينة تلمسان كمركز من المراكز الحضارية، منشورات المركز الوطني للدراسات، الجزائر، (د.ت)، ص: ١٠.

(17)Snouci Meberbeche (F), "Tlemcen Under The Ottoman Empire: Influence And Development", Revue Mediterranean Through Pensée Méditerranéenne, Revue

Des Recherches Et Les Etudes Sur Le Dialogue Des Religions Et Des Civilisations ,N° 2014 ,08, P: 29.

(١٨) عبد الحميد بوسماحة، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، منشورات الرياض، ٢٠١١، ص: ١٥.

(١٩) سعد بوفلاقة، أوراق تلمسانية، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، ٢٠١١، ص: ١٩.

(٢٠) حمدان بن عثمان خوجة (ت: ١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م)، المرآة، تقديم وتعليق وتحقيق: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، ٢٠٠٦، ص: ٥٧ ـ ٥٨.

(٢١) ستيفن جيمس ويلسن، الأسرى الأمريكان في الجزائر ١٧٩٥م ـ ١٧٩٦م، ترجمة: علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص: ٣٢٥.

(٢٢) وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر ١٨١٦م ـ ١٨٢٤م، تعليق وتقديم: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص: ٣٥.

(23) Voyage Dans Les Etats Barbaresques, op, cit, P: 94.

(٢٤) حمدان خوجة، مصدر سابق، ص: ٥٧ ـ ٥٨.

(٢٥) سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ١٥٠٠ ـ ١٨٣٠، (ج١)، دار البصائر، الجزائر، ٢٠٠٩، ص: ٣٩ ـ ٤٠.

(٢٦) نفسه، (ج١)، ص: ٤٠.

(٢٧) عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، دراسة ووثائق (رسائل ومعاهدات) وتعاليق وتحاليل، منشورات سعيدان، سوسة، ٢٠٠٢، ص ص: ٣٤ ـ ٣٧.

(28) Cour (A), "L'occupation Marocaine De Tlemcen", Revue Africaine, Vol 1908 ,52, P: 9.

(٢٩) وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: زبادية عبد القادر، دار القصبة لنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٦، ص، ١٦٥.

(٣٠) أبو عبد الله محمد بن يوسف الزياني التلمساني (كان حيا سنة: ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٢، ص: ٢٢٨.

(٣١) في ظل هذه الأوضاع قدم إلى الجزائر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٥م، ثلاث إخوة كانوا يمارسون التجارة في البحر الأبيض المتوسط، ينتسبون إلى جزيرة "ميدلي" اليونانية، قاموا بمنافسة الإسبان على تلمسان، حيث طلب الملك الزياني أبو حمو الثالث النجدة من الإسبان، لكن النصر كان لبربروسة واخوته، واقتنص قلعة المشور منهم، ودخل مجددًا في معارك مع ملوك المغرب الأقصى, ينظر:

(32) Le commandant de pimodan, Oran tlemcen sud oranais (, 1899 1900), Honoré champion libraire, paris, 1903, P: 9.

(٣٣) كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (١٥١٠ ـ ١٥٤١)، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٧، ص: ٣٦.

(٣٤) عبد الحميد بن أبي زيان ابن اشنهو، دخول الاتراك العثمانيين إلى الجزائر، مطبعة الجيش الشعبية، الجزائر، (د.ت)، ص: ١١٧.

(٣٥) دخل عروج إلى تلمسان منتصرا، وسط هتافات حشد من التلمسانيين، الذين استقبلوه وعاملوه بكل رقة واهتمام. وكعادته حسب "ستيفن جيمس ويلسن"، وحال استلائه على المدينة بدأ في الاضطهاد، غير أن رعاياه الجدد سرعان ما أقنعوه أنهم لن يستسلموا مثل مواطني مدينة الجزائر، فوجد اعتراض كبير لإدارته في تلمسان، وقلق حذر لحكم السلطان الزياني نتيجة عمله

الشائن في مدينة الجزائر، فقام عروج باحتياطات عسكرية أولها حماية الجنود الأتـراك وارسال صديقه القرصان المدعو "اسكندر" للقضاء على الثورات التي نشبت في تلمسان بسبب رفضهم لعروج، حيث عقدوا اجتماعات متكررة لطردهم عروج، لأنهم تأسفوا كثيرًا على توددهم في طلب المساعدة منه. ينظر: ستيفن جيمس ويلسن، مرجع سابق، ص: ٢٣.

(٣٦) مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروسة، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩، ص: ٩٢.

(37)Claude Antoine (R), Albert Alexandre (C), Algerie états Tripolitains, Firmin Didot Frères éditeurs, Paris, 1850, P: 80.

(٣٨) تشير البحوث والدراسات المتعمقة في الصراع الإسباني العثماني حول مدينة تلمسان خلال القرن العاشر عشر الهجري/السادس عشر الميلادي، إلى الكثير من الشخصيات الإسبانية العسكرية التي نظمت حملات غزو على هذه المدينة وسعت لعقد التحالفات مع الكثير من الأطراف السياسية التي كانت تطمع في الاستلاء على تلمسان. ينظر:

(39)Henri Delmas (D), "L'expédition D'a. Martinez De Angula Contre Tlemcen", Revue Africaine, N° ,36 1892, P: 140.

(٤٠) مجهول، مصدر سابق، ص ص: ٦٢ ـ ٦٣.

(41)Henri Delmas (D.G), Histoire D'Alger Sous La Domination Turque 1830-1515, éditeur Ernest Leroux, 1887, P: 28.

(٤٢) مجهول، مصدر سابق، ص: ٧٣.

(٤٣) نفسه، ص: ٩٢.

(٤٤) نفسه، ص: ٩٢

(45)Documents Inédits Sur L'histoire De L'occupation Espagnole En Afrique (1574-1506), Publiés Par Ordre De M. Le Maréchal De Mac-Mahon, Duc De Magenta, Gouverneur Général De L'algérie, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1875, P: 224.

(46)(?), Le R'azaouat est-Il L'œuvre De Kheir-Ed-Din Barberousse, Imprimerie De X. Duteis, Rue Galaup. Tiré A Cent Exemplaires, P: 224.

(47)Le commandant de pimodan, op, cit, P: 49.

(٤٨) صالح رايس (ت: ٩٦٣هـ/١٥٥٦م): الملقب بأمير البحر، وباي لارباي أيالة الجزائر، أجمع المؤرخون على أن أصل صالح ريس هو عربي من الإسكندرية، تعرف إلى الأتراك حين قدومهم إلى مصر، ورافق عروج و خير الدين بربروسا في رحلاتهم، تعلم فنون الحرب والبحرية في سن مبكرة، من أهم اعماله مساهمته في انقاذ بقايا المسلمين في الأندلس، فمنح لقب "بكلربك" أو "باي لاربـاي" أي أمير الأمـراء، وهو لقب يخول لصاحبه أن يُصدر الأوامر إلى باشا تونس وطرابلس والجزائر، لتولى منصب حاكم الجزائر في عام ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م، فأتم فتح بجاية عام ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م، من الإسبـان، وقضى على التمردات في المغرب الأقصى ودخل فاس في عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م. توفي صالح رايس مصاباً بالطاعون، وقد ناهز السبعين عاما في سنة ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م. ينظر: مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (ج٣)، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص ص: ٧٣ ـ ٨٩.

(49)Claude Antoine (R), Albert Alexandre (C), op, cit, P: 234.

(٥٠) بايلك الغرب: من البايليكات الثلاثة بإيالة الجزائر، وكان أكبرها مساحة. وفيه كان التطور الأول

لنموذج البايلك مع مؤسسه "بن خديجة" الذي استلم في سنة ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م، قيادة هذا الإقليم. ينظر: محفوظ قداش، الجزائر في العهد العثماني، ترجمة: امحمد بن البار، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦، ص: ١٧٥.

(٥١) ستيفن جيمس ويلسن، مصدر سابق، ص: ١٤٢.

(٥٢) علي العبيدي، وآخرون، الجزائر وتوازنات القوى البحرية غرب المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي ـ دراسات تاريخية ـ، النشر الجامعي الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، تلمسان، (د.ت)، ص: ١٦٨.

(٥٣) أبو العباس أحمد سيدي محمود الشريف الزهَّار (ت: ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ١١٦٨هـ ـ ١٢٤٦م/ ١٧٥٤م ـ ١٨٣٠م، تقديم: المدني أحمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤، ص: ٣٣.

(54) Claude Antoine (R), Albert Alexandre (C), op, cit, P: 202.

(55) Le commandant de pimodan, op, cit, P: 51.

(56) Barges (L), Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De Ce Nom, Souvenir Dun Voyage, Challamel Aine Libaire, Paris, 1859, P: 250.

(57) Edmond (P), Annales Algériennes, Contenant le Résumé de l'Histoire de l'Algérie de 1848 à 1854, et divers Mémoires et Documents, T2, Chez Camoni Libraire, Marseille, 1854, P: 4.

(58) Fray Diego (H),Topographie Et histoire Générale D'alger, Imprimé A Valladolid En 1612, Traduit De L'espagnol Par: Mm. Le Dr. Monnereau Et A. Berbrugger, 1870, P: 51.

(٥٩) كمال بن صحراوي، "التنظيم الإداري والعسكري ببايلك الغرب الجزائري"، مجلة العِبر، دورية علمية دولية محكمة تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، العدد ٠١، ٢٠١٨، ص: ١٤٥.

(60) Esterhazy (W), Domination Turque Dans L'ancienne Régence D'Alger, Librairie De Charles Gosselin, Paris, 1840, P: 172.

(٦١) ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة: بوعزيز يحيى، ج ١، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩، ص: ١٤٥.

(٦٢) محفوظ سماتي، الأمة الجزائرية: نشأتها وتطورها، ترجمة: محمد الصغير بناني وآخرون، منشورات دار حلب، سوريا، ٢٠٠٧، ص: ٦٤.

(٦٣) نفسه، ص: ١٠٦.

(٦٤) الشريف الزهار، مصدر سابق، ص: ٢٤٨.

(65) De Tassy (L), Histoire Du Royaume d'Alger, Chez Henri Du Sauzet , Amsterdam, 1725, P: 127.

(٦٦) بوعبد الله بلجوزي، "المنشآت المعمارية للباي مصطفى بوشلاغم ببايلك الغرب الجزائري"، مجلة آثار، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات والأبحاث في الآثار، العدد ١٥، ٢٠١٨، ص: ١٧٧.

(٦٧) الوثيقة رقم ٣٨، المجموعة: ٢٣١٦، السنة: ١٢٢٥هـ/١٨١٠م، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر.

(٦٨) الوثيقة رقم: ٢٧٩ ـ ٢٧٨، المؤرخة ما بين سنوات ١١٧٠هـ/١٧٦٢م حتى ١١٨٥هـ/١٧٧٧م، الدفتر الجبائي رقم: ٢١٤٤، الأرشيف الوطني التونسي.

(٦٩) وثيقة مؤرخة في ٦ مارس ١٥٨٢م، تحت حكم رقم: ٢٩٣, ٢٩٢، سلسلة الدفاتر المهمة، مهمّة دفتري.

(٧٠) النوبة: كانت النوبة مخصصة لحراسة المدن وبعض المراكز الحضرية والأرياف، ولا تغادر بأي حال من الأحوال مواقعها، أما أفرادها فيتم تغييرهم كل سنة في بداية الربيع، وتتكون النوبة من "الصفرات"، وهي "الصَّفرة" أي المائدة التي يجتمع عليها الجند الإنكشارية، وفي زمن الباي حسين كانت في بايلك الغرب أربعة نوبات: عشرة صفرات في وهران، وخمسة في كل من تلمسان، معسكر، ومستغانم، وهو ما يساوي ٥٧٥ رجلاً من مجموع ١٩٧٨ رجلاً موزعين على كامل الإيالة. ينظر:

(71) Esterhazy, (W), De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, 1840, P: 238- – 237.

(٧٢) عزيز سامح إلتر، مرجع سابق، ص: ٢٥٠.

(٧٣) أمين محرز، الجزائر في عهد الآغوات (١٦٥٩ ـ ١٦٧١)، دار البصائر للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص٤٤.

(٧٤) عزيز سامح إلتر، مرجع سابق، ص: ٢٦٥.

(75) Fray Diego (H), Histoire Des Rois D'Alger, Traduite Et Annotée Par: H - D - De Grammont, Libraire Adolphe Jourdan, 1881, P: –104 105.

(٧٦) إبراهيم شحاتة حسن، أطوار العلاقات المغربية العثمانية. قراءة في تاريخ المغرب عبر حمسة قرون (١٥١٠ ـ ١٩٤٧)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨١، ص: ص: ٣٨٦ ـ ٣٩٠.

(٧٧) عزيز سامح إلتر، مرجع سابق، ص: ٣٨٤.

(78) Cour (A), L'établissement Des Dynasties Des Chérifs Du Maroc Et Leur Rivalité Avec Les Turcs De La Régence D'Alger 1509 1830, Ernest Leroux, Paris, 1904, P: 179.

(٧٩) محمد بومدين، "رؤية تاريخية في أبعاد الامتداد الدلائي وتجلّياته في تلمسان العثمانية خلال القرنين ١١هـ/١٧م و١٢هـ/١٨م"، المجلة التاريخية المغاربية، مجلة دولية تصدر عن مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، السنة الثامنة والأربعون ـ العدد ١٨١، أفريل/ نيسان ٢٠٢١، ص ص: ٩٩ ـ ١٣٢.

(٨٠) ناصر الدين السعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩، ص ص: ٣٦٩ ـ ٣٧٥.

(٨١) باب كشوط: أو "باب كشوطة" من الأبواب المشهورة بتلمسان، تقع في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة في الطريق المؤدية إلى المنصورة . وقد تم بناء هذا الباب العتيق في عهد عبد الوادي الأول على يد يغمراسن عام ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م، وحصّن المكان غاية التّحصين بتشييد منشآت دفاعية علما منه أنّ العدو كثيرا ما يأتي من المغرب الأقصى. يعود أصل هذه التّسمية حسب قول بعض السكان إلى أنّ الكلمة فرنسية، تعربت عبر الزمن في اللهجة المحلية إلى "باب القشوط"، جاءت بصفة الجمع بمعنى "باب الأكشاك" جمع "كشك" من الكلمة الفرنسية: "Kouchouta،Kouchout". و"كشوت" (La porte du kiosque) عربية لنبات طفيلي يتعلق بأغصان الشجر. ينظر: جورج مارسيه، وليم مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وترجمة: مراد بلعيد، بورويبة علي محمد، عبد مزيام فلة، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١، ص: ٧٧.

(82) Albert (D), Tachrifat Recueil De Notes Historiques Sur L'administration De L'ancienne Régence D'alger, Imprimerie Du Gouvernement, Alger, 1852, P: 8

(83) ibid, P: 12.

(٨٤) سبدو: ظهرت تسمية سبدو في عهد الاستعمار الفرنسي "سهب ٢ / sehb٢"، كما كانوا يطلقون

عليها أيضا تسمية ترتي٢، وهذه الأخيرة حاليا هي "تل تترني"، ثم صارت الكلمة من "سهب ٢" إلى "سبدو"، وذلك على ما يبدو أن الفرنسيين في حد ذاتهم لا يقرأون حرف "H"، ويسقطونه نطقا لا كتابة، ولأنه ربما بعد مجيء المثقفين أو المتعلمين بعد الاستعمار في المدينة خاصة في الإدارات المحلية تحولت الكلمة عندهم من "sehb deux"، في كتابتها بالفرنسية إلى "sebdou"، وفي حال كتابتها بالعربية يكتبونها "سبدو". ينظر بالتفصيل: صبرينة نعيمة دحماني، الآثار الإسلامية العسكرية بمدينة تلمسان، إحصاء وجرد وتحليل، (دراسة تمهيدية لوضع الخارطة الأثرية)، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٢٠، ص: ٥٥.

(٨٥) نفسه، ص: ٥٥.

(86) Louis (R), La royaume d'Alger sous le dernier Dey, Revue Africaine, OPU ,N° 1897 ,41, P.133

(٨٧) صبرينة نعيمة دحماني، المرجع السابق، ص: ٥٥.

(٨٨) نفسه، ص: ٥٥.

(٨٩) إبراهيم شحاتة حسن، مرجع سابق، ص ص: ٣٦٠ ـ ٣٩٠.

(90) Mercier (E), Histoire De L'Afrique Septentrionale (Berberie), T3, Ernest Leroux éditeur, Paris ,1868, P: 243.

(٩١) أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي المسطاطي (ت: ١١٩٩هـ/ ١٧٩٩م)، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيـارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبره الحبيب، تقديم وتحقيق: بوكبوط محمد، دار السويد للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣، ص: ٣٣١.

(٩٢) محفوظ قداش، مرجع سابق، ص: ١٨٣.

(٩٣) نفسه، ص: ١٨٣.

(٩٤) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي التلمساني الحفيد (كان حيا سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)، مخطوط: إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: ٩٣٠٧R.D.، الورقة: أ/ ٤٣.

المصادر والمراجع

- إبراهيم شحاتة (حسن)، أطوار العلاقات المغربية العثمانية. قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قـرون (١٥١٠ ـ ١٩٤٧)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨١.
- ابن اشنهو (عبد الحميد)، دخول الاتراك العثمانيين إلى الجزائر، مطبعة الجيش الشعبية، الجزائر، (د.ت).
- بوخالفة (عـزي)، شواهد الإحسان على مآثر المحروسة تلمسان، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١.
- بلجوزي (بوعبد الله)، "المنشآت المعمارية للباي مصطفى بوشلاغم ببايلك الغرب الجزائري"، مجلة آثار، مجلة علمية سنوية محكمة تعني بنشر الدراسات والأبحاث في الآثار، العدد ١٥، ٢٠١٨.
- بوسماحة (عبد الحميد)، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، منشورات الرياض، ٢٠١١.
- بومدين (محمد)، "رؤية تاريخية في أبعاد الامتداد الدلائي وتجلّياته في تلمسان العثمانية خلال القرنين ١١هـ/١٧م و١٢هـ/١٨م"، المجلة التاريخية المغاربية، مجلة دولية تصدر عن مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، السنة الثامنة والأربعون ـ العدد ١٨١، أفريل/ نيسان ٢٠٢١.
- بوفلاقة (سعد)، أوراق تلمسانية، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، ٢٠١١.
- التلمساني (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، (ج٢)، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ١٩٨٠.

- التلمساني (أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن رزوق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري ابن الصائم الجازولي كان حيا سنة ١٠٦٦هـ/١٦٥٦م)، مخطوط: كعبة الطائفين وبهجة العاكفين على قصيدة حزب العارفين، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: ٤٦٠١.
- الحوات (أبو الربيع سليمان ت: ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م)، مخطوط: البذور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية، مكتبة الطالب بالرباط، يحمل رمز: MS ARAB ٤٣٣، (غير مصنَّف)، عدد الأوراق: ٣١٨.
- خوجة (حمدان بن عثمان ت: ١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م)، المرآة، تقديم وتعليق وتحقيق: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، ٢٠٠٦.
- إبن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٣م)، المقدمة، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٧.
- ذيب (عيسى)، مدينة تلمسان كمركز من المراكز الحضارية، منشورات المركز الوطني للدراسات، الجزائر، (د.ت).
- الزجاي (أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا التلمساني الحفيد كان حيا سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)، مخطوط: إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: R.D٩٣٠٧، الورقة: أ/ ٤٣.
- الزياني (أبو عبد الله محمد بن يوسف كان حيا سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٢.
- الزياني (أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم ت: ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٦)، البستان الظريف، في دولة أولاد مولاي الشريف، دراسة وتحقيق: الزاوية رشيد، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ـ المغرب ـ، ١٩٩٢.
- الزهَّار (أبو العباس أحمد سيدي محمود الشريف ت: ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ١١٦٨هـ ـ ١٢٤٦م/ ١٧٥٤م ـ ١٨٣٠م، تقديم: المدني أحمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤.
- قداش (محفوظ)، الجزائر في العهد العثماني، ترجمة: امحمد بن البار، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦.
- القاسمي (عبد المنعم الحسني)، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، ٢٠٠٥.
- سبنسر (وليام)، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم: زبادية عبد القادر، دار القصبة لنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٦.
- سماتي (محفوظ)، الأمة الجزائرية: نشأتها وتطورها، ترجمة: محمد الصغير بناني وآخرون، منشورات دار حلب، سوريا، ٢٠٠٧.
- السعيدوني (ناصر الدين)، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩.
- شوفالييه (كورين)، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (١٥١٠ ـ ١٥٤١)، ترجمة: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٧.
- بن صحراوي (كمال)، "التنظيم الإداري والعسكري ببايلك الغرب الجزائري"، مجلة العِبر، دورية علمية دولية محكمة تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، العدد ٠١، ٢٠١٨.
- الصيداوي يوسف، الكفاف، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٩.
- ويلسن (ستيفن جيمس)، الأسرى الأمريكان في الجزائر ١٧٩٥م ـ ١٧٩٦م، ترجمة: علي تابليت، منشورات تالة، الجزائر، ٢٠٠٧.

- وثيقة مؤرخة في ٦ مارس ١٥٨٢م، تحت حكم رقم: ٢٩٣, ٢٩٢، سلسلة الدفاتر المهمة، مهمّة دفتري.
- الوثيقة رقم: ٢٧٩ ـ ٢٧٨، المؤرخة ما بين سنوات ١١٧٠هـ/١٧٦٢م حتى ١١٨٥هـ/١٧٧٧م، الدفتر الجبائي رقم: ٢١٤٤، الأرشيف الوطني التونسي.
- الوثيقة رقم: ٢٨٠، المؤرخة ما بين سنوات ١١٨٦هـ/١٧٧٨م حتى ١١٩١هـ/١٧٨٣م، الدفتر الجبائي رقم: ٢١٤٤، الأرشيف الوطني التونسي.
- الوثيقة رقم ٠٨، المجموعة: ٢٣١٦، السنة: ١٢١٧هـ/١٨٠٢م، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر.
- الوثيقة رقم ٣٨، المجموعة: ٢٣١٦، السنة: ١٢٢٥هـ/١٨١٠م، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة، الجزائر.
- مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة للكتاب، الجزائر، ٢٠١٤.
- مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروسة، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩.
- مجموعة علماء مدينة تلمسان المحروسة، مخطوط: متن العقائد، أو الحاشية المسمات بكتاب الدرر الفايق في جمع الحقائق والله تعالى أعلم، مكتبة مخطوطات الأزهر الشريف، قسم مجاميع العلوم، يحمل رقم: ٤٧٤٩٤، عدد الأورق: ١٦.
- مخطوط رقم: ٢٣١٤٥، حاشية الرماصي على السنوسية، وقف السيد أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حجر التلمساني (كان حيًا سنة: ١١٦٤هـ/١٧٥٦م)، رواق المغاربة.
- محرز (أمين)، الجزائر في عهد الآغوات (١٦٥٩ ـ ١٦٧١)، دار البصائر للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
- المزاري (ابن عودة)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة: بوعزيز يحيى، ج ١، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩.
- المكناسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المسطاطي ت: ١١٩٩هـ/ ١٧٩٩م)، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبره الحبيب، تقديم وتحقيق: بوكبوط محمد، دار السويد للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣.
- Albert (D), Tachrifat Recueil De Notes Historiques Sur L'administration De L'ancienne Régence D'alger, Imprimerie Du Gouvernement, Alger, 1852.
- Aranda (E), Relation De La Captivité & Liberté Du Sieur Emanuel D'Aranda, Jadis Esclave à Alger Ou Se Trouvent Plusieurs Particularités De L'Afrique, Dignes De Remarque, 3eme édition, Augmentee De Treize Relations, & Autres Trailles Douce, Par Le Mesme Autheur, Jean Mommart, Bruxelles, 1662.
- Barges (Labbe), Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De Ce Nom, Souvenir Dun Voyage, Challamel Aine Libaire, Paris, 1859.
- Le commandant de pimodan, Oran tlemcen sud oranais (1900 , 1899), Honoré champion libraire, paris, 1903.
- Claude Antoine (R), Albert Alexandre (C), Algerie états Tripolitains, Firmin Didot Frères éditeurs, Paris, 1850.
- Cour (A), L'établissement Des Dynasties Des Chérifs Du Maroc Et

Leroux, 1887.

- "L'expédition D'a. Martinez De Angula Contre Tlemcen», Revue Africaine, N"1892 ,36.
- Louis (R), La royaume d'Alger sous le dernier Dey, Revue Africaine, OPU ,N° 1897 ,41.
- Mercier (E), Histoire De L'Afrique Septentrionale (Berberie), T3, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1868.
- Snouci Meberbeche (F), "Tlemcen Under The Ottoman Empire: Influence And Development", Revue Mediterranean Through Pensée Méditerranéenne, Revue Des Recherches Et Les Etudes Sur Le Dialogue Des Religions Et Des Civilisations ,N° 2014 ,08.
- Updike (U), The Algérien Captive Or The Life And Adventures Of Doctor Updike Underhill Six Years A Prisoner Among The Algerienes, Printed By Peter B. Gleason And Go, Hartford, 1812.
- Voyage Dans Les Etats Barbaresques De Maroc Alger Tunis et Tripoly Ou Lettres Dun Des Captifs Qui Viennent D'être Rachetés Par Mm Les Chanoines Réguliers De La Sainte Trinité, Libaire de monsieur, Paris, 1785.

Leur Rivalité Avec Les Turcs De La Régence D'Alger 1830 1509, Ernest Leroux, Paris, 1904.

- Documents Inédits Sur L'histoire De L'occupation Espagnole En Afrique (1574-1506), Publiés Par Ordre De M. Le Maréchal De Mac-Mahon, Duc De Magenta, Gouverneur Général De L'algérie, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, 1875.
- De Tassy (L), Histoire Du Royaume d'Alger, Chez Henri Du Sauzet , Amsterdam, 1725.
- Edmond (P), Annales Algériennes, Contenant le Résumé de l'Histoire de l'Algérie de 1848 à 1854, et divers Mémoires et Documents, T2, Chez Camoni Libraire, Marseille, 1854.
- Esterhazy (W), Domination Turque Dans L'ancienne Régence D'Alger, Librairie De Charles Gosselin, Paris, 1840.
- Haedo (Fray Diego):
- Topographie Et histoire Générale D'alger, Imprimé A Valladolid En 1612, Traduit De L'espagnol Par: Mm. Le Dr. Monnereau Et A. Berbrugger, 1870.
- Histoire Des Rois D'Alger, Traduite Et Annotée Par: H - D - De Grammont, Libraire Adolphe Jourdan, 1881.
- -10- Henri Delmas (D)
- Histoire D'Alger Sous La Domination Turque 1830 -1515, éditeur Ernest

الغذاء الصحي عند أطباء المسلمين في الحضارة الإسلامية

د.شريف قوعيش
جامعة مستغانم، الجزائر

يشكل موضوع التغذية الصحية عند أطباء المسلمين في الحضارة الإسلامية من المواضيع الجديدة التي لها أهمية واسعة في علم التغذية والطب الغذائي المعاصر، فالعلاقة التي تميز بين الطب الغذائي والصحي عند المسلمين في العصور الوسطى وما هو في الفترة المعاصرة هي علاقة توفيقية علمية بحتة، إذ لا يمكن الاستغناء على ما توصل إليه الأطباء المسلمين من علوم وتقنيات غذائية، بل ذلك هو المصدر الأساسي في التجارب والأخذ ما هو عصري في المعاملات الطبية، والإسلام ينظر إلى الصحة الإنسانية ضرورة وحاجة أساسية وليس ترفا أو أمرا كماليا، فحياة الإنسان لها حرمتها وقداستها ولا يجوز التفريط فيها ولا إهدارها كما دلت قطعيا النصوص القرآنية والنبوية، كما أفلح المسلمون عبر تاريخهم في تحويل هذه التعاليم النظرية في صورة إجراءات عملية ملموسة، حيث اتجهت الدولة إلى تشييد (البيمارستانات) على اختلافها لعلاج المرضى، وتوسعت في عمليات شق الترع وتطهير مصادر المياه، وأقامت المحتسب ليراقب الأسواق ويتابع الإجراءات الصحية بها، وسنت التشريعات التي تكفل المحافظة على البيئة، وكانت معالجة الأمراض بالنظم الغذائية من أهم أسس العلاج الطبي لكثير من الأمراض في المستشفيات في الحواضر الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي.

وجاء تخصيص الأغذية في كتب الأطباء المسلمين كالرازي "٨٥٠- ٩٣٢" وابن سينا "٩٨٠-١٠٣٧" فلو استعرضنا كتاب "القانون في الطب" لابن سينا لوجدنا فيه ذكر الكثير من الأغذية وخصائصها ومنافعها واستعمالاتها المختلفة لعلاج الأمراض، وقد لخص "ابن سينا" "كتاب القانون" في منظومته المشهورة "الأرجوزة في الطب" وبنظرة سريعة إلى هذه المنظومة يتضح الاهتمام الكبير بالأغذية والتداوي بها، ومن الأمثلة الأخرى على الكتب التي ألفها العلماء العرب المسلمون في التغذية كتاب "منافع الأغذية ودفع مضارها" للرازي، وكتب "الأغذية"، و "دفع مضار الأغذية"، و "الحِمْيَات"، و "الأشربة" لابن ماسويه

"٨٥٧-٧٧٧"، وكتاب "تدبير الأصحاء بالمطعم والشراب" لحنين بن إسحق "٨٠٨-٨٧٣"، و "الأرجـوزة في الحميات" لابن عـزروت، و "الأرجوزة في الأغذية والترياق" للسان الدين بن الخطيب "١٣١٣-١٣٧٥" وغيرهم.

ولم يقتصر اهتمام العلماء المسلمين بالأغذية واستعمالها في المعالجة، بل امتد ليشمل تدبير الأطعمة وعاداتها وآدابها. ومن أمثلة ذلك كتاب "الولائم" لشمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي "١٤٧٥-١٥٤٦"، وكتاب "آداب الأكل" لابن عماد الأقفهسي "١٣٤٩-١٤٠٥"، وكتاب "تدبير الأطعمة" للكندي "٨٠١-٨٥٦".

مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة في معرفة تاريخ علم الغذاء عند المسلمين، ومساهمة علماء وأطباء المسلمين في مجال التغذية الصحية ودورهـا في الحفاظ على المنظومة الغذائية الصحية الإسلامية، ومن هذا الباب نطرح عدة تساؤلات وهي تخدم الموضوع بشكل علمي: فيما تتجلى أهمية علم الغذاء عند المسلمين؟ ما قيمة الحياة في المنظومة الغذائية الصحية عند المسلمين؟ كيف استطاع علماء وأطباء المسلمين من صناعة محتوى ونمط حياتي يتماشى وصحة الإنسان وما يتوافق مع الشريعة الإسلامية؟ ما مدى تطبيق نظرية التواصل العلمي الحضاري بين الإنتاج العلمي للمسلمين وما توصل إليه العلم الحديث في مجال علم الغذاء والتغذية؟

أهداف الدراسة:

تكمن أهداف الدراسة في النقاط الآتية:

- تأريخ لعلم الغذاء والتغذية عند المسلمين.

- معرفة إسهامات أطباء وعلماء المسلمين في مجال علم التغذية الصحي ودوره في بناء حياة غذائية صحية على مدى الفترات التاريخية التي عرفتها الحضارة الإسلامية.

- إمكانية تطبيق مقارنة أو مقاربة تجسيرية بين ما توصل إليه علم الغذاء الإسلامي وعلم الغذاء الحديث، سواء من ناحية التطور العلمي الطبي الصحي، أو من ناحية إعادة النظر في المنظومة الغذائية الصحية المعاصرة.

منهج الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي الجامع بين مقتضيات الوصف والتفسير للمعطيات والأفكار التي تناولناها في البحث، كما اعتمدنا على المنهج التأريخي والاستقرائي في تدوين مسيرة وجهود علماء وأطباء المسلمين في علم الغذاء والتغذية.

تصميم الدراسة:

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم علم الغذاء والتغذية.

المبحث الثاني: إسهامات علماء المسلمين في علم التغذية.

المبحث الثالث: نماذج من إسهامات أطباء وعلماء المسلمين في علم التغذية (وقاية ودواء).

تمهيد:

تميزت فترة العلوم العربية الإسلامية في مجال الغذاء والتغذية والعلوم المرتبطة معها أو شملتها

آنذاك كالطب والصحة وسلوك التعامل مع الغذاء بأنها مرحلة نظام له خصوصياته الحضارية لم يعرف عصر النهضة العالمية والتنوير الأوروبي مثيلاً له، لذلك يجدر بالمرء أن يحرص على ألا يقيم هذه الحقبة التاريخية بنفس المعايير التي تستعمل في الوقت الحاضر في تقييم العلوم الأوروبية الحديثة التي لها خصوصيتها أيضًا وبشكل مختلف عن متطلبات الحضارات الدينية للمجتمعات العربية والإسلامية من حيث طريقة التفكير والهدف والوسيلة التي بني عليها البحث والاستكشاف العلمي من جهة ومن حيث النتائج التي تترتب على صحة الإنسان والبيئة بسبب هذه الأبحاث، مثل أمراض العصر والحضارة المنتشرة حاليًا بسبب العلم الحديث.

ويمثل التراث الغذائي في الحضارة العربية الإسلامية كبير في كميته، عظيم في قيمته، عظيم في تأثيره على الحضارة الغربية بشكل خاص والعالمية بشكل عام، وقد جرى نقل المعارف التي تحويها من قبل الأوربيين أنفسهم وقد قاموا بتدريس كتب هؤلاء العلماء وتطبيق معارفهم وخبراتهم في "معاهد التعليم الأوروبية المتقدمة" آنذاك وحتى القرن السابع عشر.

المبحث الأول: مفهوم علم الغذاء والتغذية:

١- في القرآن الكريم والسنة النبوية:

لقد تبتت مصادر الإسلام (القران الكريم والسنة النبوية) على وضع أسس علمية لمفهوم علم الغذاء والتغذية، فالإسلامُ في تعاليمه الغذائية لم يقتصر على ذكر المحرَّمات وحدها، بل ذهب إلى تنظيم الغذاء الحلال، وإلى توجيهه المسلِمين إلى الأغذية التي تنفَعُ أبدانَهم، وتحفَظ صحَّتهم، وهو في هذا لا يتبع أسلوب النَّهي القاطع، ولا الأمر الملتزم، كما هو الحال في المحرَّمات، ولكنه يكتفي هنا بالتوجيه غيرِ المباشر وغير الملزِم؛ حتى لا يكونَ في الدِّين عُسْرٌ ولا إرهاق، وبهذه الطريقةِ نجد أن الإسلامَ قد نظَّم - ولا نقول: ألزم - أو حدد للمسلمين الطعام الذي أحلَّه لهم من ناحيتينِ: نوع الغذاء، ونظام الغذاء[١]، وقد اعتنى الإسلام بالنظام الغذائي الذي يؤمن للجسم نموًا سليمًا ومتكاملاً، والتغذية في الإسلام تقوم على نظام يعتمد الاعتدال في الطعام والشراب، ويتجنب الإسراف والتقتير، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٢]، فالمراد من ذلك عدم الإسراف والأخذ بالغذاء في نظام دائم لا يخرج عن نطاق التبذير، فالتبذير آفة اجتماعية مكروهة في الإسلام لابد الوقوف عندها، وفي القران الكريم حديث واسع عن الطعام، ابتداء من زرعه وإنباته، وأنواعه، وأشكاله، وانتهاء من أحكامه وتشريعاته وقوانينه، حتى أن تعداد كلمة "أكل" ومشتقاتها ذكرت في القران الكريم بعدد خمسا وتسعين مرة، في أكثر من ثلاثين سورة، وتعداد كلمة "طعم" ومشتقاتها بلغ أربعا وأربعين مرة، فضلا عن عشرات الآيات المبثوثة في السور القرآنية التي استعرضت أصناف الطعام والشراب المختلفة، فلا تكاد سورة من القران الكريم تخلو من ذكر أنواع الغذاء أو الإشارة إليه، وفي هذا الباب نذكر بعض الأحاديث القرآنية التي تطرقت إلى النظام الغذائي كدواء صحي:

- في قوله تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى

طَعَامِهِ﴾[٣]

- في قوله تعالى ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾[٤]

- في قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾[٥]

- في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٦]

وتنظير القران الكريم والسنة النبوية لنظام الغذاء لم يكن مجرد ذكر لمواد عضوية وأخرى غير عضوية يتناولها الإنسان ليحيى ويبقى، بل هو أبعد غورا وأعظم شأنا، فشأنه شأن أي مفردة من مفردات حياتنا الاقتصادية، أو السياسية، أو الاجتماعية، أو التربوية، مرتبط بعقيدة الإنسان وجزء من ثقافته ومعلم من معالم حضارته، وملمح من ملامح هويته، فلابد إذا من تنظيمه وترشيد النظر إليه وتقنين التعامل معه، بما يحفظ للإنسان بقاءه ويحافظ على هويته وثقافته، فلا غرو ولا عجب أن نقرن الغذاء بثقافة الإنسان وهويته.[٧]

وكما وردت أحاديث نبوية في مفهوم الغذاء كدواء، فقد جاء عن المقداد بن معد يكرب عن النبي (ﷺ) أنه قال: (ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"[٨]، فقوله صلى الله عليه وسلم: "ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه" فالبطن هو: الذي يوضع فيه الطعام، وإذا أُكثر من الطعام أدى إلى تخمة وصار ضررًا وشرًا على صاحبه؛ وذلك لما ينتج عنه من الكسل والخمول والفتور، وما يحصل عنه أيضًا من الأمراض والأمور المنغصة.

وبعد أن بين النبي الكريم (ﷺ) أن البطن هو شر وعاء يملأ، فقد أرشد عليه الصلاة والسلام إلى الطريقة المثلى في الأكل وهي أخذ الكفاية، ثم بين هذه الكفاية فقال عليه الصلاة والسلام: بحسب امرئ) أي: يكفيه (أكلات يقمن صلبه) أكلات: جمع أكلة، أي: لقيمات يقمن صلبه، وصلبه هو ظهره، وذلك أنه إذا أكل الإنسان وحصل له التغذي بالطعام فإنه يكون عنده نشاط وتكون عنده قوة وفيه حياة، وإذا ذهب عنه الطعام أدى به ذلك إلى السقام وإلى المرض، وربما أدى به ذلك إلى الموت بسبب الجوع.

ثم إن النبي (ﷺ) أرشد الإنسان إذا لم يكتف بهذه الأكلات التي يحصل بها إقامة الصلب إلى هذه القسمة الثلاثية، وهي أن يكون ثلث بطنه لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

فالرسول (ﷺ) ذكر ثلاثة أحوال للناس: فالحالة الأولى: حال من يملأ بطنه، وبذلك يتعرض لأسباب الأمراض وللأسقام وللكسل والخمول، والحالة الثانية: حال من يأتي بالطريقة التي فيها الكفاية، وهي الأكلات التي يقمن صلبه، وإذا كان ولا بد فهناك شيء بين الكفاية والامتلاء، وهو أن يملأ الثلثين ويبقى ثلث يكون فيه مجال للتنفس وهذه هي الحالة الثالثة. فهذا هو هديه صلى الله

عليه وسلم فيما يتعلق بالمآكل والمشارب[٩]، ونبراسا لمعرفة الغذاء كدواء دائم خالي من كل الأمراض والشوائب.

وهناك أحاديث نبوية أخرى وهي كثيرة تطرقت إلى الغذاء كدواء ونظام صحي يجب اتباعه:

- قال عليه الصلاة والسلام: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ".[١٠]

- وقال عليه الصلاة والسلام: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ."[١١]

- وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيك (رضي الله تعالى عنه) قَالَ: أَتَيْتُ النبي (ﷺ) وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤوسِهِمُ الطَّيْرُ فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَتَدَاوَى فَقَالَ: " تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ"[١٢].

- وقد نهى النبي محمد (ﷺ) من ترك آنية الطعام والشراب مكشوفة حتى لا تتعرض للحشرات التي تنقل الأمراض للإنسان، فقال عليه الصلاة والسلام: "غَطُّوا الإِنَاءَ وَأَوْكوا السِّقَاءَ".[١٣]

- وفي الحبة السوداء، قال رسول الله (ﷺ)" في الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السام"، وقال بن شهاب، والسام هو الموت.[١٤]

- وعن الحمية، جاء عن قول رسول الله (ﷺ "أن المعدة حوض البدن، والعروق إليها واردة. فإذا صحت المعدة: صدرت العروق بالصحة، وإذا سقمت المعدة: صدرت العروق بالسقم".[١٥]

٢- في الدراسات الحديثة:

علم التغذية - nutrition هو العلم الذي يبحث في العلاقة ما بين الغذاء - food والجسم الحي، ويشمل ذلك تناول الطعام وهضمه - digestion وامتصاصه - absorption واستقلابه -metabolism في الجسم، وما ينتج عن ذلك من تحرير الطاقة اللازمة للحياة والتكاثر وصيانة الأنسجة والإنتاج "كإنتاج البيض والحليب"، وكذلك التخلص من الفضلات، أي أن علم التغذية يُعنى بجميع عمليات التقويض- catabolism والإبتناء - anabolism التي تجري في الجسم مع ربطها بالغذاء المتناول وما يحتويه من العناصر الغذائية.

علم الأغذية - food science فهو العلم الذي يعنى بدراسة الأغذية "وهي مصادر العناصر الغذائية والطاقة للجسم" من حيث تركيبها ومكوناتها وطبيعتها ومصادرها وكيميائها واقتصاديات إنتاجها وتصنيعها وخزنها، وواضح هنا أن علم الأغذية وتصنيعها يعنى بالغذاء وعناصره خارج الجسم، بينما يهتم علم التغذية بما يطرأ على الغذاء داخل الجسم وبما يتعلق بتناوله من ظروف.[١٦]

ويهتم علم تغذية الإنسان - human nutrition بتطبيق أسس علم التغذية على الإنسان، وما يلزم ذلك من دراية بالمعارف والعلوم والأساليب التي تجعل الخبير أو أخصائي التغذية قادرًا على غرس المفاهيم التغذوية الصحيحة، وتغيير العادات الغذائية للفرد والمجتمع نحو الأفضل، ونبذ العادات والممارسات الغذائية الخاطئة.[١٧]

المبحث الثاني: إسهامات علماء المسلمين في علم التغذية

كان للمسلمين فضل كبير في علم التغذية من خلال انجازاتهم العلمية والتجارب اليومية في معرفة حقيقة الغذاء كدواء أساسي لتفادي الأمراض والابتعاد عن كل ما هو مضر بالصحة، حيث كانت أحوال الغذاء والتغذية ما قبل الإسلام في البادية والحضر سيئة للغاية، ندرة في الماء والطعام وسوء نوعية الماء، وبساطة في الغذاء، ونقص مزمن في التغذية واعتماد على الغذاء الشعبي الذي كان ينقصه التنوع، ولم تكن ظروف الصحة والسلامة للغذاء وظروف النظافة الشخصية بشكل أفضل وكانت وسائل العلاج للأمراض التغذوية وغير التغذوية مستمدة من الطب الشعبي بدون أساس علمي والذي كانت تبدو بعض الصلات بينه وبين السحر.

وظهر مع بداية عصر الإسلام الانتفاع بالقرآن والسنة وما اشتملت على تعاليم الممنوع والمسموح به من الأغذية والأساليب السليمة في التعامل معها، فظهر كتاب الطب النبوي في العهد الأموي، ومن المعلوم أن هذا العصر كان بداية الترجمة والنقل عن الأمم الأخرى، فكان كتاب الطب النبوي بمثابة مرجع علمي سليم في مجال الغذاء والتغذية بنيت عليه الكثير من التصحيحات وتنقية الشوائب الموجودة في العلوم المنقولة.

ومن الثابت تاريخيا أن أول مستشفى بني واستخدم فيه المنهج العلمي التطبيقي المستعمل في أنظمة المستشفيات الحديثة كان في عهد الخليفة العباسي "هارون الرشيد" ببغداد، تلاه مستشفى "عضد الدولة" الذي عملت فيه فرق الأطباء وطواقمهم وكانت تطبق فيهما أنظمة التغذية والعلاج التغذوي من خلال تحضير الأطعمة والأدوية الغذائية العلاجية على أيدي مختصين مهرين، وكانت هناك خدمة يتكفل بها المستشفى بكرة وعشية تقدم من خلالها الأطعمة والأشربة ما يليق بالأشخاص والمرضى وحالاتهم المرضية وتشخيصها، وقد ازداد الاهتمام العرب المسلمين بالنظام الصحي الغذائي وإتباع أفضل الطرق للعلاج والوقاية الصحية بغذاء متوازن وصحي، خاصة في الفترات الإسلامية المتلاحقة من نهاية الفترة العباسية إلى حكم الدويلات الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، حيث أضحت الحياة الصحية هاجس ونظام ونمط متبع من أفضل الأنظمة الصحية الغذائية مقارنة ببلاد الغرب.

وقد كان لأطباء وعلماء التغذية المسلمين مساهمات عديدة في مجال العلاج الغذائي والرعاية الصحية الغذائية، يمكننا حصرها فيما يأتي:

١. "آداب الطعام" للمناوي"، وهو كتاب مخطوط.
٢. "آداب المواكلة" للغزي، وهو مطبوع.
٣. "آداب الأكل والشرب" للحصني.
٤. "أسباب القوة من إحسان القدرة في أدب الأكل والشرب" لمحمد حقي الكوز حصاري.
٥. "ديوان تذكر الغافل في استحضار

المآكل" لمحمد الخالدي الحمصي، وهو مطبوع في حماة سنة ١٣٣٠هـ.

٦. " فرائض الطعام وسننه" لابن القيسراني.

٧. "كتاب المأكل" للبرقي.

٨. "لب اللباب في بيان الأكل والشراب" للبوسنوي.

٩. "المجموع العام في آداب الشراب والطعام ودخول الحمام" لابن حجر العسقلاني.

١٠. "مفتاح القرب لنظم آداب الأكل والشرب" للصمدي"، ومخطوط في دار الكتب المصرية، مكتبة طلعت.

١١. "نظام القلائد في أحكام الموائد" للطائي الحلبي

١٢. "نظم آداب الأكل وشرحه" لباقشير.

١٣. "نزهة أعيان الحزب بالنظر لمسائل الشرب" للشرنبلالي، مخطوط في برنستون

١٤. "دلالة الشكل على كمية الأكل"، لابن طولون، مطبوع

١٥. "تعليم الأهل في آداب الأكل"، لابن طولون

١٦. "الغرض في تدبير المأكل والمشرب" لابن رقيقة

١٧. "مستند الانتها عن أكل المرء كل ما اشتهى"، لابن طولون

١٨. "إيضاح ما استبهم من أحوال الفيض والمواهب في تناول الطيبات وتركها وما لهم في ذلك من المواهب" لأبي محمد عبد العزيز القسنطينين، مخطوط بدار الكتب المصرية.

١٩. "الأطعمة والأشربة" لغانم بن محمد الحنفي. نسخة مخطوطة في استنبول- جامعة فاتح.

٢٠. "الأطعمة والأشربة ومع رد على محمد الأمين بن أحمد الجيد"، لمحمد يحيى ابن محمد المختار المالكي، مخطوط في مركز أحمد بابا، تنبكتو.

٢١. "من آداب الضيافة عند العرب" لعبد الحليم ملاعبة، طبع مكتبة الحرمين، الزرقاء، الأردن.

٢٢. "صفة التسمية عند الأكل والشرب وغيرها من الأمور"، عبدالرؤوف عبد الحنان، دار الفتح، الشارقة.

٢٣. "الأكل والشرب واستعمال الحلي والذهب والفضة" (لمجهول) في القدس، مسجد إسحاق الحسيني

٢٤. "بديع الشكل في أحكام اللباس والشراب والأكل"، لمحمد بادي الكنتي، منه نسخة خطية في مركز أحمد بابا، تنبكتو.

٢٥. "كتاب الولائم" لشمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي (١٤٧٥-١٥٤٦م).

٢٦. "كتاب تدبير الأطعمة" للكندي (٨٠١-٨٥٦).[١٨]

المبحث الثالث: نماذج من اسهامات أطباء وعلماء المسلمين في علم التغذية (وقاية ودواء).

لقد تعددت إسهامات أطباء وعلماء المسلمين في مجال الغذاء كعلم قائم بذاته ومصدرا للدواء والوقاية المبكرة ضد الأمراض، ووفق هذا التعدد يمكننا أن نذكر بعض النماذج وهي في غاية الأهمية سواء بالنسبة للطب القديم أو الحديث والمعاصر:

١- ابن الرازي (ت:٢١٢هـ):

أ- كتاب المنصوري في الطب:

خصّص الرازي في كتابه المنصوري المقالة الرابعة لحفظ الصحة، وقال مقدمًا لها: "ذكر جمل حفظ الصحة وجوامعها: أركان حفظ الصحة: حسن تقدير الحركة والسكون والمطعم والمشرب وإخراج الفضول، وتعديل المساكن، وتلاحق الحوادث الرديئة قبل أن تَعْظُم، وموافقة الهمم النفسية، والتحفظ بالعادات"، وقد ذكر ابن الرازي في الغذاء الصحي ما يأتي:

- في تقدير الحركة وحالها ووقتها:

يجب أن تستعمل الحركة قبل الطعام إما بالمشي أو الركوب، دون الوصول إلى حالة الاستثقال أو الإعياء. فمن شأن الحركة قبل الطعام أن تذكي الحرارة الغريزية في البدن الذي يكتسب خصبا "وجلدا"وشدّة، وينبغي التحرك بتدرج ودون مفاجئة العصب بغتة.

ويجب تجنب الحركة القوية بعد الطعام لأنها جالبة للأمراض على عكس الحركة قبل الطعام.

- في تدبير المطعم:

ينبغي أن يطعم الإنسان إذا نزل ثقل الطعام المتقدم وخفت الناحية السفلى من البطن ولم يبق فيها تمدد وتحرك حركة موافقة وثارت الشهوة، وينبغي أن لا يدافع بالأكل إذا هاجت الشهوة إلا أن تكون شهوة كاذبة كالتي تهيج بالسكارى والمتخمين، فأما إذا اشتهى الإنسان الطعام وليس بسكران ولا كان ما تقدم من غذائه كثيرًا غليظا فليأكل وقته ذلك ولا يدافع به فإنه أجود، فإن اتفق ذلك في حالة ما أن يتدافع له بالأكل حتى تسقط شهوته وبعد أن كانت قد ثارت فينبغي أن يشرب جلّابًا أو سكنجبينًا أو ماء ﺤارًا ويؤخر الغذاء ساعة حتى يتقيأ أو يستطلق البطن أو تهيج الشهوة ثم يعاود ويأكل.

ولا ينبغي أن يتملأ من الطعام حتى تتمدد المعدة وتثقل ويضيق النفس، بل إن عرض مثل هذا في يوم فينبغي أن يقيئ ذلك قبل أن ينحدر وإن لم يتفق ذلك فليزد في النوم ثم في الحركة، وليأخذ ما يحدر ما في البطن ويقل مقدار الغذاء من غدٍ، وليغتذي كل إنسان من الأغذية المألوفة بمقدار ما جرت به عادته من المرات إلا أن تكون عادته رديئة فيحتاج أن ينتقل عنها، وأقل ما يكون الأكل في اليوم والليلة للأصحاء مرة واحدة وأكثره مرتين وأعدله أن يكون ثلاث أكلات في اليومين. والأكل مرة واحدة يضر بأصحاب الأبدان النحيفة اليابسة، والأكل مرتين يضر بأصحاب الجثث الغليظة الخصبة، ومن كان كثير الحركة والتعب احتاج من الغذاء إلى ما هو أكثر وأمتن وبالضد، وينبغي أن يتناول الإنسان من الأغذية الملائمة له. فإنه ربما لاءمت أحد الأغذية بعض الناس وكانت رديئة فلا يحتاج أن يتوقاها، وربما كانت بعض الأغذية الحميدة

غير ملائمة لواحد من الناس يحتاج أن يتوقاها، والأغذية المألوفة التي تميل إليها الشهوة وإن كانت أردأ فإنها أوفق، غلا أن تكون مفرطة الرداءة. ولا ينبغي أن تدمن الأغذية الرديئة، فإن أدمنت فليتعاهد بدواء مسهل، وأما في وقت أكلها فينبغي أن يوكل معها أو يشرب بعدها شيء يعدلها.

ومما يسوء به الهضم ويفسد أن تؤكل أغذية مختلفة في وقت واحد، وأن يتقدم الغذاء الأغلظ قبل الأرق الألطف، أو أن يكثر الألوان ويطول الأكل جدًا حتى يسبق أوله آخره بوقت طويل، وليكن الطعام في الشتاء حارًا وفي الصيف باردًا على أنه ينبغي أن ينحدر الطعام الشديد الحر الذي أنزل عن النار والشديد البرد كالأطعمة المبردة بالثلج، فإن هذه أيضاً لا ينبغي أن تدمن بل تؤخذ في وقت شديد الحر وفي حالة التهاب البدن. وأفضل أوقات الأكل هي الأوقات الباردة

- في ذكر الفواكه الرطبة وتدبيرها:

أما الفواكه الرطبة فلتقدم قبل الطعام إلا ما كان منها إبطاء ووقوف طويل في المعدة. وفيه قبض وحموضة كالسفرجل والرمان والتفاح، ويصلح أن يؤكل من الفواكه الرطبة في يوم يتفق فيه تعب شديد والتهاب في المعدة، فإنه يصلح في هذه الحال أن تؤكل الفواكه الرطبة مثل العنب والتين والأجاص والتوت والمشمش المبرد بالماء والثلج ثم يطعم بعدها بمديدة، و ينبغي أن يتوقى التخم، فإن ثقل الطعام في وقت ما يخفف في الذي يليه، فإن اتفق ذلك أيام متوالية فليشرب دواء مسهل ومن الناس من يستمرئ الأغذية الغليظة فتفسد في معدهم الأغذية اللطيفة، فليغذى هؤلاء بما لا يفسد في معدهم وبما لا يفسد في معدهم وبما يستمرئونه، وبالضد فليفعل فيمن حاله ضد حال هؤلاء ومن يكثر فيه تولد خلط ما يتأذى به فليجعل أكثر أغذيتهم ضد ذلك الخلط ويمنع تولده.

- في تدبير المشرب:

ينبغي أن لا يشرب من الماء على المائدة ولا بعد الأكل إلى أن يخف أعلى البطن، وإن كان لابد فبقدر ما يسكن به العطش، وينبغي أن لا يشرب ماء الثلج بكثرة، ولحذر شرب ماء الثلج من به ضعف في العصب، ومن كان معدته وكبده باردان، فأما من كان كثير اللحم والدم، أحمر اللون، قوي الشهوة فلا ينبغي أن يخاف منه. وليس بصالح أن يشرب الماء البارد على الريق إلا من به التهاب شديد أو خمار (حالة مرضية). وليتوق الشرب الكثير من الماء البارد في دفعة واحدة بعقب الجماع أو الحمام والحركة العنيفة التي تبهر الإنسان، ولا يشرب بالليل إذا كان كاذبًا (حالة هيستيرية) وآية ذلك أن يكون سكرانًا، أو يكون قد روي من الماء قبل نومه كفايته وعادته، كما ينبغي عدم الشرب على الخلاء والجوع ولا على طعام حريف ولا بعقب الحمام أو الحركة العنيفة ولا على الطعام إلا بعد انحداره.

- فيما يمنع ضرر الأغذية غير الموافقة:

يسلم من شر هذه بأن لا تدمن فإن أدمنت فبأن تتلاحق بالإسهال، وقد يسلم من ضررها بأن تمزج بغيرها أو يؤكل قبلها وبعدها ما يكسر من عاديتها ويعدلها ويصلحها.

فمن كان يسخنه الحلو أو يتأذى به فليشرب

عليه سكنجبينًا حامضًا أو خلاً، وبالجملة ليأخذ من الأشياء الحامضة وليتعاهد الفصد والإسهال للصفراء، ومن أدمن من شرب ماء الثلج فليدمن التعرّق في الحمام.

- فيما يدفع ضرر الشراب:

إذا كان الشراب يهيج الصداع ويولد في الرأس سدرًا فليشرب رقيقه ومروّقه ويكثر مزاجه ويتنقل عليه بالسفرجل ونحوه.

وإذا كان يهيج منه في البطن نفخ ووجع فليشربه قويًا صرفا أو قليل المزاج جدًا.

صفة شراب يسخن المعدة ويحلل النفخ ويعين على الهضم وينفذ الغذاء: يؤخذ من عسل النحل رطل ومن الماء ستة أرطال فيطبخ طويلاً برفق ثم يؤخذ لكل رطل مما حصل درهم من الزنجبيل والفلفل والدار فلفل.(١٩)

ب- كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها:

ويتحرى بنا أن نذكر نماذج من الكتاب لتوضيح ما قدمه لنا الطبيب ابن الرازي في علم التغذية الصحي، فقد ذكر لنا ابن الرازي في كتابه "منافع الاغذية ودفع مضارها" رأيت أن أؤلف كتابا في دفع مضار الأغذية تاما مستقصى أبلغ وأشرح مما عمله الفاضل جالينوس فإنه سها وغلط في كثير من كتابه في هذا المعنى ولم يستقص في كثير منه ولاسيما يحيى بن ماسويه فإنه ضر بكتابه الذي عمله في هذا الغرض أكثر مما نفع وأن أميل عن ذكر العلل والأسباب التي تخص الفلاسفة الطبيعيين إلى ذكر المعاني والنكت الجزئية التي يعم نفعها جميع الناظرين فيها المستعملين لها لما قدرت في ذلك من عظيم النفع ولعدمي أيضا كتابا مستقصى في غرضه المقصود فعملت كتابي هذا راجيا ثواب الله عز وجل ومتحريا مرضاته وإني لما أجلت الفكر في أن يكون هذا الكتاب تاما مستقصى في غرضه المقصود، رأيت أنه ينبغي أن ألحق بذكر الأمور الجزئية التي تخص عددا في دفع مضار ذكر قوانين وأمور كلية في تدبير المطعم والمشرب جملة ورأيت أنه ينبغي أن أجعله مقالتين أذكر في الأولى منهما الأمور الخاصة الجزئية وفي الثانية القوانين العامة الكلية وأنا فاعل ذلك بمشيئة الله عز وجل وإياه أسأل التوفيق لصواب القول والفعل والعون على ما يرضيه ويقرب إليه ويدني منه وهذا حين نبتدئ فنقول إنه لما كان معول الناس في أغذيتهم على الخبز والماء والشراب واللحم وكانوا لهذه أكثر استعمالا منهم لغيرها رأيت أن أبدأ بالقول فيها.

والفصل الثاني وقد أخذنا نموذج عنه في منافع الحنطة والخبز المتخذ منها ومضارها وما يدفع به تلك المضار وصنوف الخبز والأوفق منها في حال دون حال. الخبز السميذ والحوارى فأقول أن الخبز مع اعتياد الطبيعة له وورودها عليه دائبا وجري العادة بالاغتذاء منه له مضار ينبغي أن تميز وتفصل، فمن الخبز السميد والحوارى (يعرف عند أهل الشام بخبز الدرمك)، والخشكار (الخبز الأحمر) على مرتبته في ذلك من قلة النخالة وكثرتها والفطير، والمختمر، والكثير الملح، والبورق (نوع من الأملاح)... وخبز التنور، وخبز الفرن، وخبز الملة، وخبز الطابق، فمن مضار الخبز السميد والحوارى أنه أعسر خروجا من البطن من الخشكار وأنه أكثر نفثا وتوليدا للرياح ويولد السدد في الكبد والحصى

في الكلى في المستعدين لذلك ولذلك ينبغي أي يميل إلى الخشكار من تعتريه الرياح الغليظة ويبس البطن والسدد في الكبد والغلظ في الطحال والحصى في المثانة المستعدة لذلك ويسرع إليه الامتلاء وتصيبه أوجاع المفاصل ويعتريه التحجر فيها، ومما يدفع به هذه المضار أن يكثر فيه من الخمير والبورق ويتعهد الأكل له السكنجبين البزوري ويؤخذ بذر البطيخ وبذر الكرفس مع السكر الطبرزد (الأسمر) متى أحس بثقل تحت الأضلاع من الجانب الأيمن، فأما متى أحس بثقل في البطن... وعسر في خروج البول أو قلة فيه فليأخذ من هذا الدواء أياما قبل الطعام بثلاث ساعات، أما سفوف قوى (عجينة) وصفته أن يؤخذ من بذر البطيخ المنقى وزن عشرة دراهم ومن حب القلت، واللوز المر، والدوقو من كل واحد وزن درهمين فيسف من وزن ثلاثة دراهم ويشرب عليها ماء حارا قد أغلى فيه برشاوشان (يدعى بنبات شعلا الغول) إلى أن يفقد ذلك العارض، ويكثر من أحس بهذا العارض من البطيخ في إبانه ويتحسى أيضا من ماء الباقلى (ماء الفول) فإن هذا التدبير يمنع من أن يتولد وأن يتم تولد الحصى في كلاه والتحجر في مفاصله، فأما من يعتريه غلبة الرياح الغليظة فليجتنب أكل الفواكه الرطبة قبله وعليه ولاسيما الحامضة ويشرب قبله شيآ يسيرا من النبيذ العتيق أو يأخذ قدر جوزة من الجوارشن الكموني ويؤمر أن يكثر في طبيخه من الأفاوية (نوع من التوابل) ويصيب في بقله من الشذاب والصعتر (الزعتر) ومن الثوم ولاسيما في الأوقات والبلدان الباردة ويكون أكثر أكله لهذا الخبز بالاسفيذباجات وأمـراق المطجنات ويحذر أكله مع الماست (اللبن) والرائب والكشكية والمضيرة (طبق عربي يتكون من اللحم بصلصة اللبن والليمون والنعناع)، والمصلية (طبق عربي من قطع اللحم ومصل الدهن)، والحصرمية (طبق عربي من اللحم بقشور الباذنجان مع عصارة العنب المبهر بالتوابل) والبوارد المعمولة بماء الحصرم (عصير العنب الاخضر) والرمان ونحو ذلك من الحوامض والقوابض ويقل شرب ماء الثلج ويصرف شرابه ويقلله ويقويه وإن اضطر إلى أكله يوما ببعض ما وصفت من الأمراق الغليظة القابضة والباردة تناول الكموني أو الفلافلى أو صرف الشراب وتجوع من بعده وتعرق في الحمام من غد ويؤمر أن يكثر في هذه الأمراق من الثوم وخاصة في الكشكية والمضيرة فإن الثوم أكسر الأغذية للرياح وله مع ذلك أن لا يعطش كإعطاش الأفاويه الحارة فبهذا التدبير يمكن أن يسلم من يعتريه القولنج وأوجاع الجنب وتزممها بالرياح الغليظة من مضرة إدمان الخبز السميذ والحوارى، وأما من يعسر خروج النجو منه ويعتريه يبس في البطن دائما فليقدم من طعامه ما عمل بالمري وبأخذ زيتونات من زيتون الماء وينتعل بالفانيد السجزي ويتحسى قبل الطعام أمراق الأسفيذباجات وخاصة من ماء الكرنب والإسفاناخ (نبات فصلي ورقي ومن الخضراوات كذلك) والسلق ولتكن مالحة قليلا ويستعمل أيضا قبل طعامه، أما في الصيف أو في أوقات حمى بدنه أكل الإجاص منقوعا في جلاب (خليط بالزبيب) صفة نقع ماء الإجاص في الجلاب يؤخذ الإجاص اليابس العلك الحلو فيغسل بالماء ثم يشرح بالسكين مواضع منه ويرقق الجلاب بالماء حتى يصير الطعام بثلاث

ساعات من عشرة إلى عشرين، وأما في الشتاء والأوقات التي ليس فيها البدن ملتهبا وأصحاب الأبدان العبلة (الرقيقة) والشحيمة والمبرودون المرطوبون (أبدان ذات البرودة) فينقع لهم التين في ماء العسل فيأخذون من قبل الطعام.

وقد يصلح للمحرورين الذين يحتاجون إلى تسهيل خروج الثفل أكل الفواكه الرطبة التي تفعل ذلك في زمان الصيف وحالات التهاب البدن كالإجاص الرطب والتوت الشامي فمن لم يحترز منهم بهذا التدبير في إخراج الثفل أخذ في الأسبوع مرة من الأدوية التي شأنها إخراج الثفل ولا تجاوز قوتها الأمعاء والماساريقا وهي العروق التي بين الأمعاء الدقاق والكبد وتجري في الأغذية إلى الكبد، أدوية مفردة فمن الأدوية التي شأنها إخراج الثفل لب القرطم (نبات زيتي)، والصبر، وبذرة الأنجرة، والقليل من التربذ، واليسير من جوارشن (قشور) السفرجل المسهل ونحو ذلك، صفة دواء يخرج الثفل ويمنع كون القولنج الثفلي ويجلو مع ذلك عن الرأس والحواس ولا يضر بالسفل[٢٠].

٢- ابن الجزار القيراوني (ت:٣٦٩هـ):

ذكر لنا ابن الجزار القيرواني في كتابه "كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها" في فصل القول في الأغذية التي تصلح المعدة والأغذية الضارة في طبيعتها للمعدة" نصائح عامة يجب إتباعها لمداواة المعدة وابتعاد كل ما يضرها فيقول: "... إذا كانت المعدة ضعيفة مسترخية، وأصلح الأغذية لها القابضة مثل السفرجل وزيتون (الحلو) وخاصة ما عمل منه بالخل والزيت العفص، والبسر والسك الطيب الحامض نافع لمن كان محرورا أو في معدته بلغم لزج، والتفاح العفص (يقصد به تفاح البلوط) يدبغ المعدة... من الرطوبة والتفاح الحلو أطيب، وأعون لمن معدته باردة، والكمثرى دافع المعدة، ويسكن العطش، وزعم "دياسفوريدوس"[٢١] أن الحلبة الطرية إذا أكلت مع الخل نفعت المعدة إذا كانت ضعيفة أو كان فيها عفن" ويضيف قائلا "... كل طعام فيه حرافة (حِدَّة في الطَّعم تحرِق اللِّسانَ والفمَ وتلذعهما كأثر الفلفل وغيره) وفيه مع ذلك رائحة طيبة، وطعم طيب، فهو يعين على الهضم. ثم قال بعد هذا: إن كل طعامين يتساويان في جميع حالاتهما خلا اللذاذه فألذهما أوفقهما للمعدة، وذلك يعمم جميع الأطعمة اللذيذة، ويعم أيضا الأطعمة التي هي غير لذيذة، إن المعدة التي لا تحتوي عليهما، إنما تغثي، ويتهيج القيء، وربما اجتمع في المعدة بلغم لزج فلطخها، وأبطل الشهوة منها، فيصلحها من الأغذية ما يقطع البلغم، ويجلو المعدة كالخردل، والفجل، والحرق، والنبيذ الحار، والجوز مع التين وما أشبه ذلك.

وإذا كان الطعام ينحدر عن المعدة من قبل انهضامه احتجنا إلى الأغذية الحابسة التي قد غلب عليها اليبس أو العفوية مثل الكمثرى، والزعرور، والنبق، والعدس، والبلوط، والشاه بلوط، والنبيذ العفص، والدخن، وسويق الشعير.

وأما الأشياء الحامضة مثل التفاح، والرمان الحامض وما أشبه ذلك فأن صادفت في المعدة كيموسا غليظا (بقايا الطعام) قطعته ولينت البطن، وان صادفتها بقية أمسكت البطن، ومن كان الطعام يفسد سريعا في معدته، فأجود الأغذية له ما كان غليظا بطيء الانحدار، مثل

الخبز النقي، ولحم البقر، أشد من استمرائهم لحم الدراج في (.....) حتى أنه يعرض لهم منه جشأ مائيا....، وقد ذكر أرسطاطاليس أن السبب في ذلك انصباب المرار الأصفر إلى المعدة، واجتماعه فيها بسبب مزاج غالب، أو حامضه في الحلقة، أما بسبب الخاصية في الحلقة، فلأن المواد المنحدرة إلى الأمعاء تنصب في / بعض / الناس الى المعدة.."

ويضيف كذلك قائلا "... وأما الأغذية التي يسرع الفساد إليها في المعدة مثل التوت، والبطيخ، والمشمش وما أشبه ذلك، فيجب أن تؤكل قبل الطعام على نقاء من المعدة وليسرع انحداره أو تسهّل الطريق لما يؤكد بعدها.

ومتى أكلت بعد الطعام فسدت، وأفسدت سائر الطعام بفسادها، التي إذا صادفت في المعدة كيموسا رديئا فربما بلغ بها الفساد أن تصير مثل السم القاتل (والسلق) رديء للمعدة للدعها اياها الباقية من الحدة، والبورقية وجميع الأحساء سريعة الانهضام إلا أنها إن أبطأت فضلا قليلا في المعدة أسرع إليها الفساد، والسمسم مفسد للمعدة للزوجته، بطيء الانهضام ينقلب سريعا في المعدة إلى حدة دخانية، وذلك لمكان دسمه، وخاصة أن يعمى ويغيّر نكهة الفم، والشهذانج (بذر القنب) ضار بالمعدة بطيء الانهضام، والحبة الخضراء (سريعة) الانهضام وخاصتها أنها تذهب بشهوة الطعام، وبذر الكتان رديء للمعدة، عسر الانهضام، نافخ، والقثاء (نوع من الخيار) والخيار يفسدان في المعدة سريعا. غير أن القثاء أقل في ذلك من الخيار، والخوخ سريع الفساد والعفونة في المعدة، وحب الصنوبر الكبار بطيء في المعدة، ويورث الحفر في أكثر منه وجعا في المعدة.

والإكثار من الموز يثقل المعدة والجوف رديء للمعدة وورقة أحد من بزره، وكذلك ورق الخردل، والجوز إذا صار في معدة معتدلة أو باردة انهضم سريعا وغذّى، وإذا صار في معدة حارّة انقلب سريعا إلى الدخانية والمرار أكثر من دسمه، والبندق أيضا رديء للمعدة، والعنّاب عسر الانهضام، رديء للمعدة والأجاص الحلو رديء للمعدة والسلج إذا أكل ولم يستحكم نضجه عسر انهضامه، وولد نفخا وأضّر بالمعدة، وربما ولد فيها لذعا. وكذلك الباذورج والطرخون أيضا، والفجل يوّلد الرياح، ويكثر الجشأ، ويطفو في رأس المعدة، ويعسر انهضامه، والكرنب يطفىء الانهضام، لاجتماع الرطوبة فيه، واللبن سريع الاستحالة في المعدة و (يبطئ) في المعدة الحارة والعسل من أكثر منه لذع المعدة وغثي، والجبن غليظ عسر الانهضام. والسمن مرّطب للمعدة، مرخ لها والأدمغة عنها رديئة للمعدة. وخاصتها إذهاب شهوة الطعام، وكذلك المخ، وخاصة لحم الحمار الأهلي الذي يلقي الأضرار بالمعدة وأنه يغثي، وخاصة العينين، تلطخ المعدة لدسمها، والنبيذ الحديث الغليظ يسرع الحموضة في المعدة، والسمط سريع الاستحالة في المعدة، ولذلك يعطّش وكذلك البطيخ، والأطرية والترمس، والبصل، والخروب، بطيئة الانحدار عن المعدة و (.....) كفا بنا في المعدة، وفي أقل هذا الذي أودعناه كفاية".(٢٢)

٢- أبو زيد البلخي (ت: ٣٢٢هـ)

بيّن "البلخي" في كتابه مصالح الأبدان والأنفس أهمية حفظ الصحة على الجسم والنفس،

فقد ضمّن كتابه مقالتين:

الأولى: في تدبير مصالح الأبدان وهي تضم أربعة عشر بابًا، ثلاثة عشر منهم في حفظ الصحة والرابع عشر في تدبير إعادة الصحة.

والثانية: في تدبير مصالح الأنفس وهي ثمانية أبواب، منها بابين أحدهما في تدبير حفظ صحة الأنفس عليها، والثاني في تدبير إعادة صحة الأنفس إليها.

فنجده في الباب الخامس من المقالة الأولى يتناول "البلخي" تدبير المطاعم فيتحدث عن الحاجة إلى الغذاء" إنَّ أَولى الأشياءِ التي يجبُ على المعنيَ بمصالحِ بدنه صرف أبلغِ الاهتمام والعناية منه إليها حتى يكمل صوابُ التدبيرِ فيه أمرُ الغذاءِ؛ لأنَّهُ لا سبيل للإنسانِ ولا لغيره من سائر الحيوان إلى بقاءٍ في هذا العالم بغير اغتذاءٍ، فمتى عَدِمَ الحي الغذاء ألبتَّة هلك وانحل التركيبُ، ومتى اغتذى بغذاء غير موافقٍ له في طبيعته ومزاجِ ببدنه سَقِمَ، وكثيرًا ما يؤدِّيْهِ سقمُهُ إلى التلفِ إنْ أزمَنَ وامتدَّتْ أيامُهُ عليهِ ولم يبادرْ بالعلاجِ منه.

ومتى جرى تدبيرُهُ على الصوابِ في أمرِ غذائِهِ بتناولِهِ منه القدرَ الذي يَحتاجُ إليه، ولم يَمنعْ بَدنَهُ منه الكفايةَ، ولم يزد عليها، سَلِمَ من أكثرِ العللِ والأعراضِ مدة حياته بإذنِ الله ومشيئته"، ويذكر العديد من الأغذية التي يتغذى بها الإنسان كاللحوم والألبان والبيض والحبوب والفواكه والثمار والبقول، وصنعة الطعام، وأوقات الطعام، وألوان الطعام عند التقديم الأكل، وتدبير أحوال الطعام.

وفي الباب السادس من نفس المقالة: تدبير الشراب: يتحدث "البلخي" عن عامة الشراب فيقول:"إنَّ الحاجةَ إلى الشرابِ تَقترِنُ بالحاجةِ إلى الطُّعْمِ، ولا يَقومُ أحدُهما ولا يَكمُلُ فِعله إلاّ بالآخرِ؛ لأنَّ الطعامَ عامَّتَهُ جِسمٌ أرضيٌّ يحتاج إلى ما يُرقِّقُ أجزاءَهُ، ويُهيِّئُهُ للقوة الهاضمة، حتى تعمل عملها فيه، وتسلمه إلى الكبد فيصير دمًا، ثم يَغذو الكبد بذلك الدم جميع الجسد كما تقدم من وصف ذلك.

ولذلك وجب أن يكون الشرابُ مركبًا للطعامِ، ويكون مائيًا، لا يخالطه شيءٌ أرضيٌ ألبتَّة، فإنَّ العادة قد جرت بأنْ يسمى كل ما يُشرَب شرابًا، وأمَّا بالحقيقةِ فهو الشيءُ الذي إذا طُبِخَ لم ينعقد منه شيءٌ، فصار جميعه بخارًا، مثل الماء والشرابِ المسْكِرِ الرقيق الصافي إذا لم يبقَ له ثُفلٌ ألبتَّة، فأما ما يَبقى له ثُفلٌ أو يَنعقدُ منه شيءٌ إذا طُبخَ فهو إلى الطعام أقربُ منه إلى الشرابِ، مثلُ اللَّبَنِ الذي يُسمى شرابًا وهو طعامٌ وشرابٌ، ولو لم يكن كذلك لما كان يتركب منه أجسادُ الأطفالِ الذين غِذاؤُهم الأوَّلُ منه، ومنه تتركب لحومهم وعظامهم، وكذلك قد تُتَّخَذُ منه الأجسادُ الكثيرةُ بالصنعَةِ، مِثلُ الجبن والمصلِ وغيرِهما، وهكذا طبيخ العنب ورُبوبُ جميع الفواكه، فإنَّهُ يُتَّخذُ منها أطعمة كثيرة، فلذلك يجبُ أنْ يكونَ كلٌّ منها إلى الطعامِ أقربَ منه إلى الشرابِ، والرُّبوبُ كلُّها تَغذو/ الجسم الأرضيَّ، والماءُ والشرابُ الصافي لا يغذوان الجسدَ.

وأصلُ الأشربةِ كلِّها الماء الذي جعله الله تعالى قوامًا لحياة كل ما أنشأه في هذا العالم، وهو شراب مشترك لجميع الحيوان لا يستغني عنه شيءٌ منها في قِوامِ حياته".

ثم يفرد مبحثًا خاصًا للشراب العنبي الرقيق الذي يسكر وطبيعته ومنافعه ومضاره، ثم ينتقل إلى أنواع الشراب، ومزاج الشراب، وأوقات الشراب وتقدير ما يؤخذ منها، والحالات التي يجب أن يختار للشرب أو يتجنب فيها وكيفية الشراب.[٢٣]

٤- ابن سينا (ت:٤٢٧هـ):

قد حدد "ابن سينا" في قانونه الجامع في الطب، اثني عشر منتوجًا غذائيًا، تقي في مجموعها من خلل الأعضاء في أداء وظائفها المختلفة، وكانت تلك المنتوجات، هي "حبوب القمح"، و"اللبن منزوع الدسم"، و"الزيت الطيب"، و"العنب البكر" -المعروف في مصر بالعنب النباتى- و"زيت السمك"، و"ثمرة الأفوكادو" - التي تنبت في فارس وبلاد ما وراء النهر "آسيا الوسطى" والأندلس- و"البصل" و"الثوم المطهوين"، و"اللحم الأحمر"، و"البطاطا"، و"السمك المشوي"، و"عشبة الريحان"، و"ثمرة الزنجبيل".[٢٤]

- تغذية الاطفال عند ابن سينا:

يرى ابن سينا أن يكتفي بإرضاعه في اليوم مرتين أو ثلاثًا، ولا يبدأ في أول الأمر إرضاعه بإرضاع كثيرٍ على أنه يستحب أنه تكون من ترضعه في أول الأمر غير أمه حتى يعتدل مزاج أمه، والأجود أن يلعق عسلاً ثم يرضع. وبعد أن يبتدأ في تدبير الطفل... فيتغذى باللبن، فإن غذاءه الذي أعد له اللبن، وقال بعض الأطباء، لا ينبغي أن ترضع الطفل أمه حتى تأتي له ثلاثة أيام أو أربعة، ويرضع في اليوم مرتين أو ثلاثة لا يزاد عليها إلى أن تستمرئه معدته، ويقدر على الغذاء، فإن كثرة الرضاع في هذا الوقت غير نافعة، بالنسبة لإرضاع الطفل من أمه خلال ثلاثة الأيام الأولى هناك رأيان اليوم: رأي يؤكد ضرورة إرضاعه، ليستفيد من إفرازات الثدي (اللباء) الحاوية على بعض عناصر المناعة ضد الأمراض، وبعض المواد الغذائية التي لا تخلو من فائدة للطفل.

أما الرأي الآخر فينصح أصحابه وهم قلة، بعدم إرضاعه، وذلك لاحتواء اللباء على هرمونات أنثوية مكثفة، التي قد تزيد في احتمال انحلال كريات الدم الحمراء، وتؤدي إلى زيادة ترسب البيليروبين في الأنسجة، ومن ثم تؤدي إلى زيادة اليرقان الفسلجي الذي يحدث لدى بعض الأطفال، إلا أننا على الرغم من ذلك نرجح الرأي القائل بضرورة إعطاء الطفل ثدي أمه منذ الأيام الأولى. ويرى البعض أن يغذى يومين بسكر مدقوق ناعمًا مع دهن شيرج (السمسم).

ولا شك في أن غايتهم من إعطاء العسل أو السكر تفريغ مادة الميكونيوم (العقي) من أمعاء الطفل أولاً، وتغذيه حتى مجيء حليب الأم بصورة كاملة، ونحن اليوم نعطيه نصف الكلوكوز (سكر العنب) مع الماء للغرض نفسه[٢٥]

٥- صناعة الدواء من الغذاء:

كان هناك من العلماء المسلمين، من برع في تصنيع المواد الغذائية، وجعل منه أدوية تستخدم في علاج المرضى، وكان من مقدمة هؤلاء الطبيب "أبي نصر العطار" في كتابه الهام "منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان"،[٢٦] حيث ذكر المؤلف في مقدمة هذا الكتاب، ما يتضمنه كتابه

من فصول وأبواب من ذلك "قانون عمل الأشربة وطبخها والسفوفات ودقها والمراهم وطبخها"، وهذه المصنوعات الصيدلانية تدخل الأغذية في تركيبها كمواد بسيطة مفردة أو مركبة لينتج عنها دواءً مفردًا كان أو مركبًا، وأيضًا الطبيب "ابن العديم" في كتابه بعنوان "الوصلة إلي الحبيب في وصف الطيبات والطيب"[٢٧]، وهو واحد من الكتب الطبية، التي ألفت في الغذاء والطب والصيدلة، معتمدًا علي الوصفات الغذائية، التي أحسن صنعها علماؤنا العرب، وتوجد محاولات علاجية لتقليدها في صناعة الأدوية في عصرنا هذا، فما يسمي بالطب البديل[٢٨].

نتائج الدراسة:

تمخضت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- أهمية تحديد المفاهيم الأساسية التي لها علاقة بعلم التغذية، فتعدد المصطلحات قد يخل بالمفهوم العام لتحديد أنواع الأغذية وعلاقتها بالدواء والوقاية للإنسان.

- التوصل إلى معرفة أهمية علم الغذاء عند أطباء المسلمين في القرون الهجرية الأولى، حيث أضحت الأغذية وأنواعها مصدر للتجارب وهاجسا للوصول إلى غذاء دوائي مستدام يتماشى وصحة الإنسان.

- الإنتاج الثقافي من مخطوطات وكتب في علم الغذاء كدواء التي أثنى عليها مجموعة من أطباء وعلماء في مشارق ومغارب البلاد الإسلامية، دليل على التحصيل العلمي والإرث الفكري الطبي الذي كانت تزخر به حضارتنا الإسلامية.

- أمكن التوصل أن حقيقة الطب الغذائي الحديث والمعاصر إنما هو امتداد للطب الغذائي الإسلامي، وذلك لما أفضت إليه مجموع التجارب والخبرات لعلماء وأطباء مسلمين عكفوا على بناء منظومة صحية غذائية متكاملة مستوحاة من الطبيعة الغذائية.

توصية:

أوصي القائمين ذوي الاختصاص من أهل الطب والصيدلة في المعاهد العلمية والجامعات والمراكز البحثية تطبيق مقاربة تجسيرية في الغذاء الصحي على أساس العودة إلى التجارب ممن سبقونا من علماء وأطباء المسلمين، ذلك قد يساعد على وضع منظومة غذائية صحية تتماشى وصحة الإنسان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

١. **أحمد شوقي الفنجري، الإسلام وعلم التغذية، شبكة الألوكة، ٢٠١٤.**
٢. **سورة الأعراف، الآية: ٣١.**
٣. **سورة عبس، الآية: ٢٤.**
٤. **سورة الكهف، الآية: ١٩.**
٥. **سورة المائدة، الآية: ٣.**
٦. **سورة البقرة، الآية: ١٨٣.**
٧. **معز الإسلام عزت فارس، الغذاء في القرآن الكريم من منظور علم التغذية الحديث، مركز النشر العلمي والترجمة، جامعة حائل، ٢٠١٥، صص٨-٩.**

٨. الترمذي محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، كتاب المقدمات، باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات، رقم الحديث: ٢٣٨٠.

٩. عبد المحسن بن الحماد، شرح الأربعين النووية، ج٢، د.ت، ص٣٦.

١٠. النيسابوري، أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ١٩٩١، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم الحديث: ٢٦٦٤.

١١. البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح البخاري" الجامع المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، المحقق: محمد زهير ابن ناصر الناصر، ط١، دار طوق الحياة، دمشق، ١٤٢٢هـ، كتاب الرفق، باب لا عيش إلا عيش الاخرة، رقم الحديث: ٦٠٤٩.

١٢. السجستاني، أبي داود سليمان، سنن أبي داود، تحقيق: الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠٠٩، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، رقم الحديث: ٣٨٥٥.

١٣. صحيح مسلم، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، رقم الحديث: ٢٠١٢.

١٤. صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، رقم الحديث: ٥٦٨٨.

١٥. ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٦، ج٢/٢٨٤.

١٦. عبد الرحمن عبيد عوض مصيقر، الغذاء والتغذية، جمعية التغذية العربية، البحرين، ١٩٩٩، صص١٧-١٨.

١٧. عبد الرحمن عبيد عوض مصيقر، المرجع السابق، ص١٩.

١٨. معز الإسلام عزت فارس، المرجع السابق، صص٣٦-٣٧.

١٩. ابن الرازي، أبي بكر محمد بن زكريا، المنصوري في الطب، ط١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ١٤٠٨-١٩٨٧ صص٢٠٤-٢١٦.

٢٠. ابن الرازي، أبي بكر محمد بن زكريا، منافع الاغذية ودفع مضارها، ط١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥هـ، صص٢- ٤.

٢١. طبيب يوناني نشأ وترعرع في قرية قليقية السورية حوالي عام ٤٠م، له عدة مؤلفات في الطب النباتي منها كتاب الحشائش أو كتاب خمس مقالات، توفي

عام ٨٠م.ينظر:

John M.Riddle, Dioscorides on pharmacy and medicine, First edition, Astin, University of Texas Press, USA, ١٩٨٥, VXII, VXIII, XIX, XX, XXI.

٢٢. ابن الجزار القيرواني، أحمد بن ابراهيم ابن أبي خالد، كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها، تحقيق: سلمان قطابة، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، صص٢٢١-٢٢٤.

٢٣. البلخي أبو زيد، مصالح الأبدان والأنفس، حققه وقدمه: محمود المصري، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، صص١٢٤-١٦٨.

٢٤. محمد زغلول عامر، التغذية العلاجية عند ابن سينا، مجلة حراء، العدد ٩١، مارس ٢٠٢٣.

٢٥. ابن الجزار القيرواني، سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨، ص٧٢.، ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص ١٨٢.

٢٦. ينظر: أبي نصر العطار الهاروني، منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان، المطبعة اليوسفية، مصر، د.ت.

٢٧. ابن العديم الحلبي، الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، تحقيق: سليمى محجوب، دريـة الخطيب، منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦.

٢٨. خلف أحمد محمود أبو زيد، الغذاء والدواء عند العلماء المسلمين، مجلة حراء، العدد ٧٦، مارس ٢٠٢٠.

المصادر والمراجع

* القران الكريم، برواية عن حفص

- ابن الجزار القيرواني، أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد، كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها، تحقيق: سلمان قطابة، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.
- ابن الجزار القيرواني، سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨، ص٧٢.، ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص
- ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٦
- ابن الرازي، أبي بكر محمد بن زكريا، المنصوري في الطب، ط١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ١٤٠٨-١٩٨٧
- ابن الرازي، أبي بكر محمد بن زكريا، منافع الاغذية ودفع مضارها، ط١،

المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥هـ.

- ابن العديم الحلبي، الوصلة إلي الحبيب في وصف الطيبات والطيب، تحقيق: سليمى محجوب، دريـة الخطيب، منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦.
- ابـي نصر العطار الهاروني، منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان، المطبعة اليوسفية، مصر، د.ت.
- أحمد شوقي الفنجري، الإسلام وعلم التغذية، شبكة الالوكة، ٢٠١٤.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح البخاري" الجامع المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق الحياة، دمشق، ١٤٢٢هـ.
- البلخي أبو زيد، مصالح الأبدان والأنفس، حققه وقدمه: محمود المصري، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠٠٥
- الترمذي محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، ط١،ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- السجستاني، أبي داود سليمان، سنن أبي داود، تحقيق: الارنؤوط، محمد كامل قره بللي، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠٠٩.
- النيسابوري، أبـي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ١٩٩١.
- خلف أحمد محمود أبو زيد، الغذاء والدواء عند العلماء المسلمين، مجلة حراء، العدد ٧٦، مارس ٢٠٢٠.
- عبد الرحمن عبيد عوض مصيقر، الغذاء والتغذية، جمعية التغذية العربية، البحرين، ١٩٩٩.
- عبد المحسن بن الحماد، شرح الأربعين النووية، ج٢، د.ت.
- محمد زغلول عامر، التغذية العلاجية عند ابن سينا، مجلة حراء، العدد ٩١، مارس ٢٠٢٣.
- معز الإسلام عزت فارس، الغذاء في القران الكريم من منظور علم التغذية الحديث، مركز النشر العلمي والترجمة، جامعة حائل، ٢٠١٥.
- John M.Riddle, Dioscorides on pharmacy and medicine, Firstedition,Astin,University of Texas Press, USA, ١٩٨٥.

مَسَائِلُ مِنْ كِتَابِ الإِجْمَاعِ

تأليف

أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق

المالقي الأوسي

يعرف بابن المرأة (ت: ٦١١ هـ)

مسائل من كتاب الإجماع

تقديم وتحقيق:

د. الحسن حدوشان

دكتوراه في الفقه وأصوله

دار الحديث الحسنية - المغرب

[قسم الدراسة]

الفصل الأول: التعريف بالمؤلّف

المبحث الأول: نبذة عن حياة المؤلف

- **اسمه ونسبه:**

اتفقت الكتب التي ترجمت لابن دهاق في اسمه وكنيته ونسبه وكذلك في الاسم الذي اشتهر به؛ فالمصادر التي ترجمت له ذكرت أنه: إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي، يكنى أبا إسحاق ويعرف بابن المرأة[١]. ولم تذكر أي من هذه المصادر، التي اطلعت عليها، ضبطا لتسميته بابن دهاق، ولا سبب نسبته إلى هذا الاسم، ولا سب شهرته بابن المرأة.

- **تنقله بين البلدان والمدن:**

ذكرت المصادر التي ترجمت لابن المرأة أن أصله من مالقة، وسكن هذه المدينة دهرا طويلا، وكان يتجر فيها بسوق الغزل[٢]، ثم انتقل إلى مرسية، باستدعاء المحدّث أبي الفضل المرسي والقاضي أبي بكر ابن محرز[٣].

وذكر ابن القاضي المكناسي في الجذوة أنه تجول ودخل مدينة فاس، ثم قال: « وخبر دخوله مدينة فاس تلقيته من شيخنا أبي العباس المنجور، ولم أقف عليه لغيره، رحمة الله عليه، والله أعلم»[٤]. وسيأتي في ذكر شيوخه أنه روى عن أبي الحسن ابن حنين وابن حرزهم الموطأ؛ ومن المعلوم أن ابن حنين ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة (٤٧٦ هـ)، ثم حج المرة الأولى سنة خمسمائة (٥٠٠ ه)، أي أنه خرج من الأندلس وعمره أربع وعشرون عاما. وفي هذه الفترة صحب بمكة أبا حامد الغزالي، وسمِعَ منه أكثَرَ "الموَطَّإ" روايةَ ابن بُكَيْر[٥].

وقد ذكر صاحب الذيل والتكملة أن ابن حنين قَفَلَ إلى المغرِب فلَقيَ بتِلمسان أبا بحرٍ الأسَديَّ ورَوى عنه، ثم وَرَدَ مدينةَ فاسَ في غُرّة رَمَضانِ ثلاثٍ وخمس مئة ابنَ ثمانٍ وعشرينَ سنةً، والتزَمَ الإمامةَ بمسجدِه والإقراءَ فيه ستًّا وستينَ سنة، إلى أن توفِّي عَفَا الله عنه في عَقِبِ رجَبِ تسع وستينَ وخمس

---

(١) تنظر ترجمته في التكملة ١٤٠/١، والإحاطة ١٦٨/١، والوافي بالوفيات ١١٠/٦، والديباج لابن فرحون ٢٧٣/١، وشجرة النور الزكية ٢٤٨/١، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ١٥٣/١.

(٢) الإحاطة ١٦٨/١.

(٣) الإحاطة ١٦٨/١.

(٤) جذوة الاقتباس ٩٠، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ١٥٣/١.

(٥) الذيل والتكملة ١٢٦/٣.

مئة (٥٦٩ هـ)[١].

ويتَّضحُ مما ذُكر أن ابن المرأة قد يكُون دخل فاس وهُنالك أخذ عن ابن حنين، لأنّه يُستبعد أن يكون أخذ عنه بالأندلس قبل خُرُوجه إلى الحجّ، لأن ابن حنين، كما ذكرنا، كان حينها صغير السن؛ كما أن ابن المرأة توفي سنة (٦١١ هـ)، ويبعد أن يكون أخذ عنه قبل مطلع المائة الخامسة؛ إلا أن يكون ابنُ حنين دخل الأندلس بعد رُجُوعه من الحج، هو وابنُ حرزهم، لأن ابن حرزهم دخل اشبيلية وأخذ عنه جماعة[٢].

وذكرت المصادر المترجمة لابن المرأة أنه دخل أيضا تلمسان، وأخذ هناك عن أبي عبد الله الشوذي، المعروف بالحلوي. وسيأتي ذكر بعض التفاصيل عن هذا الأمر عند الحديث عن شيوخ ابن المرأة. وذكر صاحب بغية الرواد أن ابن المرأة خرج أيضا إلى تونس بوصية شيخه أبي عبد الله الشوذي، ثم رجع إلى تلمسان[٣].

فهذه المصادر والنقول تبين أن ابن المرأة كان كثير التنقل بين البلدان تعلما وتعليما، وهو ما أشار إليه صاحب التكملة بقوله: "وتجول أحيانا ودرس في غير ما بلد"[٤].

ولم تذكر المصادر شيئا من عائلته إلا ما ذكر هو في رحلته إلى تلمسان، وهو أنه سافر لصلة عمته.

- **وفاته:**

عاش أبو إسحاق ابن المرأة في القرن السادس الهجري ومطلع القرن السابع؛ وإذا افترضنا أنه ولد في النصف الأول من القرن السادس فإنه كان معاصرا لبداية نشأة الدولة الموحدية، وعاصر على الأقل أربعة من سلاطينها متنقلا بين البلدان التي كانت خاضعة لهم. وذكر صاحب التكملة أن ابن المرأة أمضى بقية عمره بمرسية مدرسا للعلوم، يُناظر عليه ويتحلق إليه إلى أن توفي بها في صدر سنة إحدى عشرة وستمائة (٦١١ هـ)[٥]. وقد اتفقت معظم المصادر على تأريخ سنة وفاته بما ذكره ابن الأبار. وذكر صاحب الديباج نقلا عن ابن الزبير أنه توفي بعد سنة عشر وستمائة[٦]؛ وخالفهم صاحب إيضاح المكنون، فذكر أنه توفي سنة ٦١٦ هـ، وكذلك قال صاحب هدية العارفين[٧]. والراجح ما ذكر أنه توفي سنة ٦١١ هـ، كما ذهبت إليه معظم المصادر.

---

(١) الذيل والتكملة ١٢٦/٣.

(٢) التكملة ٢٤٤/٣.

(٣) بغية الرواد، ص: ٦٨.

(٤) التكملة ١٤٠/١.

(٥) التكملة ١٤٠/١، والوافي بالوفيات ١١٠/٦.

(٦) الديباج ٢٧٤/١.

(٧) إيضاح المكنون ٤٧٦/٤، وهدية العارفين ١١/١.

المبحث الثاني: شيوخه وتلامذته

- **شيوخ ابن دهاق وأصحابه:**

لم تذكر المصادر التي ترجمت لابن دهاق أنه أخذ عن كثير من الشيوخ، فصاحب التكملة اقتصر على اثنين وتبعه على ذلك غير واحد، وهما: أبو الحسن بن حنين وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم. وذكر أنه حدث عنهما بالموطإ وغيره.

١- **أبو الحسن ابن حنين، علي بن أحمد بن أبي بكر الكتامي:** روى عنه الموطأ وحدث به عنه[١]. وقد سبقت الإشارة إلى الخبر الذي نقله ابن القاضي المكناسي عن أبي العباس المنجور أن ابن دهاق دخل فاس، وبينت هناك أن الراجح أنه دخل فاس وهناك أخذ عنه، لأن ابن حنين كما ذُكر دخل فاس بعد حجه فظل فيها إلى أن توفي، إلا أن يكون ابن حنين دخل مرة أخرى إلى الأندلس، ولكن المصادر لم تذك شيئا من ذلك.

وسبقت الإشارة كذلك إلى أن ابن حنين أخذ عن الغزالي وسمع منه موطأ مالك[٢]، وهذا يعني أن ابن حنين واسطة بين ابن دهاق والغزالي، وسيأتي أن ابن دهاق كان يحفظ كتبا، منها كتاب الإحياء.

وفي شجرة النور الزكية: "روى عن أبي الحسن بن حبيش"[٣]. ويبدو أنه تصحيف عن ابن حنين

٢- **أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم الفاسي:** العلم المشهور، روى عنه أيضا ابن دهاق الموطأ وحدث به عنه[٤]. وذكر أهل التراجم أنه دخل اشبيلية وأخذ عنه جماعة[٥]. فيحتمل أن يكون أخذ عنه عند دخوله، أو يكون أخذ عنه بفاس، كما تقدم عند ابن حنين. وهناك أمر يتشابه فيه أبو الحسن ابن حرزهم وأبو عبد الله الشوذي الآتي، أنهما سلكا معا طريق الملامتية[٦]، وهو أمر أخذه عنهما ابن دهاق وتأثر بهما فيه، وأنكره عليه العلماء كما سيأتي أثناء الحديث عن تصوفه.

٣- **أبو الفضل المرسي وأبو بكر بن محرز:** ومن الأعلام المذكورين، الذين كانت لهم علاقة بابن دهاق، علمان اثنان، وهما: المحدّث أبو الفضل المرسي، والد شرف الدِّيْنِ أَبي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي الفَضْلِ السُّلَمِيّ المُرْسِيّ. وسيأتي أن شرف الدين من الذين أخذوا عن ابن دهاق، ويبدو أن شهرته أكبر من شهرة والده.

أما الثاني فهو القاضي أبو بكر بن محرز؛ وهو كما في التكملة: "مُحَمَّد بن مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن عَبْد

(١) التكملة ١/١٤٠، والوافي بالوفيات ٦/١١٠.

(٢) الذيل والتكملة ٣/١٢٦، وجذوة الاقتباس ٢/٤٨٠.

(٣) شجرة النور الزكية ١/٢٤٨.

(٤) التكملة ١/١٤٠، والوافي بالوفيات ٦/١١٠، وشجرة النور ١/٢٣٤.

(٥) التكملة ٣/٢٤٤.

(٦) الروض العطر الأنفاس، ص: ٥٨، وينظر: "الشوذية حلقة مفقودة في التصوف الأندلسي"، ص: ٥٧-٥٨.

الرَّحْمَن بن سُلَيْمَان الزُّهْرِيّ من أهل بلنسية يكنى أَبَا بكر وَيعرف بِابْن مُحرز". وذكر من أوصافه أنه كان أحد رجال الْكَمَال علما وإدراكا وفصاحة، مَعَ الْحِفْظ بالفقه والتفنن فِي الْعُلُوم والمتانة فِي الْآدَاب وَحفظ اللُّغَات والغريب، وَله شعر رائق بديع. وذكر أن وفاته ببجاية فِي الثَّامِن عشر لشوال سنة خمس وَخمسين وسِتمِائَة (٦٥٥ هـ)عَن سنّ عالية[١]. وترجم له أيضا في تحفة القادم[٢].

وذكر صاحب نفح الطيب أنه اجتاز على مرسية وغيرها من المدن، وأخذ الناس عليه بها، فيكون استدعاؤه لابن ادهاق في هذه الفترة. وذكر أنه ولد سنة ٥٢٩ هـ، ويبدو أنه وهم وخلط بينه وبين والده، فالمصادر تذكر أن أبا بكر ولد سنة ٥٦٩ هـ، كما أن صاحب التكملة ترجم لأبي عبد الله، أي والده فذكر أنه ولد سنة سبع أَو ثَمَان وَعشْرين وَخَمْسمِائة[٣].

وقد اقتصرت المصادر على ذكر خبر، وهو أنهما استدعيا ابن دهاق للقدوم من مالقة إلى مرسية؛ ولم تذكر هذه المصادر سبب استدعائه ولا زمان ذلك؛ ولكن يمكن معرفة أنه كان بعد سنة تسعين وخمسمائة (٥٩٠ هـ)، من خلال خبر ذكره الذهبي، وهو أن أبا عبد الله المرسي ارتحل إلى مالقة سنة تسعين، فقرأ على ابن المرأة[٤]. أي أن خروجه إلى مرسية كان بعد سنة تسعين وخمسمائة، لأنه ظل فيها إلى وفاته كما تقدم ذكره.

كما أن هذه المصادر لم تتكلم عن طبيعة العلاقة العلمية التي كانت بين هؤلاء الثلاثة، فيحتمل أن يكون الاستدعاء بعد معرفة مقام ابن دهاق واشتهاره، خاصة أنه كان بعد سنة تسعين، وقد وصفه أبو عبد الله المرسي بأنه لم يكن بالأندلس في فنه مثله، يقوم بعلم التفسير وعلوم الصوفية[٥]؛ فيكون الغرض الاستفادة من علمه. يضاف إلى هذا أمر آخر، وهو أن مدينة مرسية في هذا الوقت كانت مركزا للتصوف، فكان استدعاؤه إلى هذه المدينة بناء على ما اشتهر به ابن دهاق من الاشتغال بهذا العلم ونشره في مجالسه.

ويبدو أن العلاقة العلمية لم تطل بين هؤلاء الثلاثة، فقد تبرأ من ابن دهاق من كان استدعاه إلى مرسية، حسب ما ذكره صاحب الإحاطة نقلا عن ابن الزبير، وذلك بسب أن ابن دهاق كان صاحب حيل ونوادر مستظرفة، يلهي بها أصحابه، وربما رأوا منه أمورا من المرتكبات الشّنيعة التي يمنعها الشرع. ونقل عنه كذلك أن القاضي أبا بكر بن المرابط[٦] نافره بسبب ما شاهد منه[٧]. وقد وصف ابنُ

(١) التكملة ١٥٣/٢-١٥٤.

(٢) تحفة القادم، ص: ٢٥١.

(٣) نفح الطيب ٦٦/٢، والتكملة ٩١/٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣١٥/٢٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣١٥/٢٣.

(٦) يحيى بن أحمد بن عبد الرحمن بن ظافر بن إبراهيم بن أحمد ابن أمية بن أحمد بن المرابط المرادي الأريولي أبو بكر. توفي بمالقة سنة ٦٥٨ هـ. صلة الصلة ٤١٦/٣-٤١٧، وبغية الوعاة ٣٣٠/٢.

(٧) الإحاطة ١٦٨/١، والديباج ٢٧٣/١.

الزبير ابن المرابط، فقال: "وكان الشيخ أبو بكر رحمه الله من جلة من أخذنا عنه عدالة وفضلا وتمسكا بالسنة"[١]. فالغالب أن كل ما ذكره ابن الزبير من وصم ابن دهاق إنما كان رواية عن أبي بكر هذا.

٤- أبو عبد الله الشوذي الحلوي: ومن الأعلام المشهورين الذين أخذ عنهم ابن دهاق وكان لهم الأثر الكبير في تكوين شخصيته الصوفية: أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي التلمساني المعروف بالحلوي صاحب المدرسة الشوذية في التصوف. وصفه صاحب بغية الرواد بإمام العارفين وتاج الأولياء المحققين وسيد الصالحين[٢]. وكان له الأثر الكبير في تطور علم التصوف ومذهب الوجود المطلق في تلمسان والأندلس[٣].

ويبدو أن هذا العَلَم تم إهماله في مصادر التراجم، ولا نكاد نعرف شيئا من حياته وعلمه إلا ما يذكره عنه تلميذه ابن دهاق. ولعل السبب في هذا الإهمال هو توجهه في مزج التصوف بالفلسفة هو وطائفة من متصوفة الأندلس، فحمل عليهم فقهاء الأندلس بسبب ذلك[٤]. يضاف إلى ذلك أنه آثر الخمول وفر إلى تلمسان في زي المجانين فانقطعت أخباره[٥].

ولعل تَتَلْمُذ ابن دهاق على الشوذي كان من باب المصادفة، وذلك أن سبب سفر ابن دهاق إلى تلمسان هو صلة عمة له هناك، فرآى شيخه الشوذي في أحد الأسواق وتفرس فيه مخائل القوم، حسبما ذكره صاحب بغية الرواد[٦]. وسيأتي مزيد من التفصيل عن هذا اللقاء عند الحديث عن تصوف ابن دهاق. وقد ذكر أن الشوذي توفي بتلمسان، وقبره خارج باب علي[٧].

٥- أبو عثمان سعيد بن عبد الله، المعروف بالجمل: من أصحاب ابن دهاق، والصُّحبة تقتضي الاستفادة والإفادة العلمية؛ وقد ذكره صاحب عنوان الدراية، ووصفه بالعالم المحصل المحقق[٨]. ويتضح من العلوم التي اختص بها أن هناك تشابها بينه وبين ابن دهاق، فقد كان له علم بأصول الدين وأصول الفقه والتصوف، وكان نافذ النظر في أصول الدين، وهو أعظم علومه.

- **تلامذة ابن دهاق:**

سبقت الإشارة في الحديث عن شيوخ ابن دهاق إلى أن المصادر التي ترجمت له لم تذكر كثيرا من

(١) صلة الصلة ٤١٧/٣.

(٢) بغية الرواد، ص: ٦٥، والبستان، ص: ٦٨.

(3) Journeying from the apparent to Absolute Being: Ibn Sabʿīn and his predecessors, Carlos Berbil Ceballos

(٤) المدرسة الشوذية، مجلة المعهد المصري، ع ٢٣، ص: ١٧٦.

(٥) بغية الرواد، ص: ٦٧.

(٦) بغية الرواد، ص: ٦٥، والبستان، ص: ٦٨.

(٧) بغية الرواد، ص: ٦٨، والبستان، ص: ٧٠.

(٨) عنوان الدراية، ص: ٢٢٥.

الشيوخ، وكذلك يقال في التلاميذ الذين أخذوا عنه، فقد اقتصرت على عدد قليل منهم. ولكن هناك عبارة تكررت عند الكثير من الذين ترجموا لابن دهاق، وهي: أن العامة كانت حزبه[١]، وقال في الإحاطة: "وكان بحرا للجمهور بمالقة ومرسية"[٢]. ولعل ما يفسر إقبال العامة عليه ما ذكره ابن الخطيب في وصف أخلاقه ومنهجه وطريقته في التعليم، إذ قال: وكان بحرا للجمهور بمالقة ومرسية، بارعا في ذلك، متفنّنا له، متقدّما فيه، حسن الفهم لما يلقيه، له وثوب على التمثيل والتّشبيه، فيما يقرب للفهم، مؤثرا للخمول، قريبا من كل أحد، حسن العشرة، مؤثرا بما لديه[٣].

إلا أن المترجمين له لم يذكروا من الذين أخذوا عنه إلا ثلاثة مشهورين: اثنان أخذا عنه مباشرة، والثالث بالواسطة، وهم: أبو عبد الله بن أحلى، وأبو محمد عبد الرحمن بن وصلة[٤]، وعبد الحق ابن سبعين[٥].

١- **أبو عبد الله، محمدُ بن عليّ بن أحلَى الأنصاريُّ، لُوْرْقيٌّ:** من التلاميذ الذين ظهر فيهم أثر ابن دهاق، فقد أَخَذَ عنه عِلمَ الكلام، حتى صار من المتكلمين، وأخذ عنه أيضا المذهب الصوفي حتى صار داعيةً إلى اعتقادِ مذهبِ الشّوذيِّ ناصرًا له حاملاً عليه، وعنهُ انتشَرَ واشتُهِر؛ بل إن صاحب الذيل والتكملة ذكر أنه صنف فيه وصنَّف في التفسير على طريقتِه وفي العقائدِ مصنَّفاتٍ كثيرةً: العقيدتانِ: الكبرى والصُّغرى؛ ودرَّس علمَ الكلام. مَوْلدُه بلُوْرْقةَ سنةَ ثمانينَ وخمسِ مئة، وتوفِّي في شعبانِ خمس وأربعينَ وست مئة (٥٤٦ هـ)[٦].

ويدل على هذا الأثر الكبير ما ذكره الذين ترجموا له، خاصة ابن الزبير وابن عبد الملك، حيث ذكرا أن محمدُ بن أحلَى قد لَزِمَ بمُرْسِيَةَ ابن دهاقٍ، ونقَلَ عنهُ مذهبَ ابتداعٍ لم يُسْبَقْ إليه، مما اضطر ابن الزبير إلى تأليف رد عليه سماه "رَدْع الجاهل عن اعتسافِ المَجَاهل"[٧]. وسيأتي المزيد من التفصيل عن هذا الأمر عند الحديث عن تصوف ابن المرأة.

٢- **أبو محمد عبد الرحمن بن وصلة:** ذكره ابن الخطيب من الذين أخذوا عن ابن دهاق[٨].

٣- **أبو محمد عبد الحق بن برطلة الأزدي:** من أهل مرسية وبيته عريق في العلم والعدالة والفضل والجلالة، العالم العلامة الإمام المحدّث الراولة الفهّامة. ذكره أهل التراجم من ضمن الذين أخذوا عن

(١) التكملة ١٤٠/١، والوافي بالوفيات ١١٠/٦.

(٢) الإحاطة ١٦٨/١.

(٣) الإحاطة ١٦٨/١.

(٤) الإحاطة ١٦٨/١.

(٥) الإحاطة ٢١/٤.

(٦) الذيل والتكملة ٤٧٩/٤.

(٧) الذيل والتكملة ٤٧٩/٤، والعقد الثمين ج٧/٥.

(٨) الإحاطة ١٦٨/١، والاعلام بمن حل مراكش ١٥٣/١.

ابن دهاق[١]. وذكر صاحب شجرة النور الزكية خبرا يدل على أنه كانت بينه وبين ابن سبعين علاقة، وهو أنه الذي حمل بيعة أهل مكة، شرّفها الله، لأمير تونس أبي عبد الله المستنصر الحفصي على يد الشيخ أبي محمد عبد الحق بن سبعين، وتلا قصيدة من إنشائه وصل بها تونس، وقرأها في ملأ من الناس بجامع الزيتونة القاضي ابن البراء[٢]. توفي ابن برطلة بتونس سنة (٦٦١هـ).

٤- ابن سبعين: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح ابن سبعين العكّي. ذكر صاحب الإحاطة أنه أخذ التحقيق عن أبي إسحاق بن دهاق، وبرع في طريقة الشّوذية[٣]. والظاهر أن ابن سبعين لم يتتلمذ على ابن دهاق بالأخذ عنه مباشرة لأنه لم يدركه.

ويبدو أن ما ذكر يُقصد به تتلمذه على كتبه كما ذهب إليه بعض الباحثين[٤]. يضاف إلى هذا أن ابن سبعين أخذ عن تلامذة ابن دهاق، فيكون أخذا بالواسطة؛ وقد أشار الفاسي في العقد الثمين، نقلا عن بدر الدين ابن جماعة، إلى أن ما ظهر به ابن سبعين مأخوذ من عقيدة ابن المرأة وابن أحلى[٥].

٥- أبو عبد الله المرسي، الامام العلامة البارع القدوة المفسر المحدث النحوي ذو الفنون، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي الأندلسي[٦]. ذكر الذهبي، نقلا عن ياقوت الحموي، أنه ارتحل إلى مالقة سنة تسعين، فقرأ على أبي إسحاق بن إبراهيم بن يوسف ابن دهاق[٧].

ومن خلال ما ذكره يتضح أنه أخذ عنه علوما كثيرة، خاصة علمي التفسير والتصوف، فذكر عنه أنه قال: "ولم يكن بالأندلس في فنه مثله، يقوم بعلم التفسير وعلوم الصوفية، كان لو قال: هذه الآية تحتمل ألف وجه، قام بها، قال: وما سمعت شيئا إلا حفظته[٨]. ولم تنقطع علاقة أبي عبد الله المرسي بابن المرأة، بل كان يراسله وهو بفاس[٩]. وتوفي سنة ٦٥٥ هـ[١٠].

(١) الديباج ٢٤٧/١، وشجرة النور ٢٨١/١.

(٢) شجرة النور الزكية ٢٨١/١، و١٦٤/٢.

(٣) الإحاطة ٢١/٤.

(٤) المدرسة الشوذية، مجلة المعهد المصري ع٢٣،

(٥) العقد الثمين ٦/٥، وروضة التعريف ٦٠٤/٢.

(٦) سير أعلام النبلاء ٣١٣/٢٣.

(٧) سير أعلام النبلاء ٣١٥/٢٣.

(٨) سير أعلام النبلاء ٣١٥/٢٣.

(٩) سير أعلام النبلاء ٣١٦/٢٣.

(١٠) الوافي بالوفيات ٢٨٣/٣، وبغية الوعاة ١٠٨/١.

الفصل الثاني: مكانته العلمية ومؤلفاته

المبحث الأول: مكانته العلمية

تكلم الذين ترجموا لابن دهاق عن مكانته العلمية بكثير من الثناء والمدح، ووصفوه بأوصاف تدل على تمكنه من مختلف العلوم؛ فصاحب شجرة النور وصفه بالحافظ الإمام المحدث[١]. وقال عنه ابن الأبار: "وكان فقيها حافظا للرأي مشاورا يشارك في الأدب وغلب عليه علم الكلام فرأس فيه واشتهر به"[٢]. وقد تكررت مثل هذه العبارات عند غير واحد من المترجمين لابن دهاق. وهي عبارات تدل على تبحره في مختلف العلوم؛ فقد كان فقيها وحافظا للرأي، وكان يدرس المدونة بتلمسان حسبما أورده صاحب بغية الرواد[٣].

أما علم الكلام فقد كان، بعبارة ابن الخطيب، متقدما في علم الكلام[٤]، وغلب عليه هذا العلم ورأس فيه واشتهر به، كما تقدم عند ابن الأبار. ويدل على تمكُّنه من علم الكلام شرحه للإرشاد لإمام الحرمين، وثناء العلماء على هذا الشرح، ونقل المتأخرين منه كثيرا؛ فقد نقل عنه الزركشي في مسألة الأحوال، وسماه متكلم الأندلس، فقال: "وذهب الأستاذ أبو إسحاق ابن دهاق متكلم الأندلس إلى نفي المعنوية منها والوقف في النسبية"[٥]. ونقل عنه كذلك في مسألة وقوع الترادف في القرآن، فقال: "نقل عن الأستاذ أبي إسحاق المنع، كذا رأيته في أول "شرح الإرشاد" لأبي إسحاق بن دهاق الشهير بابن المرأة"[٦].

يضاف إلى ما تقدم تمكنه من علم التفسير، ويدل على مكانته في هذا العلم كلام تلميذه أبي عبد الله المرسي، الذي نقله الذهبي عن ياقوت الحموي، حيث ذكر أنه لم يكن بالأندلس في فنه مثله، يقوم بعلم التفسير وعلوم الصوفية، كان لو قال: هذه الآية تحتمل ألف وجه، قام بها[٧]. ويدل عليه أيضا كتابه في "شرح الأسماء الحسنى" الذي يمتزج فيه علما التفسير والكلام.

أما تصوفه وتطريزه مجالسه بهذا العلم فهو مشهور ومعروف، وساعده في ذلك ما ذُكر من فصاحة لسانه وقلمه، وبراعته في التمثيل والتّشبيه، فيما يلقيه ويقر للأفهام[٨]. وفيما يأتي حديث عن تصوفه ببعض التفصيل، وكذلك عن طعن بعض العلماء فيه.

---

(١) شجرة النور ٢٤٨/١.

(٢) التكملة ١٤٠/١.

(٣) بغية الرواد، ص: ٦٨.

(٤) الإحاطة ١٦٨/١.

(٥) تشنيف المسامع ٨٨٥/٤. وفيه (ابن دهان) وهو تحريف، والفوائد السينة في شرح الألفية للبرماوي ٣٢٢/٢.

(٦) البحر المحيط ٣٥٨/٢.

(٧) سير أعلام النبلاء ٣١٥/٢٣.

(٨) الإحاطة ١٦٨/١.

- **تصوف ابن المرأة**

لا يختلف ابن المرأة عن غيره من متصوفة الأندلس من حيث موقف العلماء من مذهبه في التصوف. وقد سبقت الإشارة إلى عبارات المدح والثناء فيه؛ إلا أن هناك بعض العلماء الذين طعنوا في ابن دهاق وفي مذهبه في التصوف. وقبل الحديث عن موقف العلماء منه لا بد من تمهيد عن مذهبه وأهم ما يميزه.

كما سبقت الإشارة إليه، فابن دهاق عاش في القرن السادس الهجري ومطلع السابع، وهي فترة تميزت بكثير من الانفتاح العلمي والإقبال على العلوم العقلية، خاصة علمي المنطق والفلسفة، والأمر نفسه يقال في التصوف، وظهور اتجاهات مختلفة منه بالأندلس. وقد اطلع ابن دهاق على كثير من المؤلفات في هذا العلم، وأهم هذه المؤلفات كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي، وقد نقل عنه تلميذه أبو عبد الله المرسي المتقدم أنه قال: حفظت وأنا شاب القرآن، وكُتُبا منها إحياء علوم الدين للغزالي[١].

وحسب ما ذكرته المصادر التي ترجمت لابن دهاق، فإن أكثر الشيوخ تأثيرا فيه وفي تكوين شخصيته الصوفية هو أبو عبد الله الشوذي المتقدم ذكره. وبلغ من تأثير هذا العَلَم في الأندلس عامة أن ظهرت مدرسة صوفية تنسب إليه، وهي المدرسة الشوذية، التي أثارت الكثير من النقاش والردود العلمية[٢]. وهذه المدرسة، كما يقول يقول الباحثون، هي امتداد لمدرسة ابن مسرة الأندلسي، الذي يمزج بين التصوف والفلسفة[٣]. ومن أهم أعلام هذه المدرسة أبو العباس أحمد ابن العريف[٤]، صاحب كتاب محاسن المجالس الذي قام ابن دهاق بشرحه، كما سيأتي الحديث عنه أثناء الكلام عن مؤلفاته.

وعودا على أثر أبي عبد الله الشوذي في تكوين شخصية ابن دهاق الصوفية، فأول لقاء بينهما كان بتلمسان كما سبقت الإشارة إليه. وفيما يأتي نصان أساسيان يصفان اللقاء بينهما.

الأول: قال فيه: "سافرت إلى تلمسان، فكنت أرى رجلا زريا قصيرا طوله نحو ذراع، وكان يأخذ زنبيله، ويحمل السمك بالأجرة، وما رآه أحد يصلي، فاتفق أني اجتزت يوما وهو يصلي، فلما رآني قطع الصلاة، وأخذ يعبث، ثم جاء العيد، فوجدته في المصلى، فقلت: سآخذه معي أطعمه فسبقني، وقال: قد سبقتك، احضر عندي"[٥].

الثاني: قال فيه: "ثم شرع يخبرني بأحوالي كأنه كان معي، وكنت إذا صليت يخيل لي نور عند قدمي، فقال لي: أنت معجب تظن نفسك شيئا، لا، حتى تقرأ العلوم، قلت: إني أحفظ القرآن بالروايات،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٦٠/١٦.

(٢) من أهم هذه الردود: ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل لأبي جعفر ابن الزبير الغرناطي (ت: ٧٠٨ هـ)، وإماطة الأذية الناشئة من سباطة الشوذية لأبي عبدالله محمد بن عمر بن محمد بن عمر الأنصاري السبتي.

(٣) المدرسة الشوذي، أبو الوفا، ص ١٧٤.

(٤) ابن العريف: أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي (ت: ٥٣٦ هـ). معجم أصحاب أبي علي الصدفي، ص: ١٨، والوافي بالوفيات ٨٨/٨، وبغية الملتمس، ص: ١٦٦، وسير أعلام النبلاء ١١١/٢٠.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤٦٠/١٦.

قال: لا حتى تعلم تأويله بالحقيقة، فقلت: علمني، فقال: من غد مر بي في السماكين، فبكرت فخلا بي في موضع ثم جعل يفسر لي القرآن تفسيرا عجيبا مدهشا، ويأتي بمعاني، فبهرني، وقلت: أحب أن أكتب ما تقول، فقال: كم تقول عمري؟ قلت: نحو سبعين سنة. قال: بل مائة وعشر سنين، وقد كنت أقرأ العلم أربعين سنة ثم تركت الإقراء، فاسأل الله أن يفقهك في الدين، فجعل كلما ألقى علي شيئا حفظته، قال: فجميع ما ترونه مسني من بركته"[1].

ويمكن أن نستخلص من هذين النصين ملاحظات أساسية أهمها:

تأثر ابن دهاق بحال الشوذي الذي يظهر عليه الزهد، وهي حال لا تخفى على ابن دهاق، وهو ما يوضحه النص الذي أورده صاحب بغية الرواد، إذ قال فيه ابن دهاق: "فتفرست فيه مخائل القوم فاتبعته"[2]. وهذا يدل على أن ابن دهاق كان على اطلاع بعلم التصوف وصفات أهله قبل قدومه على الشوذي.

يتضح من النص أيضا، بعض ملامح مذهب الشوذي، وهو التوجه الملامتي المبني على تخريب الظاهر وإعمار الباطن، وذلك ما يظهر في قطعه للصلاة وأخذه في العبث.

في النص الثاني بعض توضيح لمنهج الشوذي في التعليم، حيث يحرص على الافتتاح بكتاب الله تعالى، مع تفسيره وتعليم تأويله على الحقيقة. وفي نص صاحب بغية الرواد، أنه افتتح عليه بقراءة كتاب الله، ثم حديث رسول الله، ثم قرأ شيئا من الأدب[3].

مذهب ابن دهاق في التصوف وموقف العلماء منه:

إن ما وصلنا من كتب المؤلف، كشرح أسماء الله الحسنى، لا يظهر فيها ما يحكيه عنه أهل التراجم وما يصفونه من مذهبه، لذلك فنحن مضطرون إلى نقل كلام هؤلاء لبيان مذهبه، ولكن لا بد من الإشارة إلى اختلافهم في نسبة أمور إلى ابن دهاق، فمنهم المثنون عليه، ومنهم المتشددون في الطعن عليه، ومنهم الذين وقفوا وسطا بين الفريقين.

ومن هؤلاء الذين تكلموا على مذهب ابن دهاق ابن الخطيب في كتابه روضة التعريف، حيث ذكر ابن دهاق من أصحاب الوحدة المطلقة المتوغلين، وقد لخص هذا المذهب بقوله: "وحاصله، بعد الخوض في الذات وما صدر عن الواحد فيما خاض فيه غيرهم، أن الباري، جل وعلا، هو مجموع ما ظهر وما بطن، وأنه ولا شيء خلاف ذلك، وأن تعدد هذه الحقيقة المطلقة، والآنية الجامعة التي هي عين كل آنية والهوية التي هي عين كل هوية إنما وقع بالأوهام من المكان والزمان والخلاف والغيبة، والظهور، والألم، واللذة، والوجود والعدم، قالوا: وهذه إذا حققت إنما هي أوهام راجعة إلى إخبار

(١) سير أعلام النبلاء ٤٦٠/١٦.

(٢) بغية الرواد، ص: ٦٥.

(٣) بغية الرواد ص ٦٧.

الضمير وليس في الخارج شيء، فإذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره وما فيه واحدا، وذلك الواحد هو الحق"[١].

ومن الذين تكلموا في مذهبه أيضا ابن خلدون في كتابه شفاء السائل، فقد ذكره ضمن أصحاب الوحدة، فقال: "ومن أشهر القائلين به ابن دهاق وابن سبعين والششتري وأصحابهم؛ وذكر في تلخيص هذا المذهب مثل ما ذكر ابن الخطيب"[٢].

ونسب إليه بعضهم القول بالحلول، منهم أبو حيان في تفسيره، حيث ذكر أن هذا المذهب فشا في الأمة كثيراً، ثم نسب إلى أبي بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني كتاباً في الرد على هذه الطائفة، فذكر فيهم عددا من المتصوفة، منهم أبو عبد الله الشوذي وابن دهاق، وابن أحلى وابن سبعين، وغيرهم، ثم نقل عنه أنه ذكر في كتابه من أحوالهم وكلامهم وأشعارهم ما يدل على هذا المذهب[٣].

وقد اختلفت آراء العلماء في ابن دهاق وغيره من المتصوفة الذين نحوا طريقته في التصوف:

منهم المتشددون في الحكم عليه، كأبي حيان الذي عدّه من زنادقة أهل الأندلس[٤]. وقد اعتمد أبو حيان على ما ذكره أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي، وهو أيضا من أكثر هؤلاء شدة في الطعن عليه؛ ومما ذكره في هذا ما نقل عنه ابن الخطيب من أنه كان، أي ابن دهاق، صاحب حيل وفوارج مستظرفة، ومطلعاً على أشياء غريبة من الخواص وغيرها فتن بها بعض الجهلة، واطّلع كثير ممّن شاهده على بعض ذلك، وشاهد منه بعضهم ما يمنعه الشرع من المرتكبات الشّنيعة، فنافره وباعده بعد الاختلاف إليه، منهم شيخنا القاضي العدل المسمّى الفاضل، أبو بكر بن المرابط[٥].

وهذا الذي ذكره ابن الزبير في هذا النص اعتمد فيه على ما نقله عن بعض شيوخه، كما أنه لا يشير إلى مذهب ابن دهاق، وإنما إلى بعض الأفعال التي كانت تصدر منه، وهي أفعال لم يرتضها أصحابه؛ ولعل هذه الأفعال راجعة إلى ما ذكر من المذهب الملامتي الذي كان عليه شيخه أبو عبد الله الشوذي، خاصة أن ابن دهاق كان مطلعا على أحوال المتصوفة، ويدل على ذلك معرفته بالشوذي من خلال تصرفاته، وتفرُّسه فيه مخائل القوم حسبما تقدم.

وقد صنف ابن الزبير تأليفا في الرد على أبي عبد الله بن أحلى، وهو من المتأثرين بابن دهاق، وهو الذي نقل عنه مذهبا مبتدعا لم يسبق إليه بتعبير ابن الزبير؛ وقد صنف في الرد على هذا المذهب كتاب "رَدْع الجاهل عن اعتسافِ المَجَاهل"، ورجزا طويلا أوضَح فيه أصلَ المَذهب المسَمَّى عندَ ابن

(١) روضة التعريف، ص: ٦٠٥.

(٢) شفاء السائل، ص: ١١١-١١٢.

(٣) البحر المحيط ٤٠٤/٥.

(٤) لسان الميزان ٣٩٠/١.

(٥) الإحاطة ١٦٨/١، والديباج ٢٧٣/١.

أحلَى: التحقيق[1].

وقد سجل صاحب الذيل والتكملة ملاحظات على هذين المصنفين، منها أن "رَدْعُ الجاهل" أقلُّ شيءٍ فائدةً، وأبعَدُه عن النَّفع بعلِم. ونقل أيضا عن بعضِ أصحابِ ابن أحلَى أنّهم يقولون: إنّ ابنَ الزُّبَير لم يفهَمْ عنهم شيئًا من مذهبِهم ولا يتلاقَى كلامُه معَهم فيه على علمِهم في وِرْدٍ ولا صَدَر. ووصف الرجز المذكور برداءةِ نَظْمِه وخُلوِّه من المعنى، وأنه هُزْأةٌ للمُستهزِئين.

كما أنه ناقش ابن الزبير في ادعائه خروج هذا المذهب عن سنن المسلمين مع استعماله ألفاظ تدل على الظن، كقوله: "وأُنبِّهُ هنا على ما يُستشعَرُ منه نزوحُ هذا المذهب عن سَنَن المسلمين"، والحال أنه لا بد من أدلة تبين ضَلالهم وانسلاخهم عن المِلّة الإسلاميّة؛ لردِّهمُ الكتابَ والسُّنةَ وإجماعَ الأُمّة، فحقُّه أن يقولَ ما يقطَعُ بخروج أو ما معناه هذا[2].

ومن هذه الملاحظات التي سجلها ابن عبد الملك يمكننا الانتقال إلى موقف آخر حاول تلمس الأعذار لابن دهاق وأمثاله، كما فعل زروق في قوله: "رمى جماعة بالقول بالحلول والظهور مع أنه كفر كالحلاج والعفيف التلمساني والششتري وابن عربي وابن الفارض وابن سبعين وآخرين والظن فيهم البراءة مما رموا به؛ ولكن ضاقت عليهم العبارة عن حقائق تصريح العلم فأدت بظاهرها ما يتوهم أنهم برآء هذا معتقدنا وعند الله الموعد[3].

ويدل على مكانة هذا الموقف أنه صادر من متصوف متحقق بعلوم التصوف، وعالم بمصطلحاته وأحوال أهله. وقريب من هذا الذي ذكره زروق قاله أيضا ابن الخطيب في ابن سبعين؛ حيث ذكر أن أغراض الناس في هذا الرجل متباينة، بعيدة عن الاعتدال، فمنهم الموهن المكفّر، ومنهم المقلّد المعظّم"[4]. ومعلوم أن ابن سبعين سار على نهج ابن دهاق، وأخذ عنه التحقيق كما تقدم ذكره.

ويمكن أن نضيف إلى ما تقدم أن المؤلفات التي وصلتنا من ابن دهاق ليس فيها شيء مما يدل على التحلل من الشرائع، بل فيها دعوة إلى الالتزام به، ويدل على ذلك ما نقله غير واحد عنه من كلامه على شرط الولي في شرحه للإرشاد، فذكر أربعة شروط منها: أن يتخلق بالخلق المحمود الذي يدل عليه الشرع والعقل، وأما ما يدل عليه الشرع فالورع عن المحرمات وامتثال جميع المأمورات[5].

(١) الذيل والتكملة ٤/٤٧٩

(٢) الذيل والتكملة ٤/٤٨٠.

(٣) قواعد التصوف، قاعدة (٨٧) ص: ٦٥-٦٦، شجرة النور الزكية ١/٢٨١.

(٤) الإحاطة ٤/٢١.

(٥) شرح العقيدة الوسطى، ص: ٥١٩.

المبحث الثاني: مؤلفات ابن دهاق

لابن دهاق مصنفات في مختلف العلوم، مما يدل على على تبحره وتنوع مشاربه، وقد وصفت مؤلفاته بأنها نافعة في أبوابها، حسنة الرصف والمباني[١]. وفيما يأتي المصنفات التي ذكرها الذين ترجموا لابن دهاق:

١ـ **شرح الإرشاد لأبي المعالي الجويني:** وقد ذكر ابن الخطيب أنه كان يعلقه من حفظه من غير زيادة وامتداد[٢]. وهذا يدل على تعلق المؤلف بهذا الكتاب؛ وقد سماه نكت الارشاد فى الاعتقاد[٣]، وذكر في هدية العارفين أن شرح الإرشاد في أربع مجلدات، ثم ذكر كتابا آخر باسم نكت الإرشاد في الاعتقاد[٤]، وهما كتاب واحد.

ويدل على قيمة هذا الشرح اعتناء المتأخرين به والنقل عنه كثيرا، ومن الذين اعتمدوا عليه كثيرا الإمام السنوسي، كما في شرح العقيدة الكبرى[٥]، وكذلك شرح العقيدة الوسطى[٦]. واعتمده أيضا اليفرني في شرح البرهانية[٧].

وقد تم تحقيق الكتاب في رسالة جامعية بكلية أصول الدين، جامعة الملك السعدي بالمغرب، في أكتوبر ٢٠٢١.

٢ـ **شرح أسماء الله الحسنى:** وهو كتاب مطبوع، وهو شرح على طريقة الأشاعرة، ويتضح ذلك جليا، كما في تقسيم أسماء الله إلى أسماء ذات وأسماء صفات وأسماء أفعال[٨]. وكذلك في تأويل بعض الأسماء، إذ يذكر الاسم ومعانيه عند العرب، ثم يختار المعنى الذي يليق بالله عز وجل.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في شرح اسم العلي، حيث ذكر أن العلو عند العرب على ضربين: بالمكان والمكانة والمنزلة؛ ثم اختار المعنى الذي يليق بالله تعالى، فقال: والعلو بالمكان من صفات الأجسام، والله سبحانه متعال عن التخصص بالمكان والجهات، فإن ذلك من علامات الحدوث؛ فيكون علوه سبحانه علو القدر على الإطلاق من غير إشارة إلى مفاضلة[٩]. وكذلك في اسم العظيم، حيث ذكر

---

(١) الإحاطة ١٦٨/١.

(٢) الإحاطة ١٦٨/١.

(٣) إيضاح المكنون ٦٧٦/٤.

(٤) هدية العارفين ١١/١.

(٥) شرح العقيدة الكبرى، مقدمة المحقق، ص: ٦٠-٦١.

(٦) شرح العقيدة الوسطى، ص: ١٥٢-١٥٤، ٢٢٠، ٥٣٧.

(٧) المباحث العقلية، مقدمة المحقق، ص: ١٣٣، وكذلك الصفحات: ٤٥٨-٤٥٩، ٥٣٨، ٦٥٤، ٦٨٨، ١٠٤١...

(٨) ينظر مثلا، شرح أسماء الله الحسنى، ص: ٥٠.

(٩) شرح أسماء الله الحسنى، ص: ٥٣.

أن العظمة في حقه تعالى، يستحيل أن تكون بمعنى عظم الجرم وكبر الذات، فإنه سبحانه متعال عن التألف والتحيز[١].

٣- **شرح كتاب محاسن المجالس:** وهو كتاب في التصوف من تأليف أبي العباس أحمد بن محمد ابن موسى بن عطاء الله الصنهاجي (ت: ٥٣٥ هـ).

٤- **جزء في لحن العامة:** نسبه إليه الإمام زروق، ولم يذكره أحد من الذين ترجموا لابن دهاق. وقد ذكره في سياق حديثه عن بعض الألفاظ التي يتكلم بها العامة فيها إساءة الأدب مع الله تعالى، ثم قال: وتتبع ذلك يطول، وقد شفا فيه الغليل ابن خليل السكوني، وأبو إسحاق ابن دهاق في جزئيهما في لحن العامة، فمن أراد ذلك فليطالع كلامهما[٢].

٥- **عقيدة ابن دهاق، أو الدهاقية:** نسبها إليه الإمام البرزلي في فتاويه، وذلك في سياق حديثه عن المرشدة لابن تومرت، إذ قال: "وقد كثر حفظها لقلتها وبلاغتها، وأعظم منها القدسية للغزالي أو الدهاقية لابن دهاق" ونقل أبو العباس زروق في شرحه على عقيدة الغزالي نقلا منسوبا إلى شرح لهذه العقيدة، فقال: " وفي شرح عقيدة ابن دهاق، قال أبو حامد: إذا سئلت عن الرؤية فقل كما تعلمه من غير تكييف"[٣].

٦- **جزء في إجماع الفقهاء:** وهو الكتاب المحقق، وسيأتي مزيد تفصيل عنه في المبحث الآتي.

المبحث الثالث: التعريف بكتاب الإجماع ومنهج المؤلف فيه

١- اتفقت كل المصادر التي ترجمت لابن دهاق على نسبة تأليف في الإجماع إليه، ولكن اختلفت عباراتهم في وصفه، فمنهم من سماه كتابا في الإجماع كما في التكملة والصفدي[٤]، ومنهم من سماه جزءا كما في الإحاطة[٥]، وكذلك سمّاه صاحب الديباج نقلا عن ابن الزبير[٦]. ومنهم من ذكر أن له تأليفا في إجماع الفقهاء دون تحديد نوعه، كما في شجرة النور الزكية، وقد انفرد بأمر لم يذكره غيره، وهو أنه فرغ من تأليفه سنة (٦١٠ هـ)[٧]، وهذا يعني أن هذا التأليف، قد يكون آخر ما كتبه ابن دهاق، ولعل هذا ما يفسر أن الكتاب لم يشمل جميع الأبواب الفقهية، كما سيأتي عند وصف منهج المؤلف فيه.

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى، ص: ٥٠-٥١، ينظر كذلك صفحات: ٤١، ٤٣، ٤٥.

(٢) النصيحة الكافية، ص: ٦٠، وشرح النصيحة الكافية، ص: ٧٠٦.

(٣) شرح زروق على عقيدة الغزالي، ص: ٨٢، وعقيدة أحمد زروق من خلال شروحه وكتبه، ص: ١٣٦.

(٤) التكملة ١٤٠/١، والوافي بالوفيات ١١٠/٦.

(٥) الديباج ٢٧٣/١، والإحاطة ١٦٨/١.

(٦) شجرة النور ٢٤٨/١.

(٧) شجرة النور ٢٤٨/١.

وهذا التأليف هو تأليف فقهي وليس تأليفا أصوليا كما ظنه بعض الباحثين[1]. ولعل أنسب وصْفٍ لتأليف ابن دهاق هو مَن وَصَفه بالجزء، لأنه لم يشمل جميع الأبواب الفقهية، وذلك أخذا في الاعتبار بعض التعاريف التي عَرَّفت الجزء في التأليف بأنه: تأليف صغير يشتمل على مطلب معين، محصور بين عشر ورقات وثلاثين ورقة، أو في بضعة كراريس[2]. وهو الذي يتناسب مع العنوان الوارد في المخطوط، وهو: مسائل من كتاب الإجماع.

وهذا العنوان، إن كان من المؤلف، فإنه يدل على قصد المؤلف إلى عدم استيعاب الإجماع في جميع الأبواب الفهية، وإنما اقتصر على مسائل منه على ما يدل عليه التنكير في كلمة "مسائل" وكذلك كلمة "مِنْ" الدالة على التبعيض. والغريب في هذا الأمر أنه ذكر بعض الأبواب، كما في المتعة والإحداد، وذكر أنه ليس فيه إجماع، مما يوحي أن المؤلف قصد إلى استقراء كل الأبواب الفقهية.

ومما يلاحظ على الكتاب أنه لم يلتزم الترتيب المعروف في الأبواب الفقهية، كما أنه لم يلتزم ترتيب المسائل داخل الأبواب الفقهية؛ ومن الأمثلة على ذلك أنه ذكر كتاب الأطعمة والأشربة بعد كتاب الجنائز، وقد جرت عادة المصنفين على تأخيره.

كما أن المؤلف قد يجمع أربع مسائل مختلفة في موضع واحد. ومن الأمثلة على ذلك قوله: وأجْمعُوا على [أن] الحُرّة البَالغة، إذا صلّت وجميعُ رأسِها مكشُوفٌ، فإنَ الإعَادة عليْها. وأجْمعُوا على أن ليس على الأمة أن تغطي رأسها إذا كانت دون بعل. وأجْمعُوا على أن ما بين العشاء إلى طلوع الفجر وقت الوتر. وأجْمعُوا على أن المرأة تغسل زوجها، وتغسل الصبي الصغير. وأجْمعُوا على أن الميت يغسل كغسيل الجنابة".

فقد جمع المؤلف في هذا الموضع مسائل من الصلاة ومسائل من وقوت الصلاة ومسائل من كتاب الغسل. فيحتمل أن المؤلف لم ينته من تأليف هذا الكتاب وترتيبه، وأن ما وصلنا منه هو ما جمع المؤلف قبل وفاته، خاصة إذا استحضرنا ما أورده صاحب شجرة النور من أن المؤلف فرغ منه سنة عشر وستمائة (٦١٠ هـ)، أي عاما واحدا قبل وفاته.

وقد يكون المؤلف قد أملى هذه المسائل من حفظه، وذلك أنه كان يحفظ بعض الكتب، منها كتابا الإرشاد والإحياء كما تقدم، وقد يكون كتاب الإجماع لابن المنذر واحدا منها، وذلك أن من منهج ابن دهاق في هذا التأليف أنه يسير على ترتيبه، كما أنه ينقل عبارته غالبا. وسيأتي التنبيه على هذا الأمر أثناء الإحالة على موضع النقل في الهوامش.

٢- وصف النسخة المعتمدة في التحقيق:

---

(1) Ibn al-Marʾa, Abū Isʿhaq, Biblioteca de Al-Andalus,D. Urvoy, p.11

ذكر صاحب المقال أن الأمر يتعلق بالأصل الثالث من أصول الفقه، أي الإجماع.

(٢) معجم مصطلحات المخطوط العربي، أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، ص: ١١٣.

اعتمدت في هذا التحقيق على نسخة وحيدة محفوظة في المكتبة الوطنية الإسبانية ضمن مجموع رقمه ٤٩٣٩، من ورقة ٢ إلى ورقة ٦. (مسطرتها: ١٩، ومقاسها: ٢٣×١٧). بخط أندلسي. عناوينه كتبت بخط بارز ملون. وقد خلت بعض الأبواب من العناوين فوضعتها بين معقوفتين.

الصفحة الأولى من المسائل

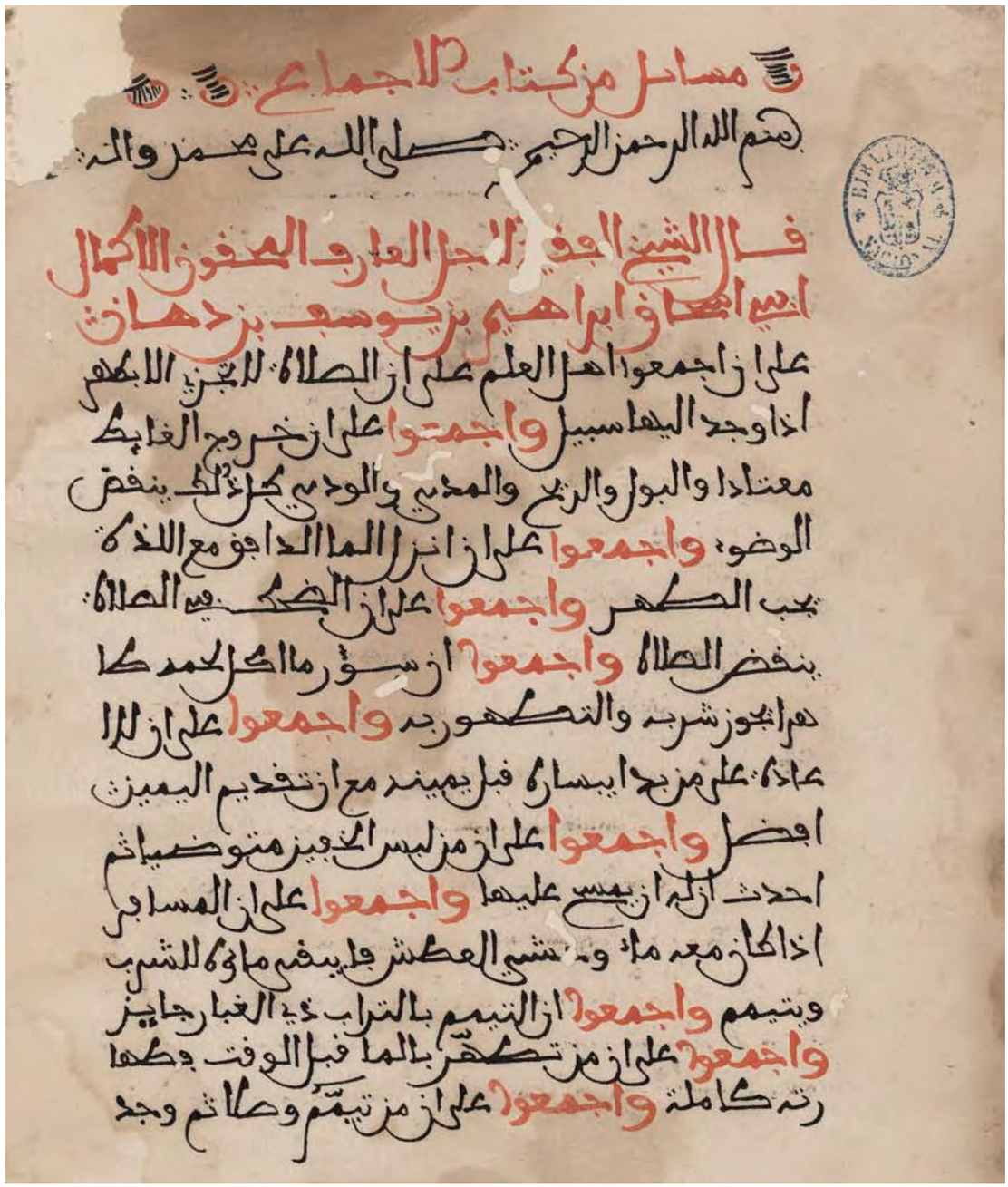
مسائل من كتاب الاجماع

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله

قال الشيخ الحفيظ الجليل العالم المحقق الأكمل
أبي المعالي إبراهيم بن يوسف بن دهاق

على أن أجمعوا أهل العلم على أن الصلاة لا تجزئ الأبكم
إذا وجد إليها سبيل وأجمعوا على أن خروج الغائط
معتادا والبول والريح والمذي والودي كل ذلك ينقض
الوضوء وأجمعوا على أن أثر الماء الدافق مع اللذة
يجب الكفر وأجمعوا على أن الضحك في الصلاة
ينقض الصلاة وأجمعوا أن سؤر ما أكل لحمه كله
طاهر يجوز شربه والتطهر به وأجمعوا على أن الإ
ستاك على من يريد اليسار قبل اليمين مع أن تقديم اليمين
أفضل وأجمعوا على أن من لبس الخفين متوضيا ثم
أحدث أن له أن يمسح عليهما وأجمعوا على أن المسافر
إذا كان معه ماء وعطش فليبق ماءه للشرب
ويتيمم وأجمعوا أن التيمم بالتراب ذي الغبار جايز
وأجمعوا على أن من تطهر بالماء قبل الوقت وصلاها
ته كاملة وأجمعوا على أن من تيمم وصلى ثم وجد

الصفحة الأخيرة من المسائل

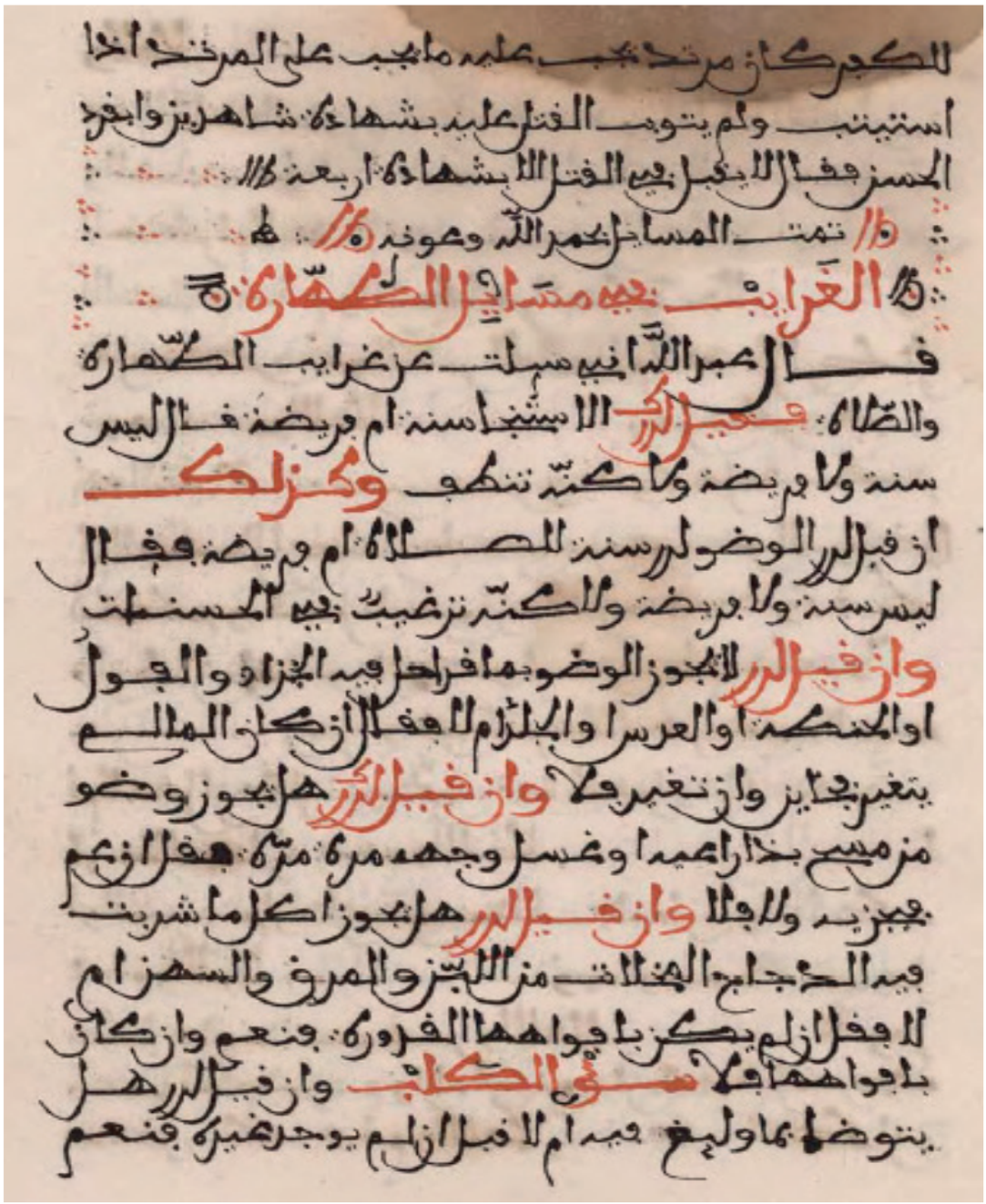

[القسم الثاني: النص المحقق]

مسائلٌ مِنْ كتَاب الإجْمَـاع

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله.

قال الشيخ الفقيه الأجل العارف المحقق والأكمل أبو[١] إسحاق إبراهيم بن يوسف بن دهاق:

[كتابُ الطَّهارَة]

١. [أجمع][٢] أهْل العلم على أن الصَّلاة لا تُجْزئ إلا بطهر إذا وُجِد إليها سَبيلٌ[٣].

٢. وأجْمعُوا على أنَّ خُروج الغائط مُعتادًا والبوْل والرّيح والمذْي[٤] والوَدْي[٥]، كُلَ ذلك ينقُضُ الوضُوء[٦].

٣. وأجْمعُوا على أنَّ إنْزال المَاء الدَّافقَ مع اللَّذَّة يُوجبُ الطُّهْر[٧].

٤. وأجْمعُوا على أنّ الضَّحك في الصَّلاة ينْقُض الصَّلاة[٨].

٥. وأجْمعُوا [على] أن سُؤْر ما أُكل لحمُه طاهرٌ، يجُوز شربُه والتَّطهُّر به[٩].

٦. وأجْمعُوا على أن لا إعَادة على مَنْ بَدأ بيسَاره قبْل يَمينه، معَ أنَّ تقْديم اليَمِين أفْضَل[١٠].

---

(١) في الأصل بعض الأخطاء اللغوية: المحقوق، الأكمال، أبي.

(٢) في الأصل عبارة مضطربة: على أن أجمعوا أهْل العلم.

(٣) ينظر الإجماع لابن المنذر ٣٣/١، كأن المؤلف نقل منه، حيث قال: "أجمع أهل العلم على أن الصلاة لا تجزئ إلا بطهارة إذا وجد المرء إليها السبيل". والأوسط ١٠٧/١، والإقناع لابن القطان ٧٠/١.

(٤) المذي: ماء أبيض رقيق يخرج عند اللذة بالإنعاظ عند الملاعبة او التذكار.

(٥) الودي: ماء أبيض خاثر، يخرج بإثر البول.

(٦) الإجماع ٣٣/١، والإقناع ٧١/١-٧٢.

(٧) الإجماع ٣٣/١، والإقناع ٩٧/١.

(٨) الإجماع ٣٤/١، ٣٩، والإقناع ١٤٠/١. هذه المسألة التي ذكرها المؤلف هي من مسائل الصلاة، ويبدو أنه ذكرها لأنها شبيهة بمسألة أخرى فيها خلاف، وهي أن القهقهة في الصلاة لا تنقض الوضوء خلافا لأبي حنيفة.

(٩) الإجماع ٣٥/١، والإقناع ٧٦/١.

(١٠) الإجماع ٣٥/١، والإقناع ٨٢/١.

٧. وأجْمعُوا على أنّ مَن لبسَ الـخُـفّين مُتوضِّئا ثـمّ أحْدثَ أنّ له أن يـمْسحَ عليْهما[١].

٨. وأجْمعُوا على أنّ المُسافر إذا كان مَعه ماءٌ، وخَشِي العَطش فإنه يبقي مَاءه للشّرب، ويتيمَّم[٢].

٩. وأجمعوا [على] أن التّيمُّم بالتُّراب ذي الغبَار جَائزٌ[٣].

١٠. وأجْمعُوا [على] أن من تطهَّر بالماء قبْل الوقْت فطهَارتُه كامِلة[٤].

١١. وأجْمعُوا على أنّ منْ تيَمّم وصلّى، ثُمَّ وجَد الماءَ بعْد خُرُوج الوقْت أن لا إعَادة عليْه[٥].

١٢. وأجْمعُوا على أن لا غسْل على من احْتلم ولم يَجد بَللا[٦].

١٣. وأجْمعُوا على أن عَرَق الـجنُبِ والحائضِ طاهرٌ[٧].

١٤. وأجْمعُوا على إسْقاطِ الصَّلاة عن الحائضِ، ولا تقْضِي منْها شَيْئا[٨].

١٥. وأجْمعُوا على أنّـها تقْضي ما تَركَتْ منَ الصَّوْم أيَّام حيْضَتها[٩].

١٦. وأجْمعُوا على أنَّها يجبُ عليْها الغسْلُ عنْد انقِطاع دمِ الحيْضَة وكذلك النُّفسَاء[١٠].

١٧. وأجْمعُوا عَلى أنّ الشَّاة والبَعير والْبقَرة إذا انْقطعَ منْ إحْداها عُضوٌ، وهُو حيٌّ، أنّ الـمَقْطُوع منْه نـجِسٌ.

١٨. وأجْمعُوا على أن الانْتفاَع بشَعرها وصُوفها ووَبَرها، إذا أُخِذ منْها وهي أحْياءٌ، جَائزٌ[١١].

---

(١) الإجماع ٣٥/١، والإقناع ٨٩/١، وعبارته: "وأجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن من أكمل طهارته ثم لبس الخفين، وأحدث أن له أن يمسح عليهما". وهذه العبارة تدل على أن هناك خلافا غير معتبر في المسألة، وهو الذي أشار إليه ابن القطان قبل هذه المسألة بقوله: "وذهبت الخوارج أنه لا يجوز أصلاً بأن القرآن لم يرد به، ونزعت الشيعة إلى أنه لا يجوز؛ لأن عليًا امتنع منه".

(٢) في الأصل: فليبقي ماؤه. ينظر الإجماع ٣٥/١، والإقناع ٩٢/١.

(٣) الإجماع ٣٦/١، والإقناع ٩١/١.

(٤) الإجماع ٣٦/١، والإقناع ٨١/١، وموسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي ٣٠٠/١.

(٥) الإجماع ٣٦/١، والإقناع ٩٦/١. قيد المؤلف الإجماع هنا بم إذا وجد الماء بعد خروج الوقت، أما ابن القطان فإنه ذكر في المسألة: «قبل خروج الوقت».

(٦) الأوسط ٨٣/٢، والإجماع ٣٦/١، والإقناع ٩٨/١.

(٧) الأوسط ١٧٧/٢، والإجماع ٣٦/١، والإقناع ١١١/١، وموسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي ٦٠٣/١، ٦٠٥.

(٨) الإجماع لابن المنذر ٣٧/١، وقد تبعه المؤلف في إيراد هذه المسألة ضمن مسائل الطهارة. والإقناع ١٢٥/١.

(٩) الإجماع ٣٧/١، والإقناع ٢٣٤/١.

(١٠) الأوسط ١١٢/١، والإجماع ٣٧/١، والإقناع ١٠٤/١.

(١١) الأوسط ٢٧٣/٢، والإجماع ٣٧/١-٣٨، والإقناع ١١١/١.

[كتَابُ الصَّلاة]

١. وأجْمعُوا على وُجُوب الصَّلواتِ الخمْس: الظُّهر، والعصْر، والمغْرب، والعشَاء الآخرة، والصُّبح[١].

٢. وأجْمعُوا على أنّ وقْتَ الظُّهْر مِن زوَال الشَّمْس[٢].

٣. وأجْمعُوا على أنّ وقْت العصْر إذا كَان ظلُّك مثْلَيْك[٣].

٤. وأجْمعُوا على أنّ صَلاة المغْرب تجبُ إذا غَربَت الشّمْس[٤].

٥. وأجْمعُوا على أنّ وقْت العشَاء إذا غَربَت الـحُمْرة[٥] من شَفق الشّمْس[٦].

٦. وأجْمعُوا على أنّ وقْت الصُّبح ما بيْن طُلُوع الفجْر إلى طُلُوع الشّمْس[٧].

٧. وأجْمعُوا على أنّ الجمْع بيْن الظُّهر والعصْر بعَرفة، وبيْن المغْرب والعشَاء ليْلة النَّحْر[٨].

٨. وأجْمعُوا على أنَّ مِن السُّنّة أن تسْتقْبل القِبْلة للْأذَان[٩].

٩. وأجْمعُوا على أنّ الأذَانَ في وقْت الصّلاة إلا الصُّبح[١٠].

١٠. وأجْمعُوا على أن الصّلاة لا تجُوز إلا بنيّة[١١].

---

(١) الإقناع ١/١٢٠.

(٢) الأوسط ٢/٣٢٦، والإجماع ١/٣٨.

(٣) ذكر في الأوسط ٢/٣٢٩ اختلاف العلماء في أول وقت العصر، ولم يذكر في كتاب الإجماع وقت العصر ضمن المسائل المجمع عليها.

(٤) الأوسط ٣/٣٣٤، والإجماع ١/٣٨، والإقناع ١/٢٣٠-٢٣١، ولفظه: « وأجمعوا أن صلاة المغرب من الليل [...]، واتفق العلماء على أن الليل من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر».

(٥) في الأصل: الحمورة.

(٦) الأوسط ٢/٣٣٨-٣٣٩، وأشار إلى خلاف شاذ في المسألة، فقال: «وأجمع أهل العلم، إلا من شذ عنهم، على أن أول وقت العشاء الآخرة إذا غاب الشفق». ولم يذكر في كتاب الإجماع المسألة، ولم يذكرها كذلك صاحب الإقناع؛ ويبدو أن السبب في ذلك الاختلاف في تفسير المقصود بالشفق، هل هو الحمرة أو البياض.

(٧) الأوسط ٢/٣٤٧، وما ذكره المؤلف هنا يشمل وقت الصبح كله، وعبارته قريبة من عبارة الأوسط حيث قال: "وأجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن من صلى الصبح بعد طلوع الفجر قبل طلوع الشمس فقد صلاها في وقتها". أما في كتاب الإجماع ١/٣٨، فقد ذكر أول الوقت، فقال: "وأجمعوا على أن وقت صلاة الصبح: طلوع الفجر". ثم ذكر وقت صلاة الصبح كله بعبارة قريبة من عبارة الأوسط وعبارة المؤلف.

(٨) الأوسط ٢/٤٢٠، والإجماع ١/٣٨، و الإقناع ١/٢٧٧-٢٧٨.

(٩) الأوسط ٣/٢٨، والإجماع ١/٣٨، والإقناع ١/١١٨.

(١٠) الإجماع ١/٣٩.

(١١) الإقناع ١/١٢٨.

١١. وأجْمعُوا على أنّ من كبَّر أوَّل صَلاته أنَّه عَقَد الصَّلاة[١].

١٢. وأجْمعُوا على صحة [صلاة] من اقْتصَر على تسْليمَة واحِدة[٢].

١٣. وأجْمعُوا على وُجُوب قراءة شيْء من القُرآن في الصّلاة لمن يعْلم ذلك.[٣]

١٤. وأجْمعُوا على أنّ منْ تكلَّم في الصَّلاة عمْدا، لاَ يُريد به إصْلاح شيْءٍ منَ الصَّلاة أنّ صَلاتَه فاسِدةٌ[٤].

١٥. وأجْمعُوا على أنّ الأكْل والشّرب حَرام في الصَّلاة، وهو يُفسدُها مع العمْد والجَمع[٥]، وعليْه الإعَادةُ[٦].

١٦. وأجْمعُوا [على] أنّ المأمُومَ إذا عَقَد مع إمَامه ركْعةً أن يَتبعَه في سُجُود سَهْوه[٧].

١٧. وأجْمعُوا على أنّ الجُمُعة ركعتَان، وعلى أنّ [من] فَاتتْهُ مِن المُقيمِين يُصَلِّ أرْبعًا[٨].

١٨. وأجْمعُوا على أن [الصلاة] لا تقْصر في المغْرب والصُّبح[٩].

١٩. وأجْمعُوا على أنّ مَنْ سَافر إلى حجٍّ أو جهَادٍ أو عمْرةٍ، سفرًا تقصُر الصَّلاةُ في مثله أن له أن يقصر[١٠].

٢٠. وأجْمعُوا على أن مثْل ما بين مكة والمدينة تقصُر فيه الصَّلاة، إذا كانَ خُروجُه في مثْل ما تقدَّم ما وصَفْناه[١١].

٢١. وأجْمعُوا على أنّه منْ خرج بعْد الزَّوال أن يقصُر الصَّلاة، وكذلك إنْ خرجَ وبقِي منْ وقْت الصَّلاة شيْءٌ فإنّه يقصر[١٢].

---

(١) الإقناع ١٢٧/١.

(٢) الإجماع ٣٩/١.

(٣) الإقناع ١٢٨/١.

(٤) الإجماع ٣٩/١.

(٥) هكذا في الأصل، ولا أدري ما محل كلمة «الجمع» في هذا الموضع.

(٦) الأوسط ٢٤٨/٣، والإجماع ٣٩/١، والإقناع ١٤٠/١.

(٧) الأوسط ٣٢٢/٣، والإجماع ٤٠/١، والإقناع ١٥٤/١.

(٨) في الأصل: يصلي. ينظر الأوسط ٩٨/٤، والإجماع ٤٠/١. المؤلف يتبع ترتيب وعبارة كتاب الإجماع.

(٩) الأوسط ٣٣١/٤، والإجماع ٤٠/١، والإقناع ١٥٤/١.

(١٠) الأوسط ٣٣١/٤، والإجماع ٤١/١.

(١١) الإقناع ١٦٦/١-١٦٧.

(١٢) الأوسط ٣٥٤/٤، والإجماع ٤١/١.

٢٢. وأجْمعُوا على أنّ الـمُقيمَ إذا ائتمَّ بـمُسَافر، وسَلَّم الإمَامُ من ركْعتين، أنّ عليْه هو تَمامُ صَلاتِه[١].

٢٣. وأجْمعُوا على جَواز الصَّلاة قاعِدًا لمنْ لا يُطيقُ القيَام[٢].

٢٤. وأجْمعُوا على أنَّ مَن نَسيَ صَلاةً ثُم ذكرهَا يُصلِّيهَا في الَوقتِ الذي ذَكرهَا، ولا يُؤخرُها إلاَّ لصَلاحهَا، كالوُضُوء وما أشْبهُ[٣].

٢٥. وأجْمعُوا على أنَّ السَّكْران يَقْضي الصَّلاة[٤].

٢٦. وأجْمعُوا على أنَّ للمَطلُوبِ[٥] الـخَائفِ أن يُصلِّي على الدَّابَّة[٦].

٢٧. وأجْمعُوا على [أن] الحُرّة البَالغة، إذا صلّت وجميعُ رأسِها مكشُوفٌ، فإنَ الإعَادة عليْها[٧].

٢٨. وأجْمعُوا على أن ليْس على الأَمَة أنْ تُغطِّي رأْسهَا إذا كانتْ دُون بعْل[٨].

٢٩. وأجْمعُوا على أنَّ ما بيْن العِشاء إلى طُلُوع الفجْر وقْتُ الوتْر[٩].

(١) الأوسط ٣٦٥/٤، والإجماع ٤١/١، وقد اتبع المؤلف هنا ترتيب وعبارة ابن المنذر.

(٢) الأوسط ٣٧٣/٤، والإجماع ٤٢/١، والإقناع ١٦٩/١. وعبارتهم كلهم هكذا: "وَأَجْمعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ فَرْضَ مَنْ لَا يُطِيقُ الْقِيَامَ أَنْ يُصَلِّيَ جَالِسًا، أَوْ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ إِنْ عَجَزَ عَنِ الْجُلُوسِ".

(٣) الإقناع ١٢٦/١، وعبارته: "واتفقوا على أن من نام عن صلاة أو نسيها أو سكر من خمر حتى خرج وقتها؛ فعليه إعادتها". وهذه العبارة أدق من التي ذكرها المؤلف، لأنه وقع اختلاف بين العلماء في قضاء الصلاة في الوقت الذي ذكرها فيه، كما لو ذكرها مثلا عند طلوع الشمس، أو إذا ذكرها أثناء صلاة أخرى، أو عند دخول وقتها؛ أما القضاء الذي ذكره ابن القطان فلا خلاف فيه؛ ولعل الأصوب في العبارة هو القضاء وليس الإعادة.

(٤) الأوسط ٣٩٦/٤، وعبارته: "وكان سفيان الثوري، والشافعي، وجماعة يقولون: يقضي السكران الصلاة. وكذلك نقول، ولست أحفظ عن أحد من أهل العلم أنه أسقط عنه الإعادة". والإجماع ٤٢/١، والإقناع ١٢٦/١

(٥) في الأصل: المطلوب.

(٦) الأوسط ٤٢/٥، والإجماع ٤٢/١، والإقناع ١٧٠/١.

(٧) الأوسط ٦٩/٥، والإجماع ٤٣/١، والإقناع ١٢٢/١.

(٨) الإجماع ٤٣/١، والإقناع ١٢٢/١.في هذه المسألة اختلاف بين ما ذكره المؤلف وبين ما ذكره ابن المنذر وابن القطان من جهتين: الأولى أنه لم يذكر استثناء الحسن البصري من هذا الإجماع. الثانية أنهما لم يذكرا اشتراط ألا يكون لها بعل كما ذكره المؤلف في المسألة. وذكر هذا الشرط في الأوسط ٧٦/٥.

(٩) الأوسط ١٩٠/٥، والإجماع ٤٣/١، والإقناع ١٧٥/١-١٧٦.

[كتَابُ الجنَائز]

١. وأجْمعُوا على أنّ المرْأة تغسلُ زوْجهَا، وتغسلُ الصَّبيَّ الصَّغير[١].

٢. وأجْمعُوا على أنَّ الميِّت يُغسلُ كغسْل الجنَابة[٢].

٣. وأجْمعُوا على أن لا يُكفَّنُ الميِّتُ في الحَرير[٣]. وأجْمعُوا على أنَّ الصَّبيَّ، إذا عُرفتْ حيَاتُه واسْتهلَّ صارخًا، يُصلَّى عليْه[٤].

٤. وأجْمعُوا على أن الحُرّ أولى بالإمَامة مِن العَبْد[٥] إذا تَساويَا في شُرُوط الإمَامَة[٦].

٥. وأجْمعُوا على أن الـمُصلِّي عَلى الجنَازة يرفعُ يديْه أوَّل تكْبيرة[٧].

٦. وأجْمعُوا على أنَّ دفْن الميِّت وَاجبٌ، وإذا قَام بدَفْنه أحدٌ سَقط فرْضُه عن الْباقين[٨].

كتَابُ الأطْعمةِ والأشْربةِ

١. وأجْمعُوا على أنَّ كُلّ ما قُطع من الأنعَام، وهي أحْيَاء، أنَّها ميْتة يحرُمُ أكلُه[٩].

٢. وأجْمعُوا أنَّ لحُوم الطَّير، إذا لم تكُن من ذي المخْلب ولم تكُن مِن جُملة ما أبَاح النَّبيُّ، قتْلَه في الحَرَم[١٠]، جَائزٌ[١١].

٣. وأجْمعُوا على[١٢] إباحَة لحْم الجَراد إذا وُجدَ ميتًا. وانْفردَ مَالكٌ واللّيْث بنُ سعيد فحرَّماه.

---

(١) الإجماع ٤٤/١، والإقناع ١٨٥/١.

(٢) الإجماع ٤٤/١، والإقناع ١٨٢/١.

(٣) في الأصل: الحر. ويبدو أن الناسخ ترك الكلمة غير كاملة بمقدار حرفين. ينظر الإجماع ٤٤/١، والإقناع ١٨٦/١، وفيه: "وأجمع العلماء على كراهية الخز والحرير للرجل في الكفن".

(٤) الأوسط ٤٠٣/٥، والإجماع ٤٤/١، والإقناع ١٨٢/١.

(٥) في الأصل: بالعبد.

(٦) الأوسط ٤٢٢/٥، والإجماع ٤٤/١، والإقناع ١٨٧/١.

(٧) الإجماع ٤٤/١، والإقناع ١٨٦/١.

(٨) في الأصل: البنين. ينظر الإجماع ٤٤/١، والإقناع ١٨٨/١.

(٩) الإجماع ١٣١/١، والإقناع ٣٢٢/١، وأضاف: "واختلفوا فيما قطع من المذكى قبل تمام زهوق نفسه".

(١٠) في الأصل: الحرام.

(١١) الإجماع ١٣١/١، والإقناع ٣٢٣/١.

(١٢) في الأصل: على أن إباحة.

٤. وأجْمعُوا على إبَاحتهِ إذا وُجد حيًّا فقُطع رأْسُه[١].

٥. وأجْمعُوا على إبَاحَة أكْل صَيدِ البَحْر[٢] للحَلال والمُحْرم، وبيْعه وشرائه[٣].

٦. وأجْمعُوا على أكْل الميْتة عند الضَّرورة[٤].

كتابُ الصِّيام

١. وأجْمعُوا [على] أنّ الله تعالى حرّم على الصَّائم في نهَاره الجماعَ والأكْلَ والشّربَ.

٢. وأجْمعُوا على أن مَنْ اسْتقاءَ عمْدا يقْضي يَومَهُ ذلك؛ واخْتلفُوا في الكفَّارة عليْه[٥].

٣. وأجْمعُوا على أنَّ الصَّوم لا يصِحُّ إلاّ بنيَّة؛ ثمَّ اختلفُوا هل في كُل ليْلةٍ أم في أوَّل ليْلة[٦].

٤. وأجْمعُوا على أنّ السّحُور منْدوبٌ إليْه[٧].

٥. [وأجمعوا][٨] على أنَّ مَن ذَرعَه[٩] القيْءُ فلا شيْء عليْه[١٠]، إلاَّ الحسن، فإنَّه قال عليْه القضَاءُ؛ وقالوا: لا قَضاءَ مَرة أخْرى[١١].

٦. وأجْمعُوا [على] أن لا شيْء على الصَّائم فيمَا يبتلعُه مما يجْري مَجْرى الرِّيق إذا لم يُمكِنْه الاْمتناع منْه مما بيْن أسْنَانه[١٢].

---

(١) الإجماع ١٣١/١، والإقناع ٣١٠/١.

(٢) في الأصل: أكل الصيد النجد للحلال والحرام. ولعل الصواب ما أثبته، وهو الموافق لما هو عند ابن المنذر.

(٣) الإجماع ٥٤/١، ١٣١/١، والإقناع ٢٦٠/١، ٣١٠/١.

(٤) الإجماع ١٣١/١، والإقناع ٣٢٤/١، وفيه أضافة، وهي قوله: "ولم يأكل من أمسه شيئًا، ولم يك قاطع طريق، ولا مسافرًا سفرًا لا يحل".

(٥) الإجماع ٤٩/١، والإقناع ٢٣٤/١، وفيه: "وأوجب النبي القضاء على المستقيء عامدًا، ولم يوجب عليه الكفارة، وأجمعوا على هذا إلا عطاء وحده فهو شاذ، وقد اختلف في ذلك عنه، أعني المستقيء".

(٦) الإجماع ٤٩/١، والإقناع ٢٢٧/١.

(٧) الإجماع ٤٩/١، والإقناع ٢٣٠/١.

(٨) زيادة يستقيم بها التركيب.

(٩) لسان العرب: وذرعه القيء، إذا غَلبه وسَبق إِلى فِيهِ.

(١٠) يبدو أن هذه المسألة هي تتمة للمسألة التي قبلها (من استقاء عمدا).

(١١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: "وقال لا قضاء مرة أخرى". والمقصود أنه نقل عنه عدم القضاء في رواية أخرى، وهو الوارد عند ابن المنذر (الإجماع ٤٩/١)، إذ قال: "وانفرد الحسن البصري، فقال: عليه، ووافق في أُخرى". وكذلك في الإقناع ٢٣٧/١.

(١٢) الإجماع ٤٩/١، والإقناع ٢٣٧/١.

٧. وأجْمعُوا على أنَّ المرأةَ إذا كان عليْها صوْمُ شهْرين، ثم حاضَت في بعْضها أنَّها تبْني إذا طهُرت[١].

٨. وأجْمعُوا على أنَّ للهَرِم[٢] من الرِّجال والنِّساء أن يُفطرُوا؛ واخْتلفُوا في وُجُوب الإطْعام عليْهما[٣].

٩. وأجْمعُوا [على] أن [صوْم][٤] يومِ الفطْر والأضْحى مُحرّمٌ[٥].

كتابُ الضَّحايَا

١. وأجْمع[٦] أهْلُ العلْم على أنَّ الضَّحايا لا يجُوزُ ذبحُها قبْل الفجْر منْ يوْمِ النَّحر[٧].

٢. وأجْمعُوا على إطعَام الفُقراء والمسَاكين من لُحُوم الضَّحايا[٨].

٣. وأجْمعُوا على أنَّ من يجُوز ذبحُه، إذا سمَّى الله وقُطع الحُلقومُ والمريءُ[٩] والوَدجَان وسَال الدَّم، أنّ الذَّبيحةَ مُباحٌ أكلُها[١٠]؛ واخْتلفُوا في قطْع بعْض ذلك منْ بعْض.

٤. وأجْمعُوا على إباحَة ذبيحَة الأخْرس[١١].

٥. وأجْمعُوا على أنَّ الجنينَ إذا خرَج حيًّا أنَّ ذكاة أمِّه ليْس بذكاةٍ له[١٢].

٦. وأجْمعُوا على أنّ ذبْح الصَّبيِّ، أو المرأة من المسْلمين، وأهْلَ الكتابِ، جائزٌ إذا أحْسنُوا الذَّبح

---

(١) الإجماع ٥٠/١، والإقناع ٢٣٩/١.

(٢) في الأصل: الهريم.

(٣) الإجماع ٥٠/١.

(٤) زيادة ليستقيم المعنى.

(٥) الإقناع ٢٣٢/١.

(٦) في الأصل: وأجمعوا أهل العلم.

(٧) الإجماع ٦٠/١، وفي الإقناع ٣٠٤/١: "ولا خلاف بين العلماء أن من ذبح ضحيته قبل أن يغدو إلى المصلى فقد فعل ما لا يجب، وأنه لا أضحية له. ولا خلاف أن عليه إعادة ما أفسد من ضحيته تلك إذا ذبحها قبل وقتها".

(٨) الإجماع ٦١/١، والإقناع ٣٠٥/١.

(٩) في الأصل: المدي.

(١٠) في الأصل: أكله. ينظر الإجماع ٦١/١، وفيه: "وأجمعوا على أن المرء إذا ذبح ما يجوز الذبح به، وسمى الله، وقطع الحلقوم والودجين..."، والإقناع ٣١٨/١.

(١١) الإجماع ٦١/١، والإقناع ٣٢٠/١.

(١٢) والإقناع ٣٢١/١.

وسمَّوا الله[١].

٧. وأجْمعُوا على أنّ ذبَائح المجُوس حرامٌ[٢].

٨. وأجْمعُوا على أنّ ذبائحَ أهلِ الكتابِ حَلالٌ إذا سمَّى الله عليْها[٣].

٩. وأجْمعُوا على أن الكِلابُ جوارحٌ، يجُوز أكلُ ما أمْسكنَ على المُرسِل[٤] إذا ذكَر اسْمَ الله وكان مُسلمًا، إلاّ ما اختُلف فيه من الكلْبِ الأسْود، والفُهُود والسِّباع، والطُّيور[٥].

كتَابُ العدَّة

١. وأجْمعُوا على أنَّ عِدّة الحُرّة التي ليسَتْ بحامِل من وفَاة زوْجهَا أرْبعَة أشْهُر وعشْرا، مدخُولا بها أو غير مدخُول، صغيرَة لم تبْلُغ أو كبيرةً بالغَة[٦].

٢. وأجْمعُوا على أن للمَرأة المُطلَّقة، التي يملِّكُها زوجُها رجعتَها، السُّكنى والنَّفقة[٧].

٣. وأجْمعُوا على أنَّ الحاملَ لها النَّفقةُ إذا ملكت نفْسهَا[٨].

٤. وأجْمعُوا على أنّ الوَلدَ لا يلحقُ بالزَّوج مِن أقلّ من ستَّة أشْهُر[٩].

٥. وأجْمعُوا على إلحَاقه مِن ستَّة أشهُر من عقْد نكاحهَا[١٠].

٦. وأجْمعُوا على أنّ عدَّة الحامل وضْعُ حمْلها[١١].

٧. وأجْمعُوا على أن العدَّة للمَرأة تنْقضي بالسَّقط[١٢].

---

(١) الإجماع ٦١/١-٦٢، والإقناع ٣٢٠/١.

(٢) الإجماع ٦١/١، وأضاف: "وانفرد سعيد بن المسيب"، والإقناع ٣٢١/١.

(٣) الإجماع ٦١/١، والإقناع ٣٢٠/١ .

(٤) في الأصل: كل ما استمكن المرسول.

(٥) الإجماع ٦٢/١، والإقناع ٣١٢/١.

(٦) الإجماع ٩٠/١، والإقناع ٤٤/٢.

(٧) الإجماع ٩١/١، والإقناع ٥٧/٢.

(٨) الإقناع ٥٥/٢.

(٩) الإجماع ٩١/١

(١٠) الإجماع ٩١/١، والإقناع ٧٣/٢.

(١١) الإجماع ٩١/١.

(١٢) الإجماع ٩١/١.

٨. وأجْمعُوا على أنّ المرأة إن لم تعْلم بطلاق زوجِها إيَّاها أو موْت، ثم وضَعتْ أن عِدَّتها قد انْقضَتْ[١].

٩. وأجْمعُوا على أنّ اللَّواتي عدَّتهُن ثلاثةُ أشهُر، إذا رأتْ إحداهُنَّ دم الحيْضة في أثْناء الشُّهُور من عدَّتها، أنها تسْتأنفُ بالدِّماء[٢].

١٠. وأجْمعُوا على أنّ المطلَّقة النُّفسَاء لا تعْتدُّ بهذا النِّفاس، ولكن تسْتأنفُ ثلاثة قُرُوء[٣].

١١. وأجْمعُوا على أنّ المطلَّقة التي يملِّكُها زوجُها رجعتها لها عدّةُ الوفاة إذا مَات البعْلُ في عدَّتها[٤].

١٢. وأجْمعُوا على أن عدَّة الأَمَة منْ وفاة زوْجها شَهران وخمسُ ليالٍ، وفي الطَّلاق حيْضَتان[٥].

كتَابُ الإحْدَاد

١. ليْس في مَسائله إجماعٌ، إلاَّ أن الحسن البصْري يقُول: لاَ إحْداد عليْها في لبْسٍ ولا في غيْره؛ وكذلكَ انفَردَ عطاء في لبْس الحرير[٦] والفضَّة لها في العدَّة من الوَفاة، ولا حلي[٧] كان عليها حين الوفاة من الفضة. وأجاز الحسن الطيب والزينة[٨].

٢. وأجْمعُوا على أن للمرأة في عدة الوفاة لبس الأبيض[٩].

٣. كتَابُ المتْعَة

٤. لم يثبت فيه إجماع[١٠].

---

(١) الإجماع ٩١/١، والإقناع ٤٦/٢.

(٢) الإجماع ٩١/١، والإقناع ٤٨/٢.

(٣) الإجماع ٩١/١، والإقناع ٤٨/٢.

(٤) الإجماع ٩٢/١، والإقناع ٤٤/٢، ٤٨.

(٥) الإجماع ٩٢/١، زاد في الطلاق، فقال: "وانفرد ابن سيرين، فقال: عدتها عدة الحرة إلا أن يكون مضت في ذلك سنة"، وزاد في الوفاة: "وانفرد ابن سيرين، فقال: أربعة أشهر وعشرًا". وكذلك فعل ابن القطان في الإقناع ٥١/٢.

(٦) في الأصل: الحلي.

(٧) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: "وكل حلي".

(٨) الإجماع ٩٢/١-٩٣، وفيه: "وأجمعوا على منع المرأة المحدد من لبس الحرير، وانفرد عطاء: فكان لا يكره لها لبس الفضة، إذا كان عليها حين مات". والإقناع ٥٤/٢.

(٩) في الأصل: البيض.

(١٠) هكذا قال أيضا ابن المنذر في الإجماع ٩٣/١.

كتابُ الرّجْعة

١. وأجْمعُوا على أن للرَّجُل الرّجعَة [...][١] وإن كرهَت المرأة مَا دامت في العدّة، ولا تكُون إلا بشَاهدين.

٢. وأجْمعُوا على أن الرّجعة بغيْر مهْر.

٣. وأجْمعُوا على أنها إذا انقضَت عدّتهُا، فقال الزَّوج: إني كنْتُ راجعْتكِ في عدّتك، أن القوْل قولُها؛ ولاَ سبيلَ له عليْها. وقال كلُّ النَّاس مع يَمينها، إلا أبا حنيفة، فإنَّه يمنعُ الأيْمان في النّكاح والرّجعَة[٢].

٤. وأجْمعُوا على أنّ المرأة إذا قالتْ عند انقضَاء عشْرة أيّام: قد انقضَتْ عدَّتي؛ وحاضتْ ثلاثَ حيضاتٍ أنَّها لا تُصدّق، إلاّ أن تكُون قد وضَعت أو أسْقطت سقْطا اسْتبان تصْويرُه[٣].

كتَابُ المُرتَدّ

١. وأجْمعُوا على [أن] النَّصرانيِّين إذا أسْلم[٤] أحدهُما، ولهُما أولادٌ بالغُون، رجَالا ونسَاء، أنهُم لا يكُونُون مُسلمين بإسْلام أيِّهما أسْلم منهُما[٥].

٢. وأجْمعُوا على أن المجنُون إذا ارتدَّ في حال جُنُونه أنهُ مُسلمٌ على ما كان عليْه قبْل ذلك؛ ولو قتلَهُ قاتلٌ عمْدا كان عليْه القَوَدُ إذا طلبَ أولياؤُه ذلك[٦].

٣. وأجْمعُوا على أن العبْد، إذا ارتدَّ فاستُتيبَ ولم يتُب، قُتل[٧].

٤. وأجْمعُوا على أن من سَبّ النبي محمدا، فقد وجَب عليْه القتْلُ[٨].

٥. وأجْمعُوا على أن مَال المرتدِّ لا يزُولُ عن ملْكه بارْتدَادِه، وبرجُوعِه إلى الإسْلام يرجعُ إليه مَالُه ما لم يلْحَق بدار الحرْبِ[٩].

---

(١) في هذا الموضع كلمة لم أتمكن من قراءتها. ولعلها "السنية".

(٢) الإجماع ٩٣/١-٩٤، والإقناع ٣٩/٢-٤١.

(٣) الإجماع ٩٤/١.

(٤) في الأصل: أسلموا.

(٥) الإجماع ١٢٧/١.

(٦) الإجماع ١٢٨/١، والإقناع ٢٧٠/٢.

(٧) الإجماع ١٢٨/١.

(٨) الإجماع ١٢٨/١، والإقناع ٢٧٠/٢.

(٩) الإجماع ١٢٨/١، والإقناع ٢٧٠/٢.

٦. وأجْمعُوا على أنّ الكافرَ، إذا قال: لا إله إلا الله، وأشْهدُ أن محمَّدا عبدُه ورسُولُه، وأنّ كلَّ ما جاء به محمَّد حقٌّ، ويتَبرأُ من كلِّ دينٍ خَالف[1] الإسْلام، وهو بالغٌ صحيحُ العقْل، أنهُ مسْلمٌ. وإن رجَع بعْد ذلك للكُفر كان مُرتدًا يجبُ عليه ما يجبُ على المرتدّ، إذا استُتيب ولم يتُب القتْلُ عليه بشَهادة شاهديْن. وانفرد الحسنُ، فقال: لا يُقبلُ في القتْل إلاّ شهَادةُ أربعَة[2].

تمت المسائل بحمد الله وعونه.

لائحة المصادر والمراجع

- الإجماع، أبو بكر محمد ابن المنذر، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤ م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي المراكشي، راجعه عبد الواهب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٣.
- الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسن ابن القطان، تحقيق حسن فوزي الصعيدي، دار الفاروق الحديثة، ط١، ٢٠٠٤ م.
- الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر محمد ابن المنذر، تحقيق أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٨٥ م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، دار الكتبي، ط١، ١٩٩٤م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، اعتنى به الشيخ محمد ابن أبي شنب، الجزائر، ١٩٠٨.

(١) في الأصل: خلا فيه. ولعل الصواب ما أثبته، وهو الوارد كذلك عند ابن القطان في الإقناع ٢٧١/٢، وينظر كذلك الإجماع لابن المنذر ١٢٨/١.

(٢) الإجماع ١٢٨/١، والإقناع ٢٧١/٢.

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، أبو زكرياء يحي بن أبي بكر ابن خلدون، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، ١٩٠٣.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي، دار الكاتب العربي – القاهرة، ١٩٦٧ م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
- تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، بدر الدين الزركشي الشافعي، دراسة وتحقيق: سيد عبد العزيز وعبد الله ربيع، مكتبة قرطبة، ط١، ١٩٩٨ م.
- التكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله محمد ابن الأبار، تحقيق عبد السلام الهراس دار الفكر للطباعة، لبنان،
- ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، أحمد ابن القاضي المكناسي، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٣.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، برهان الدين ابن فرحون اليعمري، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي، حققة وعلق عليه إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٢ م.
- الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط، دراسة وتحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط، المملكة المغربية، ط١، ١٩٩٧.
- روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد الكتاني، دار الثقافة، ط١، ١٩٧٠.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية محمد بن محمد مخلوف، علق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- شرح أسماء الله الحسنى، أبو إسحاق ابن دهاق، دار الكتب العلمية، تحقيق يوسف الوهال، دار الكتب العلمية، ٢٠٢٠م.

- شرح العقيدة الكبرى، أبو عبد الله السنوسي التلمساني، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، دار التقوى، دمشق، ط١، ٢٠١٩.
- شرح العقيدة الوسطى، أبو عبد الله السنوسي التلمساني، تحقيق أنس محمد الشرفاوي، دار التقوى، دمشق، ط١، ٢٠١٩.
- شرح النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، ابن زكري الفاسي، تحقيق عاصم ابراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- شرح زروق على عقيدة الغزالي، أبو العباس أحمد زروق، تحقيق محمد عبد القادر نصار، دارة الكرز، ط١، ٢٠٠٧.
- شفاء السائل وتهذيب المسائل، أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٦.
- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى المكي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨ م.
- "الشُّوذيَّة حلقة مفقودة في التصوُّف الأندلسيِّ: ابن المرأة الأندلسيُّ، حياته وتصوُّفه"، محمد حلمي عبد الوهاب، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، ع١، ٢٠١٨، ص ص: ٤١-٧٠.
- عقيدة الإمام العارف بالله شهاب الدين أبي العباس أحمد زروق من خلال كتبه وشروحه، تحقيق محمد إدريس طيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧.
- عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، أبو العباس الغِبْرِيني، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
- الفوائد السنية في شرح الألفية، شمس الدين البرماوي، تحقيق عبد الله رمضان موسى، ط١، ٢٠١٥ م.
- قواعد التصوف، أبو العباس أحمد زروق، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٥.
- لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢ م.
- المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية، أبو الحسن اليفرني، تحقيق جمال علال البختي، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية.
- "المدرسة الشوذية في التصوف الأندلسي"، أبو الوفا الغنيمي، مجلة المعهد المصري، ع ٢٣، مدريد ١٩٨٥-١٩٨٦.

- معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، أبو عبد الله ابن الأبار، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ٢٠٠٠ م.
- معجم مصطلحات المخطوط العربي، الخزانة الحسنية الرباط، ط٣، ٢٠٠٥.
- موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، إعداد أسامة بن سعيد القحطاني ومجموعة من المؤلفين، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ط١، ٢٠١٢ م.
- النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، أبو العباس أحمد زروق، تحقيق عبد المجيد الخيالي، ط١، ٢٠٠١.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا، طبعته وكالة المعارف الجليلة، استانبول ١٩٥١م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- مراجع أجنبية

- Ibn al-Marʾa, Abū Isḥāq, D. Urvoy, Biblioteca de Al-Andalus, IV, Almeria, 2004 .
- “Journeying from the apparent to Absolute Being: Ibn Sabʿīn and his predecessors”, Carlos Berbil Ceballos. An article on Website: https://ibnarabisociety.org.
- The Link of the article.

https://ibnarabisociety.org/journeying-to-absolute-being-carlos-ceballos/

حكاية حمامة
الذهب مع
بنت الملك

حكاية
حمامة الذهب مع بنت الملك

المنسوبة إلي الصحابي الجليل كعب الأحبار
(توفي ٣٢هـ - ٦٥٢م)
ينشر لأول مرة

تقديم وتحقيق:

الدكتور محمود محمد مكى

مصـر

مقدمة المحقق

ثَمةَ أربع شخصيات مهمة أهتمت بالقصص الخيالي فى صدر الإسلام وأول عهده، وكلهم من أهل الكتاب صراحة. ثلاث منهم من اليهود وهم عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن مُنبه، والرابع مسيحي الديانة. اثنان من اليمن: كعب الأحبار ووهب بن مُنبه، وواحد من المدينة المنورة: عبد الله بن سَلام، والرابع من الشام :تميم الداري. منهم اثنان ثبتت لهم صُحبة مع النبي : وهما تميم الداري (توفى عام ٤٠هـ ٦٦٠=م (وعبد الله بن سَلام (توفي عام ٤٣هـ ٦٦٣=م(، واثنان أحدهما عاصر النبي واختُلِفَ هل له صحبة أم لا وهو كعب الأحبار(توفي عام ٣٢ هـ ٦٥٢=م) والرابع تابعى وهو وهب بن مُنبه (توفي عام ١١٤ هـ ٧٣٢=م(قاضى صنعاء. ومعظم القصص الخيالي تُنسب لهؤلاء الأربعة بطريقة أو بأخرى، وهذا النص الذى بين أيدينا لكعب الأحبار وهو لم يُدْرِسْ أو يُنشر من قبل، فمن هو كعب الأحبار صاحب القصة أو الحكاية التى وردتْ على لسانه فى مخطوطة وحيدة؟

أولا: عن حياة كعب الأحبار[١]

الشيء المؤكد فيما ورد عن حياة كَعْب الأحبار أنه يهودي من أصول يمنية أدرك عهد الإسلام الأول، فى خلاف هل أسلم على عهد النبي محمد (ﷺ) أم أسلم فى عهد أبى بكر الصديق أم فى عهد عمر بن الخطاب؟ ففى الطبقات الكبري لابن سعد[٢] (المتوفى عام ٢٣٠ هـ = ٨٤٥م (وأُسْد الغابة [٣] لابن الأثير)المتوفي عام٦٣٠ هـ١٢٢٣=م(أن كعبَ الأحبار هو كعب بن ماتع، وكان يُكنى أبا إِسْحَاق. أدرك عهد النَّبِيّ(ﷺ) ولم يره. وتقول هذه المصادر إن إسلامه كانَ في خلافة عُمَر بن الخطاب رَضِي اللَّه تَعالى عنه. وجاء أيضا في طبقات ابن سعد أنّ كعب الأحبار كان يُلام عَلَى إبطائه فى أنه لم يأتِ على عهد رسول اللَّه (ﷺ) لكى يُسْلم ولكن كعبا رد: خرجتُ حتَّى أتيتُ ذات قَرنات[٤]، فَقِيلَ لي : أَيْنَ تأخذُ يا كعب؟

---

(١) ترجمته فى طبقات ابن سعد ٣٠٩\٧-٣١٠، وأسد الغابة ٤٦٠\٤، وتاريخ الإسلام للذهبى ٢٤٢\٢ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤٧٢\٢-٤٧٤ والزركلى ٢٢٨\٥.

(٢) ابن سعد٣١٠\٧.

(٣) ابن الأثير.٤٦٠\٤.

(٤) كذا فى أسد الغابة ٤٦٠\٤، وهى غير موجودة فى معاجم البدان، ولعلها ذات القرنين، حيث يقول ياقوت الحموى: ذات القرنين فى أعلى وادى دولان من ناحية المدينة، وسميت ذات القرنين لأنها بين جبلين. (معجم البلدان، ٣٣٣\٤).

قلتُ : أريدُ هذا النَّبِيّ (ﷺ).

فقِيلَ: والله لئن كَانَ نبيًا إنه الآن لتحت التراب.

فخرجتُ، فإذا أَنَا براكب، فقلت له: ما الخبر؟

فَقَالَ : ماتَ مُحمَّدٌ، وارتدتْ العربُ[1].

وهو حِميري من آل ذِي رَعين. وكان على يهوديته لما قدم المدينة وأسلم علَى عَهْدِ عمر بن الخطاب، ثم خرج إلى الشام حيث سكن حمص وبها تُوُفّي غازيا سَنَة اثْنَتَيْنِ وثَلاثينَ فِي خِلافَة عثْمانَ بن عفان، وعَمّرَ حتى جاوز المائة بأربع سنوات. وفى الأعلام للزركلى أنه تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر الصديق، وقَدِمَ المدينة في دولة عمر، فأخذَ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة[2].

وكان أَبُو الدَّرْدَاء يقول عنه: إِنَّ عند ابْنِ الْحِمْيَرِيَّةِ لَعِلْمًا كَثِيرًا[3]. وثمة رواية عن كعب الأحبار فى تاريخ الإسلام للذهبي أن كعب الأحبار قال: لأنْ أبكي من خَشْية الله أحبّ إليّ من أنْ أتصدّق بوزْني ذَهَبًا. وكعب الأحبار نفسه حَدَّث عَنْ عُمَرَ بن الخطاب، وَصُهَيْب الرومي، وَغَيْر وَاحِد من الصحابة. وممن رَوَى عَنْهُ: ابن امرأته تُبَيْع الحِمْيَرِيّ، وأسْلمُ مولى عُمَر، وأبو سلّام الأسود، وآخرون. ومن الصحابة أيضا أَبو هُريرَة وابن عباس ومعاوية بن أبى سفيان.

ثانيا: كتب تنسب لكعب الأحبار

تنسب إلى كعب الأحبار حوالى سبعة أعمال ما بين كتب ورسائل وهي:

١- كتاب "سيرة الإسكندر وما فيها من العجائب والغرائب".

٢- وفاة موسى.

٣- السلك الناظم فى علم الأوائل والأواخر.

٤- حديث ذى الكفل.

٥- "حديث حمامات[4] الذهب وحديث إفراقيسون".

٦- توجد قطعة من مروياته حول أدم وحواء فى كتاب الإكليل.

٧- أخبار عثمان عفان.

---

(١) ابن سعد ٧\٣١٠

(٢) الزركلى، الأعلام ٥\٢٢٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٧\٣١٠.

(٤) كذا عند فؤاد سزكين، المجلد الأول، الجزء الثاني: التدوين التاريخي، ص ١٢٢.

ثالثا: نسبة مخطوطة "حكاية حمامة الذهب مع بنت الملك" لكعب الاحبار

١-قال فؤاد سزكين فى كتابه "تاريخ التراث العربى" [المجلد الأول، الجزء الثاني: التدوين التاريخي، ص ١٢٢] إن كعب الأحبار له كتاب "حديث حمامات الذهب وحديث إفراقيسون بنت الملك".

٢- "فهرس المخطوطات العربية فى برلين" لآلورد Alwardt حيث قال إن "حكاية حمامة الذهب" فى [مجموع رقم ٩٠٦٠ في المجلد ٨ ص ٥٠، وتشمل الصفحات من المخطوطة: من ١٥٨ حتى ٢٠٧] هى لكعب الأحبار.

٣- يَنْسبُ كتاب "معجم تاريخ التراث الإسلامي فى مكتبات العالم" لعلى رضا قرة بلوط، الصادر فى تركيا، [ص ٢٤٠٠] "حديث حمامات الذهب" إلى كعب الأحبار.

٤- ومخطوطة برلين نفسها [رقم ٩٠٦٠] أيضا تحمل هذا العنوان, حيث ورد عنوان المخطوطة فى أول صفحة: "حكاية حمامة الذهب مع بنت الملك". ولكنها جاءت غُفلا من اسم المؤلف ولكن كعب الأحبار هو راوي الحكاية نفسه في متن الكتاب.

رابعا: العنوان

جاء العنوان فى مخطوطة برلين باسم "حكاية حمامة الذهب مع بنت الملك" فى مجموع رقم ٩٠٦٠، وجاء فى كتاب "معجم التراث الإسلامي" أيضا [ص٢٤٠٠] وفى كتاب "تاريخ التراث العربى" لفؤاد سزكين فى الصفحة المشار لها سابقا: "حديث حمامات الذهب وحديث إفراقيسون". وكان الاختلاف فى كلمة "حكاية" – إلى جانب الاختلاف فى المصادر بين حمامة وحمامات - التى ذُكرتْ فى الأولى فى حين ذُكرتْ فى المصدر الثاني والثالث كلمة "حديث" بدلا من كلمة "حكاية" فى العنوان، إلى جانب ذكر اسم والد بطلة الحكاية صراحة فى العنوان وهو الملك إفراقيسون" وهذا دليل على أن أول من أورد خبر مخطوطة دار الكتب بالقاهرة التى ذكرها سزكين فى "تاريخ التراث العربي" وقرة بلوط فى "معجم تاريخ التراث الإسلامي" لابد أنه اطلع عليها ولعلها كانت تختلف عن نسخة برلين ولو من حيث العنوان، أمّا فى نسخة برلين فقد ورد اسم الملك، والد قلقسين بطلة الحكاية، باسم: تافيل وليست إفراقيسون.

خامسا: وصف المخطوطة

وصلنا كتاب كعب الأحبار فى مخطوطة وحيدة ولا نعرف غيرها حتى الآن، هى مخطوطة برلين رقم ٩٠٦٠ وعنوانها "حكاية حمامة الذهب وبنت الملك" وتشمل الصفحات ١٥٨ حتى ٢٠٧ وهى فى مجموع حجمه ٢٠٧ من الصفحات. ولم تذكر المخطوطة اسم المؤلف ولا اسم الناسخ وإنما ذكرتْ الحكاية على لسان كعب الأحبار. كُتبتْ على ورق أبيض يميل الى الزُرقة

حجم الورقة ١٤x٢١,٥

وحجم النص X١٥,٥ ٩

وفي كل صفحة ١٦ سطرا

نوع الخط: نسخ

كُتِب عناوين المخطوطة باللون الأحمر، وأحيانا أعلامها بنفس اللون، فى حين كُتبِتَ بقية المخطوطة بحبر لونه بين الرمادي والأسود. ولم يُذكر اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، وفى الصفحة الأولى يُنسب النص صراحة إلى كعب الأحبار ويُروى على لسانه.

بقيتْ ملحوظة وهى أن "معجم تاريخ التراث الإسلامي"[١] يَنسبُ المخطوطة إلى كعب الأحبار ويذكر أنها توجد فى القاهرة برقم [ملحق ١\٢٧٧ من ١-١٩]، وكذلك كتاب «تاريخ التراث العربى» [المجلد الأول، الجزء الثاني: التدوين التاريخي، ص ١٢٢] ينسبها أيضا إلى كعب الأحبار ويقول إن منها نسخة موجودة فى دار الكتب فى "القاهرة، ملحق ١\٢٧٧ من ١-١٩"[٢]، ولكن حين رجعت إلى هذا الرقم فى دار الكتب لم أجد له ذكرا للأسف، وكلا المصدران لم يذكرا شيئا عن نسخة برلين

سادسا: أهمية المخطوطة والغرض من تحقيقها

على الرغم من أن صفحة غلاف مخطوطة "حكاية حمامة الذهب مع بنت الملك" ومتنها جاءتا غفلا من اسم الكاتب والناسخ معا، وكذلك مكان النسخ وتاريخه أيضا، إلّا أن نوعية الحبر والخط ربما تشيان أنها كُتبتْ ليس قبل القرن الخامس عشر الميلادي\التاسع الهجري؛ لأن لغتها تميل إلى لهجة العامة أحيانا وإلى أسلوب الحكى أحيانا أخرى، فكاتبها يميل إلى استخدام الدارج من الألفاظ والسهل من مفردات اللغة، وواضح أنها تسجيل لحكاية مشهورة كانت تُروى شفاهة، وآية ذلك أن عنوانها يحمل مرة كلمة "حكاية.." وأخرى كلمة "حديث..."، وكلا اللفظين يشير إلى السرد والقص والحكى سواء قراءة أو شفاهة.

وأهمية المخطوطة، وهى حكاية أدبية لم تنشر أو تحقق من قبل، ولعل تحقيقها ونشرها يفيدنا كثيرا فى:

أولا، أنه بتحقيقها نكون أخرجنا للقارئ المعاصر نصا مهما من تراثنا القصصي لم تمتد له يد العناية من قبل، وتزيد أهيمته إذا كان هذا النص يُنسب إلى صحابي معروف من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، أو تابعي على الأقل، شهد الصدر الأول من دولة الإسلام وشارك فيه غازيا ومتعلما وعالما، وهو كعب الأحبار، والذي كان أحد أهم حلقات الوصل بين التراث العربي وميراث الأخر،

(١) رضا قرة بلوط وأحمد طوران قرة بلوط، معجم التراث الإسلامي فى مكتبات العالم، ص ٢٤٠٠.

(٢) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربى، م١، ج٢: التدوين التاريخي، ص ١٢٢.

سواء أكان هذا الميراث يهوديا أو مسيحيا، وسواء أكان مكتوبا بالعربية أم بغيرها, وفوق ذلك فللنص أهمية أخرى إذ أنه يُنسب إلى عالم جاء من اليمن، ويومها كانت اليمن هي الأعلى حضارة والأرقى ثقافة في جزيرة العرب، كان هذا العالم يتحدث العربية ويدين باليهودية ثم تحول إلى الإسلام فاحتضنه المسلمون وقبلوه، وقرّبه الخليفة العادل عمر بن الخطاب، كما سمع هو من عمر نفسه وتلقى عنه العلم

ثانيا، يلعب الطير والحيوان فى الحكاية دورا أساسيا، "فقلقسين"، ابنة الملك، تلتقى حمامة الذهب والوحوش التى تغير مجرى حياتها. وأهمية هذا النص أنه يأتي سابقا بحوالي ١٥٠ عاما لأشهر كتاب فى الأدب العربى والعالمي على لسان الحيوان وهو كتاب "كليلة ودمنة" الذى ترجمه ابن المقفع (١٠٦-١٤٢هـ=٧٢٤-٧٥٩م) إلى العربية عن اللغة الفهلوية التى تُرجم إليها من اللغة السنسكريتية، ثم ضاع أصل الكتاب ولم تبقَ إلاّ ترجمته العربية لابن المقفع، كما أن كتاب كعب الأحبار هذا يسبق كتاب "ألف ليلة وليلة" بمئات السنين وهو كتاب مليء بالقصص والحكايات على لسان الطير والحيوان والجن. فالنص موضع التحقيق والدراسة هنا هو قصة فنية تكاد تكون متكاملة، فيها معظم العناصر الفنية، واعتمادا على هذه القصة نستطيع أن نقول إن العرب عرفوا القصة، ولو فى صورتها الأولى، منذ زمن بعيد جدا وأن القصة والقص كلاهما لعبا دورا أساسيا فى الحياة الثقافية الأولى فى صدر الدولة الإسلامية فى زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو فى زمن قريب من زمنه.

ثالثا، جاء تحقيق مخطوطة "حكاية حمامة الذهب" ونشرها لأول مرة لتكون أحد أقوى البراهين على أن العرب والثقافة العربية عرفا القصة الفنية، أو شيئا منها، قبل احتكاكنا بالحضارة الأوربية الحديثة فقد عرفت الثقافة العربية القصة والقصص قبل زمن موغل فى القِدم، وإن كان الاحتكاك بالثقافة الغربية الأوربية لا شك أفاد القصة والقص والإبداع عموما.

رابعا، هذا النص له أهميته فى تاريخ الأدب لمعرفة تطور القصص العربي وخاصة بداياته وكيفيته: أين ومتى كان؟ وما خصائصه؟ وذلك بموازنته ومقارنته بما جاء فى كتابى "كليلة ودمنة" و"ألف ليلة وليلة"، فالأول هو أقدم كتاب فى القصصي العربي الفني وصلنا، والثاني أكمل وأكبر كتاب بين أيدينا فى السرد العربي وحكاياته بمفهومه الفني أيضا، وأيضا مقارنة ذلك مع ما ورد فى الآداب العالمية سواء الشرقية أو الاوربية خاصة القديم منها، ومتى كان الاتصال بينهما إن كان ثمة اتصال؟ فيما جاء على لسان الحيوان اتفاقا أو اختلافا.

خامسا، تكاد تكون قصة "حكاية حمامة" هي مقلوب قصة نبى الله يوسف بصيغتها القرآنية أو التوراتية. فبطل القصة هنا فتاة وليس فتى، والصراع بين الأب والابنة، وفى قصة يوسف الصراع الفنى بين يوسف وإخوته ثم بين يوسف وامرأة العزيز، والمراودة هنا حدثت بين الأب وابنته وفى قصة يوسف بين امرأة العزيز ويوسف الصديق.

سادسا وأخيرا أن هذه الحكاية هنا هى امتداد وتوسع لما ورد فى التزيل من قصص على لسان الحيوان، وبخاصة الموضعين اللتين تحدثا فيهما الهدهد والنملة فى بيان وحكمة، وكذلك فعلت هنا

الحمامة والوحوش فى الحكاية.

وأخيرا أرجو من الله أن أواصل تحقيق عدد من المخطوطات التي تتناول القصص فى تراثنا غير التى اشتهرت فى العالم خاصة فى عهد الإسلام المبكر.

سابعا: الخطوط الرئيسية للحكاية كما وردت فى المخطوطة

تقص "الحكاية حمامة وبنت الملك" نبأ ملك من ملوك الأولين قبل أن يبعث الله إبراهيم عليه السلام، اسمه تافيل كان مسكنه أنطاكية، كان هذا الملك يعبد الأصنام، ومع كفره كان حسن السيرة والهيئة. لم يُرزق هذا الملك ولدا، وعندما بلغ من العمر مائتي سنة أيس من انجاب ولد يرثه. وبينما كان نائما ذات ليلة نائما جعل يتفكر في نفسه وفي ملكه وفي أمواله ومن سيرثها من بعده، طال ليل الملك وأشتد سُهاده وظهر أسفه وحزنه على نفسه وعلى مُلكه، وكيف سيصير كل هذا إلى غيره. وعندما أصبح جمع أعيان مملكته وأحضر الأطباء والحكماء والمنجمين والعلماء فيها وأخبرهم بجلية أمره. حينئذ وصف له الأطباء والحكماء وصفا معينا حتى يُرزق بولد. وبعد أن اتبع وصفاتهم رُزِقَ بابنة جميلة كانت كأنها فقلة القمر. سماها قلقسين[1] وعندما علم أنها ستكون سبب شقائه مع من سيتزوجها بنى لها قصر فخيما بالقرب من البحر وجعل لها ما لذ وطاب، وعندما بلغت من العمر أشده روادها أبوها عن نفسها فرضت، ثم تقدمت خطوة أبعد بأن رفضت عبادة الأوثان بعد أنْ سمعت حمامة من الذهب تكلمها أن هذه العبادة باطلة، وعندما علم أبوها بالأمر عاقبها بأن قطع يديها ورجليها من خلاف وقذف بها فى الصحراء. وفى الصحراء أنبت الله لها شجرة وأجرى لها عين ماء وجعل السباع تحرسها، وفي إحدى رحلات الصيد لابن أحد الملوك فى الصحراء التقى بها فى مغارتها صدفة فأحبها وأخذها وتزوجها ورد الله عليها أطرافها، وأوكل ابن الملك أمرها إلى أمه بعد أن تزوجها عندما خرج فى سفر بعيد، ولكن ثمة مؤامرة من الخدم والحشم عليها أثناء الغياب الطويل لزوجها، دفعت الأم لطردها فى الصحراء مرة أخري بعد أن زورا الرسائل والكتب على لسان زوجها ابن الملك، وأخيرا يكتشف زوجها المؤامرة فيردها ويغزو مملكة والدها الذى يتعرفها عليها ويسلم، وتنتهى القصة النهاية السعيدة باجتماع شمل الأحباب.

ثامنا: منهج التحقيق

حتى الآن لا يُعرف إلا مخطوطة واحدة «لحكاية حمامة الذهب» لكعب الأحبار هي مخطوطة برلين المشار إليها والتى اعتمدنا عليها، فنَسَخْتُ المخطوطةً وصححتُ الأخطاءَ الإملائية التى وقع فيها الناسخ، كما أثبتُ الكلمات التى لها وجه أخر من الصحة، وإنْ كانتْ غريبة شرحتها. ودائما كان الناسخ يخفف الهمزة فأثبتها، كما كان يكتب غالبا كلمة ابنة بتاء مفتوحة، أو لا يجزم الكلمات التى حقها الجزم فصححتها مع الإشارة الى الأخطاء فى الهامش، وأحيانا اقتضى السياق إضافة كلمة، وحين فعلتْ ذلك

(١) أيضًا ورد الاسم مرة واحدة بصيغة قلقيس ويبدو أنه تصحيف لكلمة قلقسين.

اشرتُ إلى ما فعلت فى الهامش. وأخيرا عملت الفهارس الفنية للأعلام وآيات القرآن.

وأرجو من الله أنْ أكون وُفِقتُ فى إخراج نص مهم في السرد العربي للقارئ فى العالم العربى وفى العالم بأسره وذلك لما له من أهمية كبيرة فى إثبات أن التراث العربي عَرَفَ القص والقصص منذ فترة مبكرة فى تاريخ العربية وآدابها، وأنه العرب كان لديهم فن قصصي قبل أن يعرفه الأوربيون بأكثر من ألف عام، وهو موضوع لمّا يدرس بعد دراسة كافية ولمّا تحقق أهم النصوص التى تدعم ذلك الرأي فى التراث العربي، وإن شاء الله ستظهر قريبا مخطوطات لم تنشر من قبل عن القصص العربى المبكر.

والله من وراء القصد.

نماذج من المخطوطة

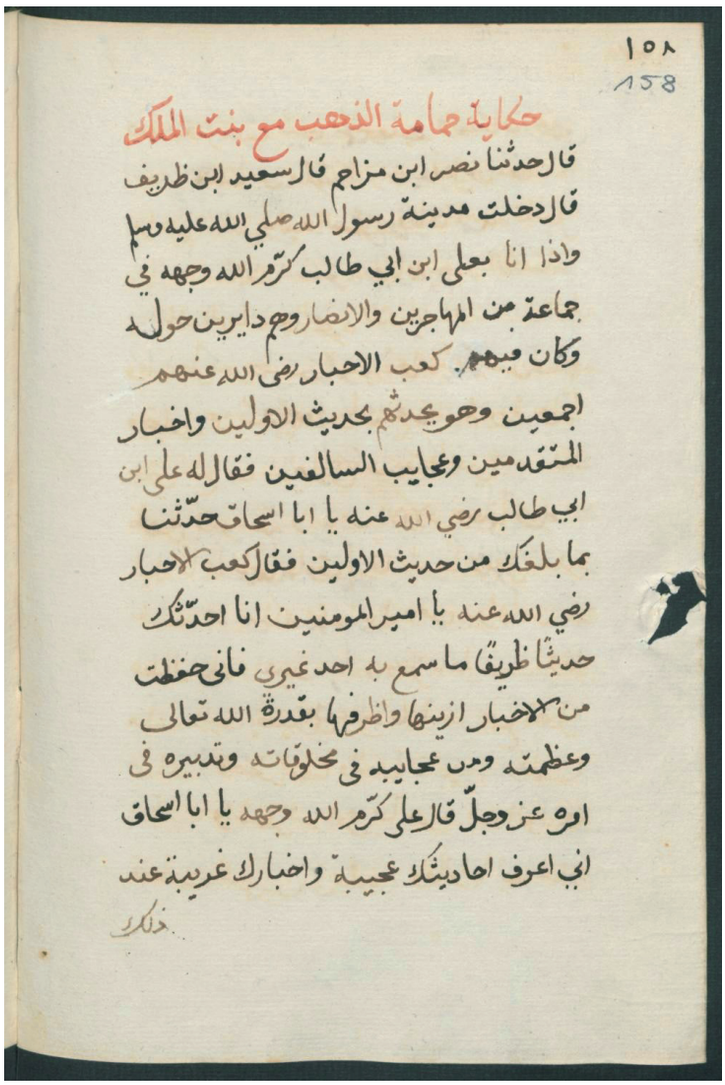
١٥٨
158
حكاية حمامة الذهب مع بنت الملك
قال حدثنا نصر ابن مزاحم قال سعيد ابن ظريف
قال دخلت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا انا بعلى ابن ابي طالب كرّم الله وجهه في
جماعة من المهاجرين والانصار وهم دايرين حوله
وكان فيهم كعب الاحبار رضى الله عنهم
اجمعين وهو يحدثهم بحديث الاولين واخبار
المتقدمين وعجايب السالفين فقال له علي ابن
ابي طالب رضي الله عنه يا ابا اسحاق حدّثنا
بما بلغك من حديث الاولين فقال كعب الاحبار
رضي الله عنه يا امير المومنين انا احدّثك
حديثا ظريفا ما سمع به احد غيري فاني حفظت
من الاخبار ازينها واظرفها بقدرة الله تعالى
وعظمته ومن عجايبه في مخلوقاته وتدبيره في
امره عز وجل قال علي كرّم الله وجهه يا ابا اسحاق
اني اعرف احاديثك عجيبة واخبارك غريبة عند
ذلك

الصفحة الأولى من المخطوطة

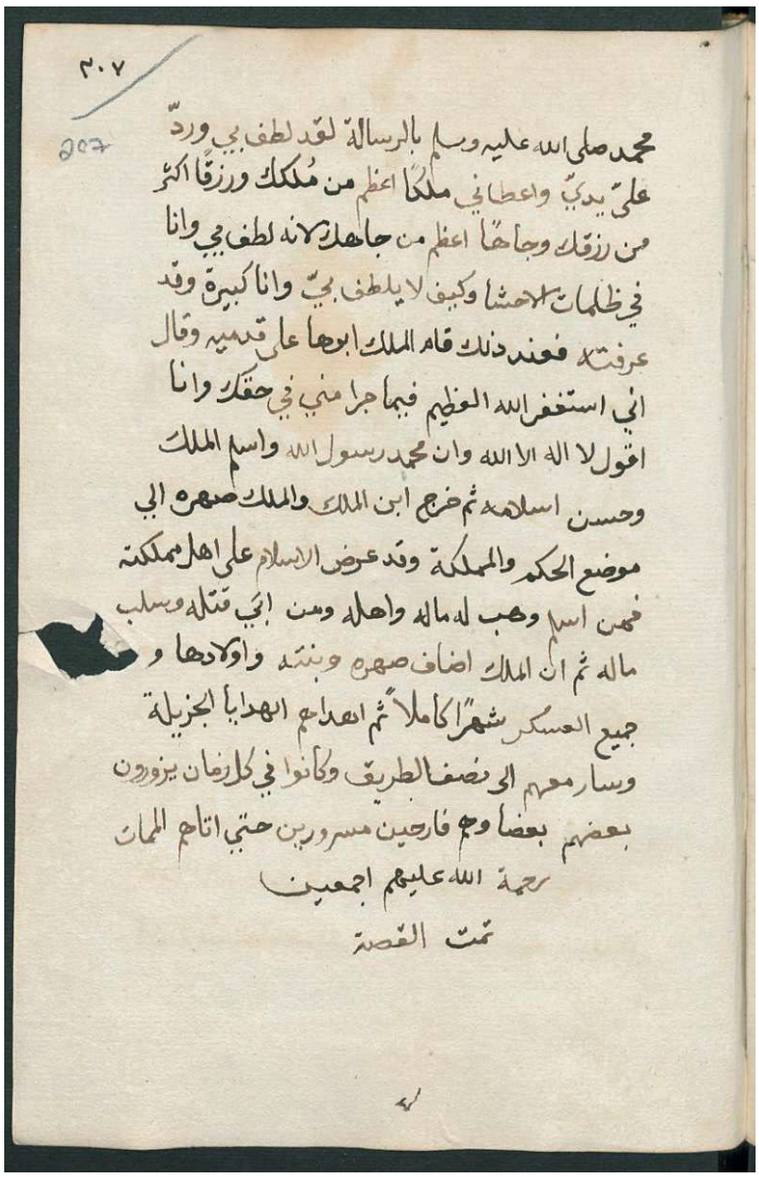
٢٠٧

207

محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة لقد لطف بي وردّ
علىّ بديبّ واعطاني ملكًا اعظم من مُلكك ورزقًا اكثر
من رزقك وجاهًا اعظم من جاهك لانه لطف بي وانا
في ظلمات الحشا وكيف لا يلطف بيّ وانا كبيرة وقد
عرفته فعند ذلك قام الملك ابرها على قدميه وقال
اني استغفر الله العظيم فيما جرا مني في حقك وانا
اقول لا اله الا الله وان محمد رسول الله واسلم الملك
وحسن اسلامه ثم خرج ابن الملك والملك صهره الي
موضع الحكم والمملكة وقد عرض الاسلام على اهل مملكته
فمن اسلم وهب له ماله واهله ومن ابي قتله وسلب
ماله ثم ان الملك اضاف صهره وبنته واولادها و
جميع العسكر شهرًا كاملاً ثم اهداهم الهدايا الجزيلة
وسار معهم الى نصف الطريق وكانوا في كل زمان يزورون
بعضهم بعضا وهم فارحين مسرورين حتي اتاهم المنان
رحمة الله عليهم اجمعين
تمت القصة

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

الرقم الذى بين علامتى [ ] يشير الى بداية رقم الصفحة فى المخطوطة.

الكلمات التى بين علامتى [ ] إضافة من المحقق للسياق وأشرتُ إلى ذلك فى كل مرة.

النص المحقق:

حكاية حمامة الذهب مع بنت الملك

المنسوب

لكعب الأحبار

[١٥٨] حكاية حمامة الذهب مع بنت الملك

قال [الرواى][١] حدثنا نصر بن مزاحم، قال سعيد بن ظريف، دخلتُ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا أنا بعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جماعة من المهاجرين والأنصار وهم دائرون حوله وكان فيهم كعب الأحبار، رضي الله عنهم أجمعين، وهو يحدثهم بحديث الأولين وأخبار المتقدمين وعجائب السالفين، فقال له علي بن أبى طالب رضي الله عنه: يا أبا إسحاق، حدثنا بِما بلغكَ من حديث الأولين.

-يا أمير المؤمنين أنا أحدثكَ حديثا ظريفا ما سمع به أحد غيري، فإني حفظتُ من الأخبار أزينها وأظرفها بقدرة الله تعالى وعظمته ومن عجائبه في مخلوقاته وتدبيره في أمره عز وجل.

قال علي كرم الله وجهه: يا أبا إسحاق[٢] إني أعرف أحاديثك عجيبة وأخبارك غريبة!

عند [١٥٩] ذلك قال كعب الأحبار: يا أمير المؤمنين، إنه كان في [ذلك][٣] الزمان ملك من ملوك الأولين قبل أن يُبعثَ إبراهيم عليه السلام، وكان اسمه تافيل وكان مسكنه أنطاكية، وكان يعبد الأصنامَ في ذلك الزمان، ويسجدُ[٤] لها دون الملك العلام، وكان على كفره حَسَن السيرة والهيئة يُحسن لمُحسنهم ويتجاوز عن مُسيئهم، وكان مع ذلك لم يُرزق ولدٌ حتى بلغ من العمر مئتي سنة، فانحنى عند ذلك ظهره وكبر سنه وأيس من الأولاد، فبينما هو ذات ليلة نائم فأرق أرِقَا شديدا، وجعل يتفكر في نفسه وفي ملكه وفي أمواله ومن يرثها من بعده؟ فطال ليله واشتد أسفه وحزنه على نفسه وعلى مُلكه، وكيف يصير إلى غيره، فلما أصبح جمع أهل مملكته واحضر الأطباء والحكماء والمنجمين وعلماء مملكته وأشهر لهم أمره بما حُرِمَ من الولد.

قال: فنظرتْ المنجمون في علومهم، وقالوا: يا أيها الملك [١٦٠] سوف يكون لك ولد.

قال [الملك][٥]: ما تقولون في علومكم أذكر هو أم أنثى؟

فقالوا : أنثى[٦].

قال: كيف علمتم ذلك؟

---

(١) إضافة للسياق.

(٢) كعب الأحبار.

(٣) إضافة للسياق.

(٤) فى الأصل السجود والتصحيح من السياق.

(٥) إضافة للسياق.

(٦) في الأصل أنت والتصحيح من السياق.

فقالوا: إنّا رأينا طالع الزُهرة مع المُشترِي فى طالع المولود والزُهْرَة جالية[١] المشتري فحكمنا بذلك أن تكون أنثى.

فقال الملك عند ذلك للأطباء: أيكم يحدثني بما في معرفته؟

فاختار الحكماء[٢] واحدا من بينهم.

وقالوا: أيها الملك هذا أعلم وأعرف.

فتقدم ذلك الرجل وجَسّ عروق الملك ومفاصله ثم بَصُرَ[٣] بماذا حُرِمَ الولد.

ثم قال له الحكيم: أيها الملك لابد لك من الأغذية الحارة والأدوية الحارة، فاذا أكلتُها فجامعْ فى الوقت، فيخرج الماء الحار، فعند ذلك يقبله رحم المرأة.

فقال له [الملك][٤]: أيها الحكيم افعل ما فيه المصلحة.

قال [كعب الأحبار][٥]: فأقبل الطبيب على الملك بالأغذية الحارة وبالأدوية المهيجة حتى اشتد جسمه ثم أنه بعد ذلك أمره أنْ يواقع[٦] أهله[٧] فى أول النهار.

قال: فواقع لذلك أهله، وكانت أحب إليه من جميع [١٦١] نسائه، فحملت منه بإذن الله تعالى، واستكمل منها الحمل إلى [أن][٨] تمت تسعة أشهر فوضعتْ له جارية[٩] من أحسن البنات[١٠] وجها وأكمل الناس خلقا وأحلاهم شمائلا، ففرح الملك بها وأحبها حبا شديدا وسماها قلقسين.

ثم قال [كعب الأحبار][١١]: فلم تلبث تلك البنت إلا قليلا حتى ماتت أمها، فحزن عليها الملك حزنا

(١) جالية أى ظاهرة وفى معجم اللغة العربية، أحمد محتار عمر جلَّى الأمرَ: كشفه وأظهره، أبانه وأوضحه، ١\٣٨٨.

(٢) في الأصل فاختاروا والتصحيح من السياق.

(٣) فى تاج العروس ١٠\ ١٩٨البَصَرُ: العِلْم، وبَصُرْتُ بالشَّيْءِ: عَلِمْتُه، قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: {بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ} (طه: ٩٦) قَالَ الأَخْفشُ: أَي عَلِمْتُ مَا لم يَعْلَمُوا بِهِ، مِن البَصِيرَة.

(٤) إضافة للسياق.

(٥) إضافة للسياق.

(٦) واقَعَ المَرْأَةَ باضَعَهَا، وخالَطَهَا، تاج العروس ٢٢\٣٦٤.

(٧) أَهْلُ الرَّجُلِ: زَوْجَتُه.

(٨) إضافة للسياق.

(٩) الجارِيَةُ هي الفَتِيَّةُ من النِّساءِ؛ والجمع جَوارٍ، تاج العروس ٣٧\٣٤٥.

(١٠) فى الأصل البنين وهو ابن اما بنات فهى جمع بنت والتصحيح من السياق.

(١١) إضافة للسياق.

شديدا ودفع ابنته إلى خاصّة[١] مملكته من الَّدايَات[٢] والجواري[٣] والمربيات فلم تزل تلك البنت تُعَزُ وتُكْرَم بالأغذية الحسنة حتى بلغت من العمر ست سنين، فلما بلغت حدود البنات أتاها الملك بصنم من ذهب مرصع بالزبرجد الأخضر واللؤلؤ[٤] والياقوت، ثم عَمَّر لها قصرا من ذهب وفضة، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، لم يكن على وجه الأرض مثله قصر وأجرى فيه نهرين وألقى فى ذلك النهرين[٥] اللؤلؤ والمرجان والزبرجد وجعل طينهما المسك، وجعل أمام شبابيك القصر بستان وجعل فيه جميع الأشجار والثمار والرياحين وجعل لها فيه الآلات المطربة، فلم تزل في العيش الرغيد حتي بلغت من العمر خمس عشرة سنة[٦]، وجعل في ذلك القصر من الغزلان والوحوش والطيور حتى ينشرح بذلك صدرها، ثم فرش ذلك القصر بالحرير من جميع الألوان، وصارت في ذلك القصر إلى أن كَبُرَ قدها وتورّد خدها، وبرزت نهودها وغزلت[٧] عيونها، ودخل عليها في يوم من الأيام فنظر إلى حُسنها وجمالها وقدها واعتدالها وعذوبة منطقها، فازداد بها حبا.

ثم قالت: يا أبتِ، أريد منك أن تخبرني عن أمر هذا الخلق ؟ ما سبب خلقهم؟ هل خُلقوا للأكل والشربِ أم خُلقوا لغير ذلك ؟

وعن هذا الذي خَلقهم؟

فقال لها: ولِمَ تسالينني عن ذلك؟

قالت: إني تفكرتُ في ذلك وفي تدبيره، وينبغي لمن أنعم علينا بهذه النعمة التي نحن فيها أن نشكره على نعمه وعلى فضله وعلى إحسانه.

فقال [١٦٣] لها أبوها: يا بُنيتى اشكري لى فأنا الذي أنعمتُ عليكِ بهذه النعمة التي أنت فيها.

قالت: صدقتَ فينبغي لى أنْ اشكرَ لكَ على ما أنعمتَ علىّ به. فلِمنْ تشكرُ أنتَ على هذه النعمة التي أنتَ فيها ؟

قال لها: يا حبيبة قلبي إنّ هذه النعمة التي أنا فيها لا تزول عني ولا عن ذريتي لأنني ورثتها من أبي وأنتِ ترثينها[٨] من بعدي.

---

(١) فى الأصل خاص والتصحيح من السياق والخاصة هم الحاشية المفربة وفى تاج العروس١٧ \٥٥٢ خَصّهُ بالوُدِّ إذا فَضَّلَه دُونَ غَيْرِه.

(٢) الَّدايَةُ هي الحاضِنَةُ وَهِي المُوَكَّلَةُ بالصَّبيِّ تَحْفظُه وتُربِّيه، تاج العروس ٣٤\٤٤٣.

(٣) دائما يرسم كلمة الجوار بحذف الياء.

(٤) في الأصل الكلمة مخففة: اللولو، وترد الكلمة فى كل النص هكذا مخففة من الهمزة.

(٥) فى الأصل النهر.

(٦) فى الأصل خمسة عشر سنة.

(٧) لم اقع على هذا المعنى ولعل المعنى هنا أي أصبحت عيناها مثل عينى الغزال.

(٨) فى الأصل تورثيها والتصحيح من السياق.

قالت له: أيها الملك فما يكون لذلك أول[١]، وينبغي أنْ يكون مبتدأ ومنتهى!

قال: وكيف علمتِ[٢] ذلك يا بُنيتي؟

قالت: لأنني رأيت لها انقطاع وزوال، وكل من كان له انقطاع فله أول وآخِر، وذلك أن أباكَ ماتَ، وجدكَ ماتَ، وكذلك من سَلفَ من آبائك الأولين وترك هذه النعمة لمن يرثها وكذلك أنتَ تموت.

فقال لها الملك: ياست النساء، الساعة آمُرُ الغلمان أنْ يأتوا بالإله الكبير[٣] الذى لا يَعرفُ إلها غيره آبائي وأجدادي [١٦٤] من قبلي، ثم اسأليه[٤] عن ذلك.

ثم أمر غلمانه أن يأتوه بإلهه فأتوه بصنم كان يعبده من دون الله تعالى، وكان الصنم من الذهب مَرصّع بالدُر والجوهر وعيناه من الياقوت الأحمر.

فلما نظرتْ إليه ابنته، قالت له: يا أبتِ هذا إلهكَ وإله آبائك وأجدادكَ من قبلك ومن كان قبلهم؟

قال لها: نعم.

فصارتْ ابنة الملك تنظر إلى الصنم وتتعجب من حُسنه. ثم قالت له: أيها الملك أريدُ منك أن تعمل لي إلها مثل هذا.

فقال لها الملك: سمعا وطاعة.

فقام وخرج من عندها وأمَرَ الحُكماء أن يصنعوا لها صنما مثل صنمه، وأن يُجعل فيه جميع المعادن.

قال الرواي: وكانت ابنة الملك تقوم من طلوع الشمس، هي ودادتها[٥] وجواريها[٦]، فتفتح الشباك وتكشف عن وجه الصنم فتنظر [إلى][٧] المعادن من حُمرة الشمس، فتسجدُ ابنة الملك هي ومن معها إلى الصنم من دون الله تعالى، وكانت تستنطقه [١٦٥] فينطق فيه اللعين إبليس من جوف الصنم.

قال كعب الأحبار رضى الله عنه: وشُغفتْ ابنة الملك بذلك الصنم وصارتْ تسجدُ له هي ومن

---

(١) فى الأصل أولا.

(٢) في الأصل عملتي وهو تصحيف واضح.

(٣) فى الأصل الالهة والتصحيح من السياق.

(٤) فى الأصل اساله والتصحيح من السياق.

(٥) فى تكملة المعاجم العربية لدوزي ٣٦٧\٤: دادَة ودادّة:مرضعة داية.

(٦) فى الأصل جوارها.

(٧) إضافة للسياق.

معها ليلا ونهارا، ثم أنّ الملك أباها رآها ذات حسن وجمال فأكرَمَها وخلعَ[1] عليها وأكل معها وشرب، وافتتن بها، وأقبل عليها ذات يوم وعانقها وقبّلها ثم راودها عن نفسها.

فقالتْ: يا أبتِ أخبرني عن أمي هل هي كانت ابنتك؟

قال: لا، بل هي بنت ملك أنطاكية[2].

قالت له: أيها الملك أخبرني عن أمكَ هل هي كانت أختكَ؟

قال: إن أمي كانت بنت ملك فلسطين.

قالت: فما بالك أنكَ[3] تريدُ أن تحدث فى ملكِكِ حدثا حتى يعاودك[4] فيه جميع أهل الأرض ويتحدثون به إلى آخر الأبد ويعاب به أهل مملكتك.

قال : وكيف كان ذلك؟

قالت: هل رأيتَ أحداً من الملوك فعل هذه الفِعلة التى أنتَ طالبها مني؟

قال [كعب الأحبار][5]: فاستحى الملك منها ورجع عن [١٦٦] ذلك وعاد إلى نفسه يلومها، وكيف كان فِعلهُ ثم استعذر منها، وتركها على جميع أهله وحاشيته، وكان لا يحجب عنها شيئا من أمره.

قال كعب الأحبار: ورَزَقَ الله تعالى تلك[6] الجارية العقل والمعرفة حتى أن أباها صار لا يفعل شيئا إلّا عن أمرها ومشورتها، وكان يرى لها الرأي السديد[7]، وكان لا يمنعها من أمواله، وكانت الجارية كأنها كبيرة من كثرة عقلها ومعرفتها، فسمع[8] الملوك بذلك فخطبوها من سائر النواحي والآفاق، فأبتْ أنْ تتزوج. فكان أبوها لا يريد زواجها لمّا رأى عندها من العقل والمعرفة. فلم تزلْ على ذلك حتى بلغت من العمر خمسا وعشرين سنة، فبينما هي ذات يوم جالسة في فرحها مسرورة بالصنم وهم ساجدون

---

(١) فى الأصل اخلع عليها، والتصحيح من السياق، ويقول الصفدي صاحب تصحيح التصحيف وتحرير التحريف [ص٨٦]: أخْلَعَ السلطانُ على فلانٍ وأكْساهُ. والصواب: خلَعَ عليه وكَساه. , وفي معجم الصواب اللغوي لأحمد مختار عمر ٦٨٢\١: خلَع عليه خِلْعَةً ألبسه ثوبًا أو أعطاه منحةً.

(٢) كذا، وسبق ان ذكر كعب الأحبار ان تافيل هذا كان ملك انطاكية, والسياق يقتضي انها ابنة ملك غير ملك انطاكية، أو أن أباها لم يكن ملكا وأصبح ملكا لأنطاكية عندما تزوجها فحكم أنطاكية بعد صهره.

(٣) فى الأصل أن والتصحيح من السياق.

(٤) المُعَاوِدُ: المُوَاظِبُ وقَالَ اللَّيْث: يُقَال للرجُل المُوَاظِبِ على أَمْرٍ: مُعَاوِدٌ. وَيُقَال: عاوَد فُلانٌ مَا كانَ فِيه، فَهُوَ مُعَاوِدٌ وعَاوَدَتْهُ الحُمَّى، وعَاوَدَه بالمَسَأَلَةِ، أَي سأَلَه مرَّةً بعد أُخْرَى تاج العروس ٤٤٤\١٨.

والمُعَاوَدةُ: الرُّجوعُ إِلى الأَمر الأَوَّلِ.

(٥) إضافة للسياق.

(٦) فى الأصل لتلك.

(٧) فى الأصل الشديد.

(٨) فى الأصل فسمعوا.

له مثل العادة، ثم استنطقته، فنطق اللعين إبليس من جوفه قائلا لها: يا ابنة الملك مالكِ لا تسجدين[1] لى بالغداة والعَشِي؟

قالت له: أنا افعل ذلك يا سيداه.

قال لها: إنكِ تعلمين[2] أن ليس لكِ إلها غيري. [١٦٧]

قالت: قد علمتُ ذلك.

ثم أنها أمرتْ جواريها[3]، وجميع من[4] عندها أن يسجدوا للصنم من دون الله تعالى، ثم أنها أخذتْ في لهوها وطربها، فبينما هي كذلك إذ عطستْ عَطسا قويا فخرج من مَنْخِريها[5] شيء مثل الذبابة أو أكبر.

قال كعب الأحبار: فتكلمت الذبابة مع بنت الملك بلسان فصيح وهى تقول:

ما ضركِ أن تقولي إذا عطستِ الحمد لله رب العالمين!؟.

فقالتْ ابنة الملك: هل على وجه الأرض أحدٌ يعرف هذا الكلام؟

فقالَ كعب الأحبار: فمكثتْ ابنة الملك متفكرة ما شاء الله في ذلك الكلام، فبينما هي ذات يوم قد أمرتْ بإحضار صنمها فأحضروه بين يديها، ثم سجدتْ له من دون الله تعالى فبينما هى ساجدة إذ وقعت على رأسها حمامة من ذهب، ومكثتْ على رأس ابنة الملك ساعةً ثم طارتْ فوقفتْ على رأس الصنم، فنظرتْ ابنة الملك إليها ثم صارتْ تتعجبْ منها ومن حُسنها.

قال [كعب الأحبار][6]: يا أمير المؤمنين وذلك الحمامة من ذهب أحمر، [١٦٨]عيناها من زمرد ورجلاها من فضة، ومنقارها من لؤلؤ، وهي مرصعة بأنواع الجواهر والدُر والياقوت.

فجعلت ابنة الملك تنظر إليها وتتعجب من حسنها وجمالها.

فقالت عند ذلك: ليتَ شِعري تكون لي هذه الحمامة فأشتريها بنصف مملكتي لأنظر إليها مساء وصباحا.

فبينما ابنة الملك متفكرة في ذلك إذ قالت لها الحمامة بلسان فصيح:

السلامُ عليكِ يا ابنة الملك.

---

(١) فى الأصل تسجدى.

(٢) فى الأصل تعلمي.

(٣) فى الأصل جوارها.

(٤) فى الأصل ما.

(٥) فى الأصل مَنْخِرها.

(٦) إضافة للسباق.

فلما سمعتْ ابنة الملك كلام الحمامة غُشي عليها، فلما أفاقتْ من غَشْوَتِها[١].

قالت لها الحمامة: يا ابنة الملك قولي [أشهد أنّ][٢] لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

فقالت ابنة الملك: [أشهد أنّ][٣] لا إله إلّا الله وأن محمدا رسول الله، أمنتُ بالله وبرسول الله وجميع الأنبياء والمرسلين.

قال الرواي: فعند ذلك خرج الشيطان من الصنم وهو صائح ينادي: النار من فوقي والنار من تحتي

فبُهِتَتْ عند ذلك ابنة الملك، وقالت: أيتها[٤] الحمامة إنّ هذا الكلام الذي قلتيه [١٦٩]حقا؟!

قالت الحمامة: إنّ الله عز وجل خلق السماوات، والأرض وما بينهما وما عليهما من المخلوقات وهو خالقهم ورازقهم ومميتهم، ومحييهم بعد موتهم يوم القيامة، لا تنفع نفس إيمانها إنْ لم تكنْ[٥] آمنت من قبل أو كسبتْ في إيمانها خيرا.

فقالت ابنة الملك للحمامة: ربنا باقٍ على الدوام؟!

قالت الحمامة: يا ابنة الملك ربنا تبارك وتعالى كان قبل كل شيء وبعد كل شيء فكل المخلوقات تحت عظمته وإذا أراد شيئا أن يقول له كُنْ فيكون، خلق العرش قبل السموات، والأرض مَدْحِية، والسماء مبنية، والجبال والبحر مرسية، والشمس منورة، والقمر مضيء، والبحر يجري، والنجوم تسري، والأرياح تذرى، والأنس والجان والطير والوحش كل يُسَبِحُ بحمده، ثم خلق الملائكة وهم في سماواته، وأمرهم بأمره، فهم يسبحون بحمده لا يفترون إلى يوم القيامة.

يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

وخلق الجن من السموم وأسكنهم الأرض[١٧٠] ثم خلق آدم عليه السلام وأسجد له ملائكته.

فقالت ابنة الملك: يا حمامة إنّ هذا إله عظيم.

فهل قال أحدٌ[٦] قبلك هذا القول الذى قلتيه[٧] لى أو عرفه أحدٌ كمعرفتكِ فإني لم اسمعْ هذا القول من أحد غيركِ، وإنكِ لجميلة، وما تقولين إلّا حقا.

فقالت الحمامة: يا ابنة الملك إنّ هذا الصنم الذى تعبدينه لا يضر ولا ينفع، فقولي له يدفعني عن

---

(١) أى غِشاوته.

(٢) إضافة للتماشى هنا مع النص الثاني من الشهادة.

(٣) إضافة مثل السابقة.

(٤) في الأصل ايها.

(٥) فى الأصل تكون.

(٦) في الأصل أحدا.

(٧) كذا فى الأصل.

رأسه، ولا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنكِ شيئا، وكيف يدفع عن نفسه وهو مصنوع من ذهب ودُر ومن جوهر؟!

ثم قالت ابنة الملك: يا حمامة فمن يكلمني فيه؟

قالت [الحمامة](١): الذي يكلمكِ فيه هو الشيطان. فإن أردتِ تحقيق ذلك فاعلمي أنه «ما بقي يعود الصنم يتكلم»(٢) بعد هذا اليوم. فاستنطقيه(٣) فلن ينطقْ الصنمُ(٤)، هيهات هيهات يا ابنة الملك، اعلمي أنّ الله تعالى طرد إبليس وزجره وأبعده من جنته.

قالت ابنة الملك: أيتها الحمامة أخبريني عن هذا الرب الكريم والإله العظيم [١٧١] ما ثواب من أطاعه وعقاب من عصاه؟

قالت الحمامة: اعلمي أنّ من أطاع الله فله الجنة ومن عصى مولاه وخالف رسوله فله جهنم لا يموت فيها ولا يحيى.

فقالت ابنة الملك: صِفى ليّ الجنةَ التي يجازي بها من أمن به من عباده.

قالت الحمامة: يا ابنة الملك، فإذا ماتَ العبدُ المطيع لله ولرسوله وماتتْ الخَلْق كلها(٥)، وبقيتْ(٦) الأرض ما فيها أحد يقول لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له في ملكه، يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ في الصور فإذا هم قيام ينظرون، فيحاسب الله خلقه فيدخل من أطاعه دار كرامته ورضوانه، ويدخل من عصاه دار بواره وهوانه.

ثم قالت ابنة الملك: أيتها(٧) الحمامة، إذا أنا متُ فهل أحيا بعد الموت؟

قالت [الحمامة](٨): نعم، كما قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أولَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(٩)

"كما خلقناكم أول مرة"(١٠) من ماء مهين، كما خلقكِ الله عز وجل في بطن أمكِ علقة فخلق العلقة

(١) إضافة للسياق.

(٢) كذا فى الأصل.

(٣) في الأصل فاستنطقه.

(٤) في الأصل لم ينطق الصنم.

(٥) فى الأصل كلهم.

(٦) في الأصل بقت.

(٧) فى الأصل أيها.

(٨) إضافة للسياق.

(٩) سورة الأنبياء آية ١٠٤.

(١٠) اقتباس من قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ سورة الأنعام، آية ٩٤.

مضغة فخلق المضغة [١٧٢] عظاما فكسونا العظام لحما فتبارك الله أحسن الخالقين[١]، ثم رباكِ بقدرته حتى صرتِ كبيرة، ثم ركّب فيك الحركة والعقل.

فقالت ابنة الملك: أيتها الحمامة لقد أخبرتني عن شيء عظيم! ولقد شوقتِني[٢] إلى هذه الدار وما وعد به هذا الرب العظيم من حسن ثوابه لمن أطاعه من عباده.

فقالت الحمامة يا ابنة الملك: إن عباد الله المطيعين لرب العالمين لا يموتون فيها ولا يخرجون منها، "ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم ولهم فيها ما يدعون[٣]" وعباد الله المطيعين يتنعمون فيها فى قصور من ذهب وفضة، وقصور مختلفة ألوانها من جميع المعادن، لا يصفها[٤] الواصفون ولا تعملها الأيدي وإنما خلقها البارئ جل جلاله بأمره إذا قال للشيء كُنْ فيكون.

ثم قالت الحمامة: يا ابنة الملك إنّ أهل الجنة فى الجنة تخدمهم الولدان والغلمان وهم فى نعيم مقيم والملائكة يأتونهم يقولون لهم[٥]: [٧٣] ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٦].

ثم قالت الحمامة: يا ابنة الملك، وأهل الجنة جُرد[٧] من مرد، ما فيها شيخ ولا عجوز، أبوابها وحافتها من اللوز، والأشجار أغصانها تتطاول لأهل الجنة فيأكلون منها ما يشتهون، وهم من كل فزع أمنون

فقالت ابنة الملك: لمثل هذا فليعمل العاملون، والله لقد اشتاق قلبي إلى هذا الرب العظيم، ولهذا النعيم المقيم.

ثم قالت: أيتها الحمامة أخبريني ما لمن عصا مولاه الذي خلقه وسواه وبنعمته أحسن إليه ورباه؟

قالت الحمامة: من عصا مولاه فالنار مثواه، منها يأكلون ومنها يشربون وعليها يجلسون، فإن الله تعالى جعل لمن عصاه نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيا.

قالت ابنة الملك: صِفي ليّ جهنم.

قالت الحمامة: أهل النار في النار يبكون فلا يُرحمون، فعذابها شديد وقعرها بعيد وشرابها صديد،

---

(١) اقتباس من الآية ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ سورة "المؤمنون"، آية ١٤.

(٢) كذا هل الأصح شوقتيننى.

(٣) اقتباس من قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ سورة فصلت، آية ٣١.

(٤) فى الأصل يصفه.

(٥) فى الأصل له.

(٦) سورة الرعد آية ٢٤.

(٧) جُرْد، جمع أجرد ومؤنثها جرداء التى تجمع على جرداوات. وجُرْد: صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من جرِدَ. وأَرْض جَرْداءُ/ صحراء جَرْداءُ: قاحلة، لا زرع فيها، ولا نبات- سماء جَرْداءُ: لا غَيْمَ فيها- صخرة جرداء: ملساء- فرسٌ أجردُ: قصير الشعر. مختار عمر معجم اللغة العربية المعاصرة ١\٣٦٠.

لا يفنى عذابها ولا يُخمد سعيرها، العصاة فيها يتقلبون ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾[١]، [٧٤] والحقبة[٢] أربعة آلاف سنة، والعالم أربعة آلاف شهر، والشهر أربعة آلاف يوم، واليوم أربعة آلاف ساعة، والساعة أربعة آلاف عام من أعوام الدنيا. أهل النار في كلاليب يسحبون سرابيلهم من قَطران، وتغشى وجوههم النار، وهم يقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾[٣] لقد أحاط بنا العذاب واحترقت منا الوجوه، ويُنادون بالويل والثُبور، فينشر الله تعالى عليهم سحابة سوداء[٤] مظلمة يعتقدونها مطرا، فتمطر عليهم حجارة من نار فتقع على رؤوسهم فتخرج من دبرهم، فهم في العذاب مُخلدون، فإذا جاءت لهم السحابة قالوا: قد جاءنا العذابُ من رب العالمين، فإن في جهنم جبل يقال له صَعُود، يصعدون في ذلك الجبل على وجوههم ألف عام فإذا صاروا في أعلى الجبل رُمي بهم إلى قعر جهنم[٥]. وقد اشتغل[٦] أهل النار بأنفسهم لا يُرحم فيهم ذو شيب لشيبته [١٧٥] ولا يُقبل لهم عُذر، عن الجنة محجوبون ومن الرحمة مسلوبون ﴿وهم فيها خالدون﴾[٧] وعلى ما فيه نادمون.

قال كعب الأحبار: فلما سمعت ابنة الملك ذلك، صاحت وصرخت ووقعت مغشيا[٨] عليها، فلما افاقت من غشوتها قالت: وا ويلتاه! الويل لي من عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تشقي ولا تسعد ولا تغني شيئا، ثم شهقت شهقة وغشي عليها ثانية[٩] حتى كادت روحها أن تفارقها، ثم أن الحمامة طارت عنها وهي مغشي عليها ولا ترد جوابا ولا تبدي خطابا، فأعلموا أباها بخبر ابنته. فأقبل مسرعا إليها فجلس عند رأسها، وقال:

يا حبيبة قلبي ما الذي أصابكِ؟

ففاقت من غشوتها بعد ثلاث ساعات وهي تنادي وتقول: آه ! واعشيرتاه من نار جهنم، وا شوقاه إلى جنات النعيم.

فقال لها أبوها: يا حبيبة قلبي، هل رأيتِ في منامكِ شيئا[١٠] أرعبكِ؟

قالت: ما رأيتُ شيئا، ولكني [١٧٦] استغفر الله من عبادة الأصنام ومن نار جهنم، وأعوذ بالله

(١) سورة "النبأ"، آية ٢٣.

(٢) فى الأصل الحقب والتصحيح من السياق.

(٣) سورة "المؤمنون"، آية ١٠٧.

(٤) فى الأصل سودة.

(٥) ربما تفيد فى المقارنة مع أسطورة سيزيف.

(٦) في الأصل اشتغلوا.

(٧) سورة البقرة، آية ٢٥.

(٨) فى الأصل مغشية.

(٩) في الأصل ثانيا.

(١٠) فى الأصل شيء

من الضلال والطغيان، وإني رجعتُ من الكفر إلى الإسلام والإيمان وأقررتُ بوحدانية الملك الديان.

فقال لها: يا ولدي[١] أسحر أصابكِ فأداوكِ؟

قالت: يا أبى ما أنا مسحورة، ولكن اتقِ الله أيها الملك في نفسك واستغفر الله من عبادة الأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تُغني عنك شيئا.

قال [كعب الأحبار][٢]: فعند ذلك دعي بالأصنام[٣] فأحضرت جميعا ودُعِيَ[٤] بصنمه الأكبر وهو الذي يَغوي الملك وينطق إليه بالعجائب والغرائب. فلما أُحْضِرَ[٥] الصنم بين يدي الملك، قام الملك وخر ساجدا لذلك الصنم، وقال لابنته: قومي واسجدي له حتى نسأله عن حالكِ وما الذي أصابكِ؟

فقالت له: أيها الملك، خلِ عنكَ هذا الكلام، وقلْ لا إله إلّا الله ربّ العرش العظيم الذي خلقك ورزقك ثم يميتكَ ويحيكَ بعد الموت فإنه رب العالمين فإن أطعته أسكنكَ [١٧٧] جنته وإنْ عصيته وعبدتَ إلها غيره أدخلكَ ناره.

قال كعب الأحبار: فلما سمع الملك كلام ابنته ارتاع من كلامها وقال:

لقد قلتِ أمرا عظيما ولكن احذري [أنْ][٦] تقولي هذا الكلام مرة أخرى.

ثم إنّه خرج من عندها غضبان[٧].

قال كعب الأحبار: ثم أنّ ابنة[٨] الملك قامت إلى صنمها وكسرته وأذابتْ ما كان عليه من ذهب وأخذتْ جميع الجواهر التي كانت فيه واللآلئ والمعادن وتصدقتْ بهم على الفقراء والمساكين في حب الله تعالى.

قال كعب الأحبار: فأصاب وأحد من فقراء المدينة جوهرة من الجواهر التي كانت فى الصنم فمضى بها إلى السوق ليبيعها فعرفها بعض التجار فأتي بها إلى الملك فلما رآها الملك عرفها فأخذها ودخل بها على ابنته وسألها عن صنمها.

قالت له: إنّها كسرته وتصدقتْ بجوهره وللآلئه ومعادنه على الفقراء والمساكين لوجه الله تعالى الذى أقرتْ بربوبيته، وآمنت برسالة محمد نبيه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الْوَلَد كل مَا ولد وَيُطلق على الذّكر وَالأُنْثَى والمثنى، وَالْجمع أَوْلَاد وولدة ورهط، المعجم الوسيط ١٠٥٦\٢.

(٢) إضافة للسياق.

(٣) فى الأصل ادعيَ.

(٤) فى الأصل ادعيَ.

(٥) فى الأصل حضر.

(٦) إضافة للسياق.

(٧) في الأصل غضبانا.

(٨) فى الأصل بنت.

ثم قالت له: اتقِ الله أيها الملك [١٧٨] ولا تعبد الأصنام.

فقال لها: ارجعي عن هذا القول وإلّا أعذبكِ أليما، تعبدين[١] إلها غير معبود آبائك وأجدادكِ؟

قالت له: يا أبتِ أمّا إنْ هذا الإله الذي عرفته وأمنتُ بربوبيته هو الذي خلقَ الخلق أجمعين.

قال لها أبوها: إنْ لم تنته عن ذلك لأقطعن أيديكِ وأرجلكِ.

قالت له: أفعل ما تريد, فلستُ أنا راجعة عن قول لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمدا رسول الله.

ثم تركها أبوها وخرج من عندها غضبان[٢]، فلما خرج الملك من عندها قامت ابنته في وقتها وفتحت خزائن الأموال وتصدقت بها[٣] على الفقراء والمساكين حتى لم يبقَ عندها شيء.

وقالت: الأخرة خيرٌ لمن اتقى[٤]، إنّ الدنيا فانية، فأقبلت على صيام النهار وقيام الليل وأكل الخبز بالملح وهي لا تفترعن العبادة ولا عن ذكر الله تعالى، وهى تسأل الله أن يبعث لها حمامة[٥] الذهب وبلغ أهل المدينة ما[٦] جرى لابنة الملك، فقال[٧] أهل المدينة: إنّ ابنة الملك [١٧٩] قد فارقتْ دين أبيها ودخلتْ في دين غيره وكسرتْ صنمها، وتعبد إلها غيره.

فبلغ الملك ذلك فغضب غضبا شديدا، فقام وأتى إليها، وقال لها: إن أهل مملكتي وأهل مدينتي قد علموا ما جرى منكِ فارجعي عن الذي أنتِ فيه وإلّا قطعتُ يديكِ، وأخرجكِ من العز إلى الذل ومن الغنى إلى الفقر و[أجرجكِ][٨] إلى الجبال والأودية الخالية مع الوحوش في القفار.

ثم تركها وخرج من عندها غضبان.

فلم تزدد[٩] إلّا عبادة وتقربا إلى الله تعالى.

فينما هي كذلك ولم تشعر إلّا والحمامة قد أتتها[عند][١٠] طلوع الشمس فقالت لها: السلامُ عليكِ يا ابنة الملك العابدة الصالحة القائمة في حدود الله تعالى وفرائضه.

---

(١) في الأصل تعبدي.

(٢) فى الأصل غضبانا.

(٣) فى الأصل بهم.

(٤) اقتباس من الآية ٧٧ "سورة النساء" ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾.

(٥) فى الأصل الحمامة.

(٦) فى الأصل بما.

(٧) في الأصل يقولون.

(٨) إضافة للسياق.

(٩) في الأصل تزداد.

(١٠) إضافة للسياق.

فقالت ابنة الملك: أيتها الحمامة لقد أحزنني[١] فراقك ولقد اشتقتُ إلى لقائكِ فلا تهجرينني لأنني قد آمنتُ بالله العظيم.

قال كعب الأحبار رضى الله عنه: ولم تزل الحمامة عند ابنة الملك تحدثها إلى آخر النهار ثم تركتها ومضتْ وشاع ذكرها فى المدينة، فأتتْ الوزراء والأمراء وأكابر المدينة [١٨٠] إلى أبيها وقالوا: أيها الملك إنْ تركتَ ابنتك على هذا الحال تُفسدُ عليكَ أهل مملكتك.

فدخل أبوها عليها وزجرها عن ذلك الأمر الذي هي عليه فلم ترجع عن قول لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، فأمر الملك بقطع يدها، فقالت له : والله لو قطعتني إربا إربا ما أردُ عن عبادة ربي.

فأمر بقطع يديها. فلما تحققت ذلك من أبيها رفعت طرفها إلى السماء وتضرعت إلى الله بالدعاء حتى بكى عليها كل من حضر.

وقالت في دعائها: اللهم إني أسألك يا إله السموات والأرض وإله الخلق أجمعين أفرغ علي صبرك وثبتْ قلبي على محبتك، ولا تفتني بالشيطان يغويني ويمنعني عن طاعتك، وصبرني على قدرته عليّ ولا تسلب مني قول لا إله إلا الله.

فينما هي كذلك وإذا بالحمامة قد أقبلت إلى ابنة الملك وقالت لها: السلام عليكِ.

قالت ابنة الملك: أمَا تنظرين[٢] ما حلّ بي من أبي.

قالت لها: لا تجزعي وتمسكي بالله عز[١٨١] وجل وأعلمي أن الله تعالى لا يضيع أجر الصابرين

ثم قال [كعب الأحبار][٣] إنّ أباها[٤] أقبلَ عليها وقال لها: يا ولدي ارجعي عما أنتِ عليه؟

قالت: لا أرجع، وافعلْ بي ما أنتَ فاعله.

ثم أمر بقطع يديها، فقالت: بسم الله، اللهم صبرني على ما نزل بي.

قال كعب الأحبار: فبكي عليها كل من حضر، وضجت الملائكة في السموات لربها وقالت[٥]:

إلهنا ومولانا ما نزل بهذه الجارية الغريبة فى محبتك ومحبة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ؟!

قال الله تعالى: يا ملائكتي كل ذلك بمشيئتي وهذا[٦] كله بعلمي وإرادتي، فوعزتي وجلالي لأعطينها أجرها في الآخرة.

قال كعب الأحبار: فقُطِعتْ يداها وهي تقول: بسم الله، صبرني على ما نزل بي وامحُ عني كل ذنب

---

(١) فى الأصل احزني.

(٢) فى الأصل تنظري.

(٣) إضافة للسياق.

(٤) فى الأصل ان ابوها.

(٥) فى الأصل قالوا.

(٦) وهذه.

كان مني من عبادة الأصنام، ثم أنهم غمسوا يديّها في الزيت والقطران، وهي تقول: الحمد لله على ما قضى وحكم فله الحمد والشكر.

فأمر الملك حين ذلك أن يجروها من ثيابها وحُليها وأخْرِجتْ من قصرها وديارها [١٨٢] والجواري[١] تبكي[٢]، وكان[٣] الجميع يحبونها لأجل ما كانت تحسن إليهم. ثم أخرجوها من المدينة إلى القِفار.

ثم أن الملك أمر مناديا أن ينادي فى المدينة هذا جزاء من فارق دينه ودين أبائه وأجداده واتبع دينا لا نعرفه.

قال كعب الأحبار: فلما أخرجوها للبراري والقفار الموحشة وأرتْ[٤] نفسها وحيدة فريدة بعد القصور والخُدام والجواري[٥] استوحشت لوحدتها، فعند ذلك رفعت طرفها إلى السماوات وقالت:

إلهي وسيدي ومولاي، يا إله من في السموات والأرض، أنتَ تعلم حالي ووحدتي، آنسني بقدرتك وشوقني إلى طاعتك حتي لا أعصيك، ولا آتنس إلّا بذكرك، فارحم غربتي وآنس وحشتي وذلتي وحِيرتي في هذه القفار إنك أنتَ العزيز الغفار فاستجاب الله وناداها[٦]، فقال الله:

هذا كله بعلمي وقدرتي، وعزتي وجلالي لآتين لها أجرها وأعطيها كرامتها مع أوليائي الذين أكرمتهم بكرامتي في جنتي برحمتي[١٨٣] وأنا على كل شيء قدير.

قال كعب الأحبار: فقامت ابنة الملك تمشي حزينة مكروبة حتى أتت إلى مغارة تحت الجبل.

فقالت: آوي في هذه المغارة عن أعين الناس، وصارت تأكل من نبات الأرض وتشرب من مسيل الأمطار وتستر بالحشيش وورق الأشجار، فلما دخلت المغارة وجلست فيها فإذا فى تلك المغارة سبع ولبؤة وأشبالهما، يعني أولادها، فلما رأتهم فزعت فزعا عظيما، وتذكرت قول أبيها حين قال لها: أخرجكِ إلى البراري تأكلكِ الوحوش والسباع، ثم إنّ الله عز وجل شجع قلبها وصبرها.

فقالت: وما عسى أنْ تأكلني السباع! عذاب ساعة واستريح من الدنيا وأصيرُ إلى الآخرة فى نعيم لا يفنى.

فأمرَ الله سبحانه وتعالى ذلك السبعَ واللبؤةَ وأشبالهما أنْ يأتوا إليها، فأقبلوا عليها وجعلوا يتمسحون

(١) فى الأصل الجوار,
(٢) في الأصل يبكون.
(٣) في الأصل كانوا.
(٤) أى رأت.
(٥) فى الأصل الحوار.
(٦) فى الأصل نداها.

بها، وصار السبع يبصبص بذنبه إليها و[صاروا][1]يتبركون بها، فاستأنست بهم ثم أن السبع هَمْهَمَ بكلام [١٨٤] لا تعرفه الجارية.

قال كعب الأحبار: وكان كلام السبع إليها: السلام عليكِ أيتها الجارية الصالحة. أعلمي أنّ لكِ عند اللهِ أفضل المجازة.

وكان السبعُ واللبؤة وأشبالهما يتوجهون[2] إلى الأشجارِ ويأتون[3] إليها بالأثمار[4] فتأكل من ذلك، وتشرب من ماء الأنهار وترجع إلى تلك المغارة مع السِباع.

قال كعبُ الأحبار: ثم أنّ الله عز وجل بقدرته وقضائه فى خلقه أن ابن ملك من ملوك الروم خرج فى بعض الأيام إلى الصيدِ والقنص فبينما هو سائر فى البرية لأجل الصيد فأرمته[5] المقادير إلى ذلك المكان الذي فيه المغارة التى فيها ابنة الملك، إذْ ظهرتْ له ظبية فى ظهر البرّية فحمل [6]عليها، فلم تزلْ تلك الظبية تعدو أمامهم[7] حتى دخلتْ تلك المغارة التى فيها ابنة الملك، وجلست تلك الظبية في حِجر ابنة الملك فأخذتها وضمتها إلى صدرها، وكان السبع واللبؤة وأشبالهما جالسين أمام المغارة فلما[١٨٥] رآهم[8] المماليك ولوا وهم راجعين إلى ابن الملك وأخبروه بذلك، وقالوا له: إنّا رأينا شيئا عجيبا.

قال لهم: ما رأيتم؟

قالوا: إنّا تبعنا الظبية فدخلتْ إلى المغارة، فنظرنا في صدر المغارة جارية لم يَرَ الراؤن أحسن منها وجها ولا أجمل منها طلعة، فلا زالت الظبية سائرة حتى جلست فى حجرها، ونظرنا على باب المغارة سبعا شديدا ولبؤة وأشبالها فولينا لما رأيناهما فجئنا إليك مسرعين.

فقال ابن الملك: إنّ هذا أعجب العجائب.

فصار ابن الملك يريدُ المغارة إلى أن دنا منها، فوقف بالقرب منها ونظر إلى ابنة الملك وإلى حسنها وجمالها فلم يَرَ قط مثلها، وافتتن بها وأحبها محبة شديدة، وألجم الله تعالى السبع واللبؤة والأشبال فدخل ابن الملك المغارة فوجدها جالسة والظبية فى حجرها.

فقال لها: أيتها الجارية أنتِ من الأنس أم أنتِ من الجنِ؟

---

(١) إضافة للسياق.

(٢) فى الأصل يتوجهوا.

(٣) في الأصل ياتوا.

(٤) الثمر.

(٥) اى رمته وطرحته.

(٦) فى الأصل فحملوا.

(٧) أى أمام ابن الملك وركبه.

(٨) فى الأصل رأوهم.

فقالت: أنا إنسية من[١٨٦] من خيار الأنس.

فقال: كيف صرتِ إلى هنا مع الوحوش والسباع وتتونسين[١] بهم دون الأنس فما الذي أصابكِ؟ وأنتِ ذات حسن وجمال، وقدّ واعتدال.

اعلمي أنني ابن ملك وخرجتُ إلى الصيد والقنص فوقعتُ بهذه الظبية فدخلت إلى هذه المغارة. فساقني الله سبحانه وتعالى إليها فوقعتُ بكِ، وأنا أحقُ بكِ واتخذكِ لي زوجة وأهلا، وأجعلكِ سيدة قومي وأهل مملكتي.

فقالت له ابنة الملك: يا هذا تنحَ عني فلا حاجة لى في المملكة ولو كنتُ أردتُ لكنتُ نلتُ شيئا لا تناله أنتَ ولا [من هو][٢] أكبر منك.

فقال لها: من أنتِ حتى أعرفكِ؟

فقالت له: أنا قلقسين[٣] ابنة ملك الروم[٤] صاحب مدائن الخيزران ومُلكه أعظم من مُلكك ومُلك أبيكَ

فعرفها ابن الملك، وكان من جملة من أرْسَلَ يخطبها من أبيها، وأبَذَلَ[٥] له الأموال.

فأبى أبوها أنْ يُزوجها له.

فقال لها ابن الملك: يا سيدتي ومَنْ الذي فعل بكِ هذه الفِعال وصيرك إلى هذا الحال بعد العز [١٨٧] والدلال.

فقالت له: إني تركتُ عبادةَ الأصنام، ودخلتُ في دين الإسلام وعبدتُ الواحد المنان لا إله إلّا هو وحده لا شريك له وهو رازقُ الخلقَ وخالقهم ومحييهم ومميتهم فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه أدخله النار، فلم علم أبى بإسلامي وإني تركتُ دينه وتبعتُ دين الإسلام وتركتُ عبادة الأصنام، فقطع[٦] يديّ وأخرجني من النعيم إلى هذه البراري والقِفار، وآساني[٧] ربي عز وجل بالسباع، وغذاني برزقه وأسقاني[٨] من شرابه، وأنقذني من النار إلى الجنة، فله الحمد والشكر.

---

(١) فى الأصل تتونسي، والمعنى أى آنست وأزاليت وحشتها.

(٢) إضافة للسياق.

(٣) فى الأصل قلقيس.

(٤) فى أول القصة نعرف أن أباها هو ملك انطاكية، ولعل قولها هنا أنها ابنة ملك الروم أن أنطاكية نفسها كانت تابعة لدولة الروم (البيزنطية) وهذا دليل ان القصة عرفت قبل منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، أي قبل ظهور الدولة العثمانية على مسرح الأحداث وأثناء الحروب الصليبية.

(٥) أى قدم وأعطى ولم أقع على هذا الاستخدام فى المعاجم العربية.

(٦) فى الأصل قطع.

(٧) فى الأصل واسنى.

(٨) اسقاني هل تكون بمهنى سقى.

فقال لها ابن الملك: يا قلقسين، هِمي وأخرجي من هذه المغارة حتى أصيركِ إلى ما كنت فيه من النعيم.

فقالت له: ولِمَ تفعلْ ذلك وتدعوني إلى الزواج وأنا على غير دينكَ ؟

فقال لها: ما الذي تقولين؟ فإني لم أسمع بهذا الدين من أحد غيركِ.

قال كعبُ الأحبار: فشرحتُ له الإسلام وعبادة ربها.

فقالت له: من أرَدَ أنْ يدخل في دين الإسلام يقول: لا إله إلّا الله وحده [١٨٨] لا شريك له وأنّ محمدا عبده ورسوله.

ثم وصفتْ له الجنة ونعيمها والنار وجحيمها، والموت والحشر والحساب، ووصفتْ له عظمة الله تعالى.

فقال لها: قلتِ حقا ووصفتِ ربا حقا وهو إله عظيم ورب كريم.

فقال لها: أنا موافقك على ما تقولين وتبعتكِ في هذا الدين، وتركتُ دِين آبائي وأجدادي، فتطواعينني[١] على ما أريد، وتروحين[٢] معي إلى أرضي وبلادي، وأتزوجكِ وتصيرين[٣] لى أهلا وأصير لك بعلا، وأعبدُ أنا وأنتِ هذا الإله العظيم والرب الكريم؟

قالت: يا ابن الملك إني لا أصلح لكَ.

قال لها : ولِمَ؟

فقالت له: بي عاهة تمنعني عن التزوج[٤] وهي يديّ الذين قطعهما أبى.

قال لها: قد رضيتُ بكِ على ما فيكِ.

ثم إنه بكى وأخذتْ عليه العهدَ والميثاق أنه لا يعبد إلّا الله.

ثم إن ابنة الملك دخلتْ إلى السبع واللبؤة والأشبال وودعتهم وخرجتْ إلى ابن الملك فحملها[٥] معه ولم يزالوا سائرين بها إلى أن [١٨٩] وصل إلى مدينته وأدخلها إلى قصره، ووصى عليها أمه وقال لها: إنّ هذه الصبية هي سلوتي[٦] ومُنيتي من الدنيا، فأحسني إليها كل الإحسان. ففعلتْ أمه ما أمرَ به

---

(١) فى الأصل فتطواعييني.

(٢) في الأصل تروح.

(٣) في الأصل تصيري

(٤) فى الأصل التزويج.

(٥) فى الأصل فحمله.

(٦) فى الأصل سلوي.

ابنها، ولم تدَعْ أمه شيئا من الملابس الحسنة ولا من الجواهر المثمنة واللؤلؤ والدُر حتى أفاضته[١] عليها، وكانت أمه فرحانة بها لأجل ولدها، وأوقفتْ فى خدمتها جاريتين كأنهن الأقمار تخدمانها[٢]، فلما رأتْ ابنة الملك أنّ أم ابن الملك قد مالتْ إليها بالمحبة عرضتْ[٣] عليها الإسلام وخوفتها من عذاب الله تعالى، وقالت لها: يا ستى اعلمي [أنّ][٤] مَنْ عَبدَ الله وأطاعه دخل جنته ومتعه فيها بالنعيم المقيم ومن عصي ربه وعَبدَ غيره أدخله ناره وعذبه بعذابه الشديد الأليم، فعند ذلك قالت أم ابن الملك: يا ابنتي[٥]: بأي شيء أتقرب إلى الله، بأي الأعمال؟

قالت لها: تقولي بالقلب واللسان قولا صادقا: لا إله إلّا الله محمد رسول الله.

وقامت العجوز وقالت لها[١٩٠] كما قالت لها [ابنة الملك][٦].

وعبدتْ الله عز وجل مع ابنة الملك فى السر بينهما ولم يعلم بها أحد من الذين فى القصر ثم إنّ ابن الملك عمل وليمة عظيمة وجمع أهل المدينة ودخل بها فوجدها بكرا عذراء فأحبها محبة عظيمة، وصارتْ عنده أياما وشهورا[٧] فبعد سنة كاملة حملت منه فجاءت بولد ذكر حسن، ثم إن ابن الملك عمل وليمة عظيمة لأجل ولده وطار عقله من فرحه وصار لا يقوم ولا يقعد إلّا به وسماه قمر الزمان

قال كعب الأحبار فحدث لابن الملك سفر فدخل على أمه وقال لها: يا أمّاه أتعلمين[٨] أنّ أحدا عندك عزيز! أعز مني؟

قالت له : لا يا ولدي أنت أعز عندي من كل ما أنا فيه وعندي.

فقال لها ولدها: إذا كان الأمر كذلك فاعلمي أن هذه زوجتي وولدي قمر الزمان يكونان[٩] عندك أعز مني.

قالت له أمه: يا ولدي حبا وكرامة، وسمعا وطاعة، لا ينالهما مني مكروه أبدا لأجلك ولأجل موضعك من قلبي لأنك قطعة من [١٩١] كبدي.

فخرج من عند والدته، وأقبل على القواد والخدم ووصاهم على زوجته قلقسين وعلى ولده قمر

---

(١) أفاض عليه صب عليه النعم وغمره به.، دوزى، تكملة المعاجم العربية، ٨-١٤٦.

(٢) فى الأصل تخدمها.

(٣) فى الأصل فاعرضت.

(٤) إضافة للسباق.

(٥) فى الأصل يا ولدي وهو تصحيف واضح.

(٦) إضافة للسياق.

(٧) فى الأصل ايام وشهور.

(٨) فى الأصل اتعلمي.

(٩) فى الأصل يكونوا.

الزمان، وقال لهم: مهما فعلتم معهما[١] فهو واصل إلىّ.

فقال[٢] له الجميع: سمعا وطاعة، مقامهما[٣] عندنا كمقامكِ.

فعند ذلك جازهم[٤] وخرج إلى سفره، فلما بَعُدَ[٥] عن المدينة رفع طرفه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي ومولاي أنت خليفتي على أهلي وهم وديعة لى عندك إلى أن أعود.

قال الراوي: هذا ما كان من أمر ابن الملك وأمّا ما كان من أهل القصر من الحظايا[٦] فإن ابن [الملك][٧] كان له حظايا وسراري[٨] ونسوة فلما رأوا ابن الملك قد دخل على قلقسين ابنة الملك وحبها محبة عظيمة وهجرهن[٩] لأجلها فبغضوها وغاروا منها غيرة عظيمة وكن يتمنين[١٠] لها[١١] مكيدة يرمينها[١٢] بها وحسدنها[١٣] على ذلك النعيم.

فقال بعضهن[١٤] لبعض: من أين أتتنا هذه الساحرة وجعلتْ ابن الملك عبدا لها فلو كان خيرا ما قطّعوا[١٩٢] يديها.

---

(١) فى الأصل مها.

(٢) فى الأصل فقالوا.

(٣) فى الأصل مقامهم.

(٤) جازهم اي انتقل ورخل عنهم.

(٥) فى الأصل أبعد

(٦) فى تاج العروس ٤٤٧\٢٧: الحَظِيَّةِ من النساءِ والجمع حَظايا. اما قول العوام للحَظِيَّةِ محْظيَّة خَطَأٌ، وكذا جمعها! مَحاظِي. وفى تكملة المعاجم العربية لدوزي ٢٣٨\٣ محظِيَّة: وتجمع على محاظي: سرِّيَّة, وفى معجم اللغة العربية المعاصرة لمختار عمر ١\ ٥٢٠ فى مَحْظِيّة [مفرد]: حَظِيَّة، امرأةٌ تفضَّل على غيرها في المحبَّة (وبالأخص عند أمير أو ملِك أو رجُلٍ ذي سلطان). ولكن ورد فى أساس البلاغة للزمخشري ١٩٩\١ لفلان كثير من الحظايا.

(٧) زيادة للسياق.

(٨) فى معجم متن اللغة لأحمد رضا ١٣٩\٢السرية هي المملوكة يتسراها صاحبها: الأمة تبوأ بيتًا وتتخذ للملك أي النكاح والجمع سراري، وهي منسوبة إلى السر أي النكاح أو إلى السر من السرور. لسرية: الحرة تنكح سرا، أو الفاجرة.

(٩) فى الأصل هجرهم.

(١٠) فى الأصل كانوا يتمنوا.

(١١) فى الأصل : لها على مكيدة.

(١٢) فى الأصل يرموها.

(١٣) فى الأصل يحسدوها.

(١٤) فى الأصل بعصهم

والحال ابن الملك غائب فى ذلك السفر غيبة طويلة فقمن[١] واتفقن أنهن[٢] كتبن[٣] كتابا على لسان ابن الملك يقلن[٤] فيه:

السلام التام على الوالدة العزيزة الشفوقة.

أمّا بعد يا والدتي.

بحق ما تعبدينه[٥] وهو الرب العظيم إن هذه الصبية التي أتيت بها اليكِ وجدتها ساحرة فمن جملة سحرها سحرتني حتى تركت دين آبائي وأجدادي ودخلتُ معها فى هذا الدين الذي ذكرته ونحن لا نعرفه. ومن جملة سحرها أنها خَلّتني[٦] لا أنظر إلى أحد من الجواري والحظايا، فحين وصول هذا الكتاب إليكِ تخرجيها من القصر وولدها معها وتتركيها فى البراري والقفار كما كانت أول [مرة][٧].

فلما وصل الكتاب إلى أمّ ابن الملك قرأته وعلمتْ ما فيه وأخفت الكتاب عندها، ولم تعلم ابنة الملك قلقسين بذلك الكتاب لما تعلم من ابنها لمحبته لها، وكانت أمّ ابن الملك تحب قلقسين محبة عظيمة فلمّا [١٩٣] نظر[٨] المحاظي والسراري إلى أن ذلك الكتاب ما ظهر له أثر، كتبوا كتابا ثانيا وأرسلوه إلى أمّ ابن الملك فلما وصل الكتاب قرأته وأخفته، فلما أبطأ خبر الكتاب ولم يظهر له نبأ كتبن[٩] ثالثا ورابعا وخامسا وأمّ ابن الملك تخفيها[١٠] حتى تكامل عندها عدة كتب فمكثت بعد ذلك أياما، وإذا بكتاب أشد من الأولين وإذا فيه يقول: يا أمّاه إنْ لم تخرجيها من القصر وإلّا لن[١١] تنظري لي وجها ما دامتُ في دار الدنيا. فلما سمعتْ أمه ذلك اغتمت غما شديدا على فراق ابنة الملك وعلى ولدها قمر الزمان، وكانت أم ابن[١٢] الملك فرحانة بالعبادة مع قلقسين فعز عليها فراقها وقالت في نفسها: فإذا راحت هذه الجارية أعبد الله عز وجل وحدي سرا ما بيني وبين الله تعالى. ثم إن العجوز أعلمت بنت الملك بتلك[١٣] الكتب

(١) فى الأصل فقاموا.
(٢) غى الأصل انهم.
(٣) فى الأصل كتبوا.
(٤) فى الأصل يقولون.
(٥) فى الأصل تعبديه
(٦) أى جعلتنى.
(٧) إضافة للسياق.
(٨) في الأصل نظروا.
(٩) فى الأصل كتبوا.
(١٠) فى الأصل تخفيهم.
(١١) فى الأصل لم.
(١٢) فى الأصل ابنة.
(١٣) فى الأصل ذلك

التى وصلت إليها وقرأتها[1] عليها بسبب خروجها[١٩٤] من قصرها.

فقالت ابنة الملك: إن أرض الله واسعة، ورب العالمين ما قطع بى وأنا ملقاة في فلاة وقد سخر لى السباع تؤنسني وتأتي برزقي وشربي والأمر كله لله عز وجل.

ثم إن العجوز بكتْ بكاء شديدا لفراقها. ثم إن ابنة الملك نزعتْ ما كان عليها من الحلى والحلل، ولبستْ جُبة من الصوف وخرجتْ من القصر هائمة على وجهها حاملة ابنها متوكلة على ربها لا تدري أين تتوجه، وكان ابن الملك لما أخذها من المغارة أخذ من أولاد السباع جروا ورباه عندها فى القصر، فلما أخرجتها العجوز من القصر تبعها ذلك الجرو فلم تزل سائرة فى البريّة وإذا أقبل عليهم الليل تنام وتأخذ ولدها في حضنها، وتنام والجرو يحرسهم طول الليل من الوحوش وغيرها فلم يزالوا كذلك فى البراري والقفار وهى تقول:

اللهم إني أسألك يا إله السموات [١٩٥] والأرض آنسْ وِحدتي، فَرجْ كَربي، ورِدْ غربتي إنكَ على كل شيء قدير.

قال كعب الأحبار رضى الله عنه: ولم تزلْ سائرة وهي تقول: وحقك لو أنزلتَ عليّ كل يوم بلية ما ازددت فيك يارب إلاّ حبا، فارحمني يا إلهي، وآنسْ وِحدتي إنك على [شئ][2]، فلم تزل هائمة بالليل[3] والنهار فبينما هي كذلك حزينة القلب من العطش والجوع، غريبة بعد العز والدلال فأرسل الله تعالى لها الحمامة التى كانت تأتيها أولا وكانت[4] سبب إسلامها.

فقالت: السلام عليكِ يا ابنة الملك، كيف أنتِ وكيف حالكِ؟

فقالت لها ابنة الملك: وعليكِ السلام أيتها الحمامة، لا تحسبينني[5] أني نسيتكِ وأني كثيرة الاشتياقِ إليكِ، أمّا ترين[6] من الوحش والهموم[7] في هذه القفار بعد العز والدلال.

فقالت لها الحمامة: اصبري وابشري ألا إنّ الله يبشركِ برضوانه فلا تتأسفي على ما فاتكِ من نعيم الدنيا وابشرِي بثواب الله [١٩٦] تعالى، وصارتْ الحمامة تعظها وتشرح لها عظمة الله وكبريائه وجزيل عطائه للصابرين على بلائه، ثم قالت الحمامة: يا ابنة الملك ادعي الله تعالى أن يرد عليك

---

(١) فى الأصل قرأتهم.

(٢) إضافة للسياق.

(٣) فى الأصل الليل دون حرف الجر.

(٤) فى الأصل كانت دون حرف الجر.

(٥) في الأصل تحسيني.

(٦) فى الأصل تري.

(٧) كذا ولعلها الهوام.

يديكِ لتحملي بهما[١] هذا الولد الصغير فإن دعائك مستجاب، واللهُ تعالى قريب لمن دعاه ولا يخيب من دعاه، وهو كريم يعطى العبد مناه.

فقالت ابنة الملك: والله إني استحي من ربي عز وجل أن أسأله حاجة من حوائج هذه الدنيا الفانية بشيء بعد أن أنقذني من الكفر ومَنّ عليّ بالإيمان.

فقالت الحمامة: اعلمي أن الله عز وجل جواد كريم يقبل القليل ويغفر الذنب العظيم. ثم أن ابنة الملك خرجت ساجدة لله عز وجل، فألقى الله تعالى عليها النوم فنامتْ وضمت ولدها إلى صدرها، ثم انتبهت من نومها وجدت يديها قد ردهم الله تعالى إلى مفاصلها بقدرته وعظمته وكبريائه ورحمته ومغفرته ولطفه بعبده[١٩٧] الضعيف فإنه سبحانه وتعالى ألطف بعبده من أبيه وأمه وهو على كل شيء قدير، وصارتْ يديها أحسن ما كانوا أول مرة فسجدتْ لله شكرا من فرحها، ثم أقبلتْ تحمد الله شكرا على ما أولاها من النعمة الجزيلة.

فقالت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يُخَيّبْ من دعاه، سبحانك لا إله إلا أنت القادر على كل شيء رددتُ عليّ يديّ بعد قطعهما[٢] وأنت بى رحوم شفوق علىّ، لا أحصي ثناءا عليك.

قال كعب الأحبار رضى الله عنه: يا أمير المؤمنين ثم إنها لم تزل سائرة تسبح الله تعالى حتى انتهت إلى سفح الجبل فوجدتْ مغارة فأوتْ إليها هي وولدها والظبية وولد السبع معها لم تفارقها، فانبتَ الله تعالى لها من كرمه شجرة من رمان تطرح فى كل يوم رمانة وأخرج لها عينا من أصل الشجرة أحلى من العسل وأبرد من الثلج فكانت ابنة الملك تأخذ هذه الرمانة فتقسمها شطرين [١٩٨] تأكل هي الشطر الواحد وتقسم الشطر الأخر: تعطي لولدها الشطر [الأول][٣] والشطر الآخر للظبية، ويشربون[٤] من تلك العين التى في أصل الشجر، وتعبد الله عز وجل فى المغارة التى فى تلك[٥] المغارة.

قال كعب الأحبار: هذا ما كان للجارية، وأمّا ماكان من ابن الملك فإنه عاد[٦] من سفره وزُنيتْ له المدينة ودُقَتْ له الكوسات[٧] ودخل إلى المدينة فرحان وخاطره[٨] عند زوجته قلقسين وابنه قمر الزمان،

(١) فى الأصل بهم

(٢) فى الأصل قطعها.

(٣) إضافة للسياق.

(٤) الأصل يشربوا.

(٥) فى الأصل ذلك.

(٦) د - عاِود: عاد على عقيبه، رجع (بوشر) دوزي ٣٣٧\٧.

(٧) الكوسات (جمع كوس وهى كلمة دخيلة من العصر الأيوبي) وهي صنوج من النحاس شبه الترس الصغير يدق بأحدها علي الآخر بإيقاع مخصوص والضارب بها كوسي "صبح: ٤: ٩". أحمد رضاءم عجم متن اللغة ١٢٥\٥.

(٨) فى تكملة المعاجم العربية ١٣٤\٤ الخَاطِر: الفكر، الذهن، النفس وحضور الخاطر: حضور الفكر. والخاطر هو الطبع والمزاج.

فلم يزل سائرا إلى أن دخل قصره فلم يجد زوجته ولا ولده فترك القصر وسار إلى والدته.

وقال لها: يا أماه أين زوجتي قلقسين وولدي قمر الزمان؟

قالت: يا ولدي العفو.

قال لها : عافاكِ الله.

قالت: يا ولدي أتانى منك سبعة كتب متتالية بعضها بعضا مضمونها[١] أنّ ساعة وصول الكتاب إليكِ تخرجي[٢] من عندك هذه الساحرة التي سحرتني وأخرجتني من دينى ودين آبائي وأجدادي، وهذه [هي][٣]الكتب، فأتته بها فقرأها وعلم أنها مكيدة [١٩٩] من المحاظي[٤]. فاغتاظ غيظا عظيما[٥]، وقال لها: يا أماه وحق الربِ الذى عرفناه ما كتبتْ هذه الكتب ولا أمرتُ بكتابتها ولا أرسلتها، وليس لى منها خبر. ثم إنه ترك أمه وخرج وحده فى البراري والقفار هائما على وجهه لا يعلم اين يتوجه، فتبعه الناس من بعض مماليكه وغلمانه وجعل يسير فى البراري والقفار والأودية الخالية الليل والنهار وهو ينادي ويقول:

يا دليل الحائرين يا أمان الخائفين يا مغيث المستغيثين دلني على زوجتي وولدي قمر الزمان إنك قريب مجيب سميع بصير، ويتضرع إلى الله ثم إنه بكى فبكت الملائكة لبكائه. فأرسل الله عز وجل إلى ابن الملك ملكا في صفة أعرابي من البادية فقال له: السلام عليك يا ابن الملك.

فقال: وعليك السلام.

قال: لأي شيء أنتَ سائر في هذه البرّية والقِفار؟

فقال له : قد ضاع لى ضائع.

قال: ما هو؟

قال: زوجتي وولدي؟

فقال له الأعرابي: اقصد هذا الجبل الذي تراه تجدهم في مغارة كذا، فإن الله تعالى قد حفظهم لك وأقرّ عينك.

ثم سار ابن الملك إلى تلك المغارة ونادى: يا قلقسين يا حبيبتي وقرة عيني.

---

(١) فى الأصل مضمونهم.

(٢) فى الأصل تخرجِ.

(٣) إضافة للسياق.

(٤) الحَظِيَّةِ من النِّساءِ هى المفضلة وتجمع على حَظايا وقولُ العَوام للحَظِيَّةِ مَحْظيَّة خَطَأٌ، وَكَذَا جَمْعها! مَحاظِي، تاج العروس ٤٢٧\٢٧.

(٥) فى الأصل فاغتاض غيضا.

فلم تجبه، فنزلتْ عليها الحمامة وقالت: السلامُ عليكِ، أمّا تسمعين[١] صوت زوجكِ؟

قالت: أيتها الحمامة أخاف أن يكون قد رجع عن[٢] دين الإسلام إلى الكفر والطغيان.

فقالت لها: معاذ الله، ما رجعَ ولا تغير وأنه مؤمن بالله تعالى.

فناداها ثانية فأجابته: لبيك ها أنا وولدي والظبية.

فقال: ما فعل الله بكِ؟

فقالت: ما فعل الله إلّا خيرا، رزقني ورزق ولدي فغذانا من فضله وأسقانا من فيض رحمته، وحرسني وولدي، وأبشرْ يا ابن الملك إن الله عز وجل قد ردّ علىّ يديّ كما كانا[٣] وأنبتَ لى هذه الشجرة: الرمان، وأنبع[٤] لي من فضله هذه العين الماء الباردة، فلله الحمد. أنتَ طردتني من قصرك فأواني ربي وقطعتَ [٢٠١]عني رزقكَ فرزقني ربي وأكفاني وآنسني في غربتي.

فقال لها ابن الملك: وحق الرب الذي عرفناه ما كتبت هذه الكتب ولا أمرتُ بكتابتها ولا أذنتُ ولا وكّلتُ ولا أرسلتها[٥] ولكن هذه مكيدة من أهل القصر والحظايا والسراري[٦] فاذا رجعت إلى مدينتي وإلى أهلي أفعل بهم ما أريد وأختار، ثم أنهما حمدا الله تبارك وتعالى على ما أولاهم من النعيم.

وأقام ابن الملك ومن معه من المماليك في ذلك الوادي؛ لأنه كان كثير الأشجار والثمار والأنهار والأطيار تسبح لله الواحد القهار وأن الظبية أتت إلى ابن الملك وجلست بين يديه كالمسلمة فضمها إلى صدره؛ لأنه كان يحبها لمحبة ابنة الملك، وأن ابن الملك أمر واحدا من غِلمانه أن يسير إلى المدينة ويأتيه بمِحَفَّة[٧] من[٨] المعادن[٩] وجواد بسرج من الذهب، فسار القاصد فغاب وأتي بالمحفة والفرس، فأدخل زوجته المِحَفَّة وركّب[١٠] ابنه على [٢٠٢] الجواد. ثم أقسم ألّا يدخل المدينة حتى يبنى لها قصرا لبنة من ذهب ولبنة من فضة كما فعل أبوها، وأكثر من الآلات المطربات والتحف والمعادن والجوهر

---

(١) فى الأصل تسمعي.

(٢) فى الأصل رجع من وهو تعبير لا يوجد بهذا المعنى، و يقال رجع عن الامر: كفَّ وامتنع عنه وتركه وعَدَل عنه، ويقال رجَع عن دينه تركه.

(٣) فى الأصل كانوا.

(٤) أى فجّر.

(٥) فى الأصل ارسلتهم.

(٦) فى تاج العروس ١٤\١٢ السُّرِّيَّةُ، بالضم الأَمَة الَّتِي بَوَّأْتَها بَيْتاً واتَّخَذْتَها للمِلْكِ والجِمَاعِ مَنْسُوبَةٌ إِلى السِّرِّ، بالكسرِ؛ لأَن الإِنْسانَ كَثيراً مَا يَسُرُّها ويَسْتُرُهَا عَن حرتِه.

(٧) المِحَفَّة وتجمع على مِحفَّات ومَحافُّ: هودج لاقُبَّة له تركب فيه المرأة. مختار عمر ١\٥٢٦.

(٨) فى الأصل ب.

(٩) المعدن اسم جمع وهو الجواهر من حديد وذهب وفضة مما تنبت الأرض تكملة المعاجم العربية لدوزي ٧\١٦٠.

(١٠) ركّب بالتشديد أركبه وجعله يركب دابة، تكملة المعاجم العربية دوزي ٥\٢٠١.

والحرير، وزرع فيه من الأشجار والأثمار والرياحين، ثم صنع لها كرسيا من الذهب ورصّعه بالمعادن واللؤلؤ والجواهر، واجتمع جميع أكابر دولته وخرجوا للقائه، وصار له يوم عظيم وشأن عظيم، وهي في المِحَفَّة وولده قمر الزمان راكب الجواد، ودقت الكوسات بالبشائر وصنع وليمة وأضاف أهل البلاد عموما غنيها وفقيرها.

قال كعب الأحبار رضى الله عنه: ثم إن ابن الملك، ثاني يوم أجلس زوجته في شباك القصر وكان ذاك الشباك يشرف على كرسي المملكة الذي يجلس عليه يوم الموكب ثم نادي فى جميع عسكره وأرباب دولته ثم أمر بإحضار الخدم والجواري والحظايا ليحكم فيهم، وقال لهم: أخبروني من كتب هذه المكاتيب [٢٠٣] الباطلة بخروج زوجتي وولدي من مصرهم فمن يَصْدُقُني منكن فى قوله عفوتُ عنها[١]، وإلّا أقتلكم أيشم[٢] قتلة؟

فقالت[٣] الحظايا والسراري والجواري: نسالك العفو عند المقدرة.

قال: عفوتُ عنكن[٤].

قلن[٥]: فلانة وفلانة فعلن ما فعلن[٦] وأرسلن[٧] الكتب مع فلان.

ثم أمر ابن الملك: بإحضارهن وحبسهن[٨]، ثم أحضر أمه إلى عنده وقال لها: يا أمّاه لا كفر بعد الإيمان.

قالت له: يا ولدي أنا مقيمة على الدين الذى دخلته أنا وإياك، ثم دخل على والده وعرض[٩] عليه الإسلام.

وقال : يا أبتِ إني أسلمتُ[١٠] ودخلت في دين الإسلام فماذا تقول؟

قال يا بُني[١١] وما دين الإسلام ؟

---

(١) فى الأصل عنه.

(٢) أيشم تحريف أشأم أي أكثر شؤماً تكملة المعاجم العربية، دوزي١١\١٠٩.

(٣) فى الأصل فقالوا.

(٤) في الأصل عنكم.

(٥) في الأصل قالوا.

(٦) في الأصل فعلوا ما فعلوا.

(٧) في الأصل ارسلوا.

(٨) في الأصل احضارهم وحبسهم.

(٩) في الأصل اعرض.

(١٠) في الأصل سلمت.

(١١) في الأصل ابنى.

قال: أن تقول لا اله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله.

قال: فأسلم أبو الملك وحسن إسلامه. ثم لم يزل ابن الملك في نعيم وعيش رغيد بين أهله وفي بلاده وهو كثير الفرح بزوجته وولده قمر الزمان ووُلد له ولد أخر سماه قوت النفوس ثم إن [٢٠٤] الملك نظر إلى ابنة الملك وتفكر فى فعل أبيها لها وقطع يديها وإخراجه إياها فى أسوأ حال إلى البراري والقفار بين السباع وانكسار خاطرها.

قال كعب الأحبار: ثم إن ابن الملك قال لزوجته: ألكِ رضا أن أتوجه إلى بلاد أبيكِ وأغزوه وآخذكِ معي حُرْمَة[١] لكِ، وأغزو الذي فعل بكِ ما فعل وأدعوه إلى دين الإسلام فإن أسلم أبقيه على بلاده ويكون بيننا وبينه محبة ومودة وإنْ لم يجبْ ولم يسلمْ هُدمتْ بلاده وديارِه وقُتلتْ أبطاله فما رأيك في ذلك؟

فقالت له: افعل ما تريد وأنا معكَ وبين يديكَ.

فعند ذلك أنفق[٢] الأموال وجردّ الأبطال وسافر من بلاده طالبا[٣] أبا قلقسين، ولم يزالوا سائرين إلى أن أقبلوا إلى أرضه، فزعقت البوقات[٤] ودقت الكوسات. فنظر[٥] أصحاب الحرس إلى عسكر مثل الجراد المنتشر كأنه البحر الزاخر المتلاطم بالأمواج فتسارعوا إلى الملك وأخبروه بقدوم الذي أقبل إلى [٢٠٥] ديارهم. فبعث الملك من عنده قاصدا يقول له:

أيها الملك المقبل إلى ديارنا إن كان لك علينا ثار فنخرج إلى لقائكَ، إن كنت ضيفا فأعلمنا حتى نقدم واجبك[٦] من القِرى وإن كنتَ طالب حاجة أو نجدة ننجدك بأبطالنا ورجالنا، فلما وصل القاصد وأعلمه بما قال له الملك.

قال ابن الملك: ما نحن طالبين ضيافة ولا نجدة وإنما نحن جئنا لأجل ثأر لنا عنده ونريد منه أن يخرج إلينا حتى نتكلم معه وله منا الأمان فرجع القاصد وأخبره بما قال ابن الملك، فعند ذلك حصّن الملك المدينة وتوجه بأبطاله ومن يعتمد عليه وأتى ابن الملك بالأمان إلى أن وصل إليه فلما نظر إلى ابن الملك قام إليه وسلمّ عليه وتلطف به وأحسن إليه بالكلام وتحدثا جميعا[٧]، وقال له أبو قلقسين: أيها الملك أخبرني ما سبب مجيئك من بلادك إلى أرضنا؟

---

(١) حُرْمَة: بمعنى الاحترام والكرامة، دوزي ١٤٦\٢ والحُرمة هي السيدة، أو المرأة المحترمة، دوزي ١٤٦\٣.

(٢) في الأصل نفق.

(٣) فى الأصل طالب.

(٤) جمع بوقُ وهو الذي يُنْفَخُ فيه. الفارابي، الصاح تاج اللغة الفارابي ١٤٥٢\٤.

(٥) في الأصل نظروا.

(٦) في الأصل بوجبك.

(٧) كذا فى الأصل.

قال له: اعلم [أني][1] جئتك في قضية وهي معي، أريدك أن تقوم معيّ إلى سرداقي تنظر إليها.

قال: سمعا وطاعة.

فقام [٢٠٦] ابن الملك والملك ودخلا إلى سرادق ابن الملك فرأى خدام وجوار حسان وسرادق عظيم وكرسي من ذهب مرصع بالدر والجواهر وله بشخانة [2] من اللؤلؤ منصوبة على ذلك الكرسي، فلما دخل ابن الملك ورفع الجواري تلك البشخانة فنظر الملك أبو قلقسين إلى جارية ذات حسن وجمال وقد واعتدال وعلى رأسها تاج وهي كأنها ملكة من ملوك الأكاسرة وهي جالسة على السرير[3] وحولها ولدين كأنهما الأقمار لم يرَ الراؤن أحسن منهما فلما نظرها الملك وحقق النظر إليها عرفها، فوقع مغشيا عليه قدر ثلاث ساعات ثم أفاق وقبّلها بين عينيها، وقال: وا ولْداه[4] وا ثمرة فؤادي إنّ أمركِ لعجب وإنّ حالكِ لغريب، اعلميني بقصتك ومن الذي أنقذكِ من القفار وردّ عليكِ يديكِ وأعطاكِ هذا المُلك العظيم

قالت له قلقسين: يابتِ أعلم أنه الرب الذي عرفته وأقررتُ له بالربوبية ولنبيه [٢٠٧] محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة لقد لطف بى ورد علىّ يديّ وأعطاني مُلكا أعظم من مُلكك ورزقا أكثر من رزقك وجاها أعظم من جاهك لأنه لطف بى وأنا فى ظلمات الأحشاء وكيف لا يلطف بى وأنا كبيرة وقد عرفته. فعند ذلك قام الملك أبوها على قدميه وقال: إني استغفر الله العظيم فيما جرى مني فى حقك وأنا أقول لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأسلم الملك وحسن إسلامه، ثم خرج ابن الملك والملك صهره إلى موضع الحكم والمملكة وقد عرض الإسلام على أهل مملكته فمن أسلم وهب له ماله وأهله ومن أبى قتله وسلب ما له[5] ثم إنّ الملك أضاف صهره وابنته[6] وأولادها وجميع العسكر شهرا كاملا ثم أهداهم الهدايا الجزيلة وسار معهم إلى نصف الطريق وكانوا في زمان يزورن بعضهم بعضا وهم فارحين[7]، حتى أتاهم الممات، رحمة الله عليهم أجمعين

تمت القصة

---

(١) إضافة للسياق.

(٢) بشخانة كلمة فارسية، وتجمع على بشاخين: كِلّة، ناموسية. وزخارف السرير أو الغرفة لصيانة الحشايا والمخدات. والسرير ذو الكلة أو الغرفة ذات الكلة، دوزي تكملة المعاجم ١\٣٤٨.

(٣) العرش.

(٤) فى الأصل والداه وهو تصحيف واضح..

(٥) ليس فى الإسلام شيء من ذلك وانما ذلك ضد سماحته.

(٦) الأصل بنته.

(٧) فى الكليات للكفوي [ص ٤٧٤] "كل مَا يثنى من الثلاثي للثبوت والاستقرار على غير وزن (فَاعل) فَإِنَّهُ يرد إِلَيْهِ إِذا أُرِيد معنى الْحُدُوث ك (حاسن) من (حسن)، و (ثاقل) من (ثقل)، و (فارح) من (فَرح)".

١-فهرس عام

- إبراهيم
- أمير المؤمنين= علي بن أبى طالب
- تافيل
- رسول الله
- الروم
- سعيد بن ظريف
- سعيد بن ظريف
- على بن ابى طالب
- فلسطين
- قمر الزمان
- كعب الأحبار
- أنطاكية
- مدينة رسول الله
- المهاجرين
- الأنصار
- نصر بن مزاحم

٢-آيات القرآن

﴿كما خلقناكم اول مرة﴾

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار﴾

المصادر والمراجع

- الإستدراكات على تاريخ التراث العربي، حسين بن القاسم النعيمى وحمزة بن حسين بن القاسم النعيمي، قسم السيرة والتاريخ، الجزء السادس، دار بن الجوزي، السعودية، ١٤٢٢.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الجزري، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.

- الأعلام، الزركلي، خير الدين، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، شمس الدين، تحقيق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م.
- تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، الجزء الثاني، التدوين التاريخي، فؤاد سزكين، ترجمة محود فهمي حجازي، مراجعة عرفة مصطفي وسعيد عبد الرحيم، السعودية – وزارة التعليم العالي – جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩١.
- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، تحقيق السيد الشرقاوي، مراجعة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- تكملة المعاجم العربية، دوزى، رينهارت، ترجمة محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراقية، ١٩٧٩
- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، د.ت.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ٢٠٠٨ م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ٢٠٠٠.
- معجم التراث الإسلامى فى مكتبات العالم، على رضا قرة بلوط وأحمد طوران قرة بلوط، دار العقبى – قيصري – تركيا.
- معجم متن اللغة أحمد رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، د.ت.
- Ahlwardt, Wilhelm, *Verzeichnis der arabischen Handschriften,* Berlin: Schade; Asher, 1899-1887. vol. 8, p. 50.
- Perlmann, Moshe. "Another Kaʿb al-Aḥbār Story," *Jewish, Quarterly Review* 58–48 :(1954) 45.
- "A Legendary Story of Kaʿb al-Ahbār's Conversion
- to Islam," in *The Joshua Starr Memorial Volume: Studies in History and Philology = Jewish Social Studies*99–85 :(1953) 5.

حكاية حمامة
الذهب مع
بنت الملك

Abstracts of Articles

4. Healthy food according to Muslim doctors in Islamic civilization. /Dr. Sharif Qawish/ Algeria

The subject of healthy nutrition among Muslim doctors in Islamic civilization is one of the new topics that has wide importance in the science of nutrition and contemporary nutritional medicine. The relationship that distinguishes between nutritional and health medicine among Muslims in the Middle Ages and what is in the contemporary period is a purely scientific reconciliation relationship, as it is impossible to dispense with what Muslim doctors have reached in terms of nutritional sciences and techniques. Rather, it is the primary source for experiments and taking what is modern in medical transactions. Islam views human health as a necessity and a basic need, not a luxury. Human life has its sanctity and holiness, and it is not permissible to neglect it or waste it, as the Qur'anic and prophetic texts have clearly indicated. Muslims have also succeeded throughout their history in transforming these theoretical teachings into tangible practical procedures, as the state has moved towards building (hospitals) of various kinds to treat patients, and expanded the operations of digging canals and purifying water sources, and established the Muhtasib to monitor the markets and follow up on the health procedures in them, and enacted legislation that guarantees the preservation of the environment. The treatment of diseases was through nutritional systems, One of the most important foundations of medical treatment for many diseases in hospitals in Islamic cities in the Umayyad and Abbasid eras.

5. Issues from the Book of Ijmaa, written by Abu Ishaq Ibrahim bin Yusuf bin Muhammad bin Dahhaq al-Maliki al-Awsi, known as Ibn al-Mar'ah (d. 611 AH) / Dr. Al-Hassan Hadoushan / Morocco

The books that translated Ibn Dahhaq agreed on his name, nickname, and lineage, as well as the name by which he was known. The sources that translated him mentioned that he is: Ibrahim bin Yusuf bin Muhammad bin Dahhaq al-Awsi, nicknamed Abu Ishaq and known as Ibn al-Mar'ah. Those who translated Ibn Dahhaq spoke about his scientific status with much praise and commendation and described him with descriptions that indicate his mastery of various sciences.

6. The story of the golden dove (Hamamatul Dhahab) attributed to the great companion (Sahabi) Kaab Al-Ahbar (died 32 AH = 652 AD) / Dr. Mahmoud Mohamed Makki / Egypt

There are four important figures who were interested in fictional stories in the early days of Islam and its early era, and all of them are explicitly People of the Book. Three of them are Jews, namely Abdullah bin Salam, Ka'b al-Ahbar and Wahb bin Munabbih, and the fourth is Christian. Two are from Yemen, Ka'b al-Ahbar and Wahba ibn Munabbih, one from Medina Ibn Salam and the fourth from Sham Tamim al-Dari. Two of them were established as companions with the Prophet: Tamim al-Dari (died in 40 AH = 660 AD) and Abdullah bin Salam (died in 43 AH = 663 AD), and two, one of whom was a contemporary of the Prophet and differed whether he had companionship or not, Ka'b al-Ahbar (died in 32 AH = 652 AD) The fourth follower is Wahb ibn Munabbih (died 114 AH = 732 AD), the judge of Sana'a. Most fictional stories are attributed to these four directly or indirectly. This text is for Kaab al-Ahbar and it has not been studied or published before, so who is Kaab al-Ahbar the owner of the story that appeared on his tongue in a single manuscript?

Abstracts of Articles

1. Imprisonment in the Poetry of the Umayyad Era Vagabonds: An Objective Artistic Study/Mr. Manal Al-Mahri/UAE

The article belongs to prison literature, as it links literary creativity with the experiences of imprisonment and detention, focusing on the poetry of vagabonds in the Umayyad era. The article highlights how this type of poetry represents a literary renewal as a result of the harsh conditions that these poets lived under a central government, unlike the vagabonds in the pre-Islamic era who lived in tribal societies without authority.

The article reveals the impact of prison on vagabond poets, identifying their most important characters and the conditions of their imprisonment, with a focus on their feelings and suffering that contributed to their revolution for freedom. The article concludes with an artistic analysis of one of their poetry models, highlighting the artistic characteristics of this literature.

2. The impact of trigonometry in the Arab-Islamic civilization on the Latin West / Ahmed Mohammed Jawad Al-Hakim / Syria

The development of the history of mathematics, and trigonometry as a part of it, takes a spiral path of knowledge that is passed down from one generation to another. In this case, every student of this history is connected to others according to this spiral. Accordingly, the development of the topics of mathematics and their organization change over time, and the ideas and activities of mathematicians are affected by a phenomenon called "areas of influence" or "areas of influence", according to John MacLeish in his book "Number". On this basis, these areas of influence were, from time to time in history, for Babylonian, ancient Egyptian, Chinese, Greek, Indian, Arab-Islamic and European mathematics. Thus, each civilization at a certain time takes the lead in the advancement of mathematics, including the Arab-Islamic civilization.

3. Political, administrative and military developments in Tlemcen during the Ottoman era /Mohamed Boumediene/ Algeria

Tlemcen became a political region during the Ottoman era, and although the Ottoman administration was in charge, the manifestations of Tlemcen's cultural dependence on the Sultan's palace in the city of Algiers were characterized by revolutions and rebellions due to the policy of cruelty practiced by a few of the power and decision-makers from the Turkish elements in this city or the Beylik of the West as a whole. However, this did not prevent the two parties from uniting in the face of internal and external challenges, and standing side by side against any infringement on the sovereignty of Islam and Muslims throughout the Ottoman Empire, as archival documents and historical source texts recorded for us important landmark aspects, chronicling the various changes in the political structures specifically in the midst of which Tlemcen provided military assistance to the Eyalet of Algiers or even the Sublime Porte in its wars in the East, and at the same time it was called: "the protected Tlemcen" by the Ottomans, due to the repeated ambitions that this city experienced from the Spaniards and the Sultans Morocco. This is in addition to its reaching an advanced level of political and military leadership in the Beylik of the West, contrary to what was said about it that it lost its political and military importance, when we came across historical evidence that refutes with argument and evidence the reality of Tlemcen and the position it occupied with the Deys and Beys who made it at times the main headquarters of the Beylik, and fortified it militarily and defensively to confront external threats, especially from the west.

INDEX

Editorial

From Manuscript to Digital World: A Journey of Heritage Through Time
Editing Secretary 4

Researches Titles:

Imprisonment in the Poetry of the Umayyad Era Vagabonds: An Objective Artistic Study
Mr. Manal Al-Mahri 6

The impact of trigonometry in the Arab-Islamic civilization on the Latin West
Ahmed Mohammed Jawad Al-Hakim 41

Political, administrative and military developments in Tlemcen during the Ottoman era
Mohamed Boumediene 71

Healthy food according to Muslim doctors in Islamic civilization.
Dr. Sharif Qawish 95

Manuscripts' Verification

Issues from the Book of Ijmaa, written by Abu Ishaq Ibrahim bin Yusuf bin Muhammad bin Dahhaq al-Maliki al-Awsi, known as Ibn al-Mar'ah (d. 611 AH)
Dr. Al-Hassan Hadoushan 115

The story of the golden dove (Hamamatul Dhahab) attributed to the great companion (Sahabi) Kaab Al-Ahbar (died 32 AH = 652 AD)
Dr. Mahmoud Mohamed Makki 149

Abstracts 192

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 33 : No. 128 - Jumada al-Akhirah - 1446 A.H. - December 2024

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Dr. Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديلٍ أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتابٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

Juma Al Majid Center
for Culture and
Heritage - Dubai

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Volume 33: No. 128 - Jumada al-Akhirah - 1446 A.H. - December 2024

تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر
الفارسي: حسن بن علي بن الحسن، كمال الدين، أبو الحسن ٧١٨ هـ
نسخة مكتبة آيا صوفيا ٢٥٩٨
نسخت سنة ١٠٧٩هجري

Tanqih almanazir lidhawi al'absar walbasayir
Alfarisiu : hasan bin ealii bin alhasani, kamal aldiyn , 'abu alhasan 718 AH Library copy :aya sufya 2598
Copied in the year 1079 AH

Published by:
Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage